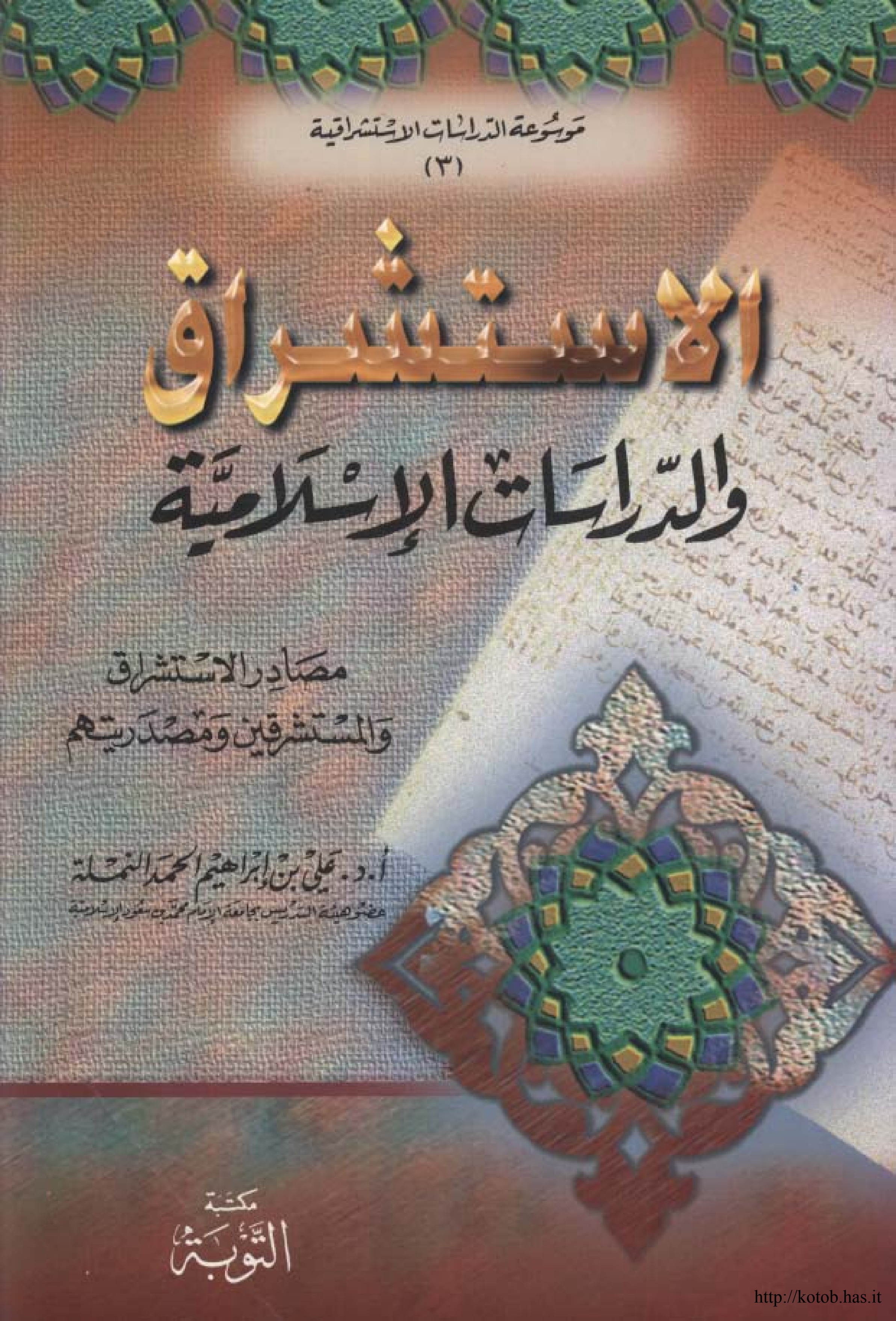

موسوعة الدراسات الاستشراقية
(٣)
الاستشراق
والدراسات الإسلامية
مصادر الاستشراق
والمستشرقين ومصدريتهم
أ. د. علي بن إبراهيم الحمد النملة
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
مكتبة
التوبة
http://kotob.has.it

الاستشراق والدراسات الإسلامية

مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم


بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة الدراسات الاستشراقية
(٣)

الاستشراق والدراسات الإسلاميَّة

مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم

أ.د. علي بن إبراهيم الحمد النملة
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة
التوبة

ح علي بن إبراهيم الحمد النملة، ١٤١٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النملة، علي بن إبراهيم الحمد
الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر
الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم.- الرياض
٢٧٨ ص؛ ٢٤سم (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٣)
ردمك ٢-٩٨٢-٣١-٩٩٦٠.
١- الاستشراق والمستشرقون ا- العنوان ب- السلسلة
ديوي ٢٩٥، ٣٠١ ١٧/٣٤٢٧
رقم الإيداع: ١٧/٣٤٢٧
ردمك: ٢-٩٨٢-٣١-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

التوبة
الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

قائمة المحتويات

المدخل	١١
الفصل الأول	
مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين	١٥
الاستهلال	١٧
المقدمة	١٩
تضييق مجال الدراسة	٢٧
الاعتماد على السابقين	٢٩
دراسة الأعلام	٣٦
اللغة العربية	٤٢
معايير النقد	٤٩
الحكم من الواقع	٥٤

الفصل الثاني:

أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات

عن الإسلام والمسلمين ٦١

المدخل ٦٥

مشكلة البحث ٧٣

أسئلة البحث ٧٨

مصادر المعلومات عن التراث ٧٩

مصدرية الاستشراق ٨١

في مجال الدراسات ٨٢

في مجال التحقيق والنشر ٩٧

الاتجاهات الفكرية المنشورة ٩٩

عينات من المنشور والمحقق ١٠٢

في مجال الترتيب والفهرسة والتكشيف ١٠٥

الخاتمة والنتيجة ١١١

الفصل الثالث:

رحلات المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات

عن العرب والمسلمين ١١٧

الاستهلال ١١٩

المقدمة ١٢١

مفهوم الاستشراق ١٢٣

فضل المستشرقين ١٢٩

الاستشراق المعاصر ١٣١

الحكم المسبق ١٣٨

المستشرقون الرحالة ١٤٠

المعيار ١٤٧

الانطباعية ١٤٩

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة ١٧٦

الفصل الرابع:

مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين:

استقراء للمواقف ١٨٤

تمهيد ١٨٦

مشكلة البحث ١٨٨

أسئلة البحث ١٩١

منهج البحث	١٩٢
مواقف المستشرقين	١٩٣
مواقف العلماء المسلمين ومفكري العربية	٢٠٥
أولاً: القبول المطلق	٢٠٥
ثانياً: المواقف الرافض	٢١٠
ثالثاً: موقف المواجهة	٢٢٣
الخاتمة والنتيجة	٢٣١
قائمة وراقية بالمراجع الأساس	٢٣٧

المدخل:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد

فهذه وقفات مع ظاهرة الاستشراق والمستشرقين وعلاقتهم بالدراسات الإسلامية، سعيت إلى ربطها بالمعلومات المستقاة من إسهاماتهم، ومن الأحكام عليهم من خلال هذه المعلومات.

وجاءت هذه الدراسات متفرقة من حيث الزمان والناشرين، وظهرت على شكل مقالات علمية نشرت في دوريات محكمة، ورأيت أن أجمعها في كتاب واحد بعد أن وجدت من يحثني على ذلك ويشجعني عليه، ويطالبني بالاستمرار في هذا المجال الذي يزداد العمق فيه كلما زاد الباحث قرباً منه. ومع هذا العمق تتضح الرؤية أكثر من ذي قبل مما يؤثر في الحكم العام على ظاهرة الاستشراق وعلى المستشرقين.

وقد ظهر لي ذلك جليًا عند المقارنة بين أول عمل أسهمت به في هذا المجال ونشرته في مجلة التوباد وآخر عمل نشرته كتابًا مستقلاً عن المستشرقين والتنصير. على أني استخدم مصطلح "الاستشراق" في جميع هذه الدراسات وغيرها استخدامًا إجرائيًا يقصر المفهوم على اشتغال المستشرقين بعلوم المستشرقين، مع علمي أن هذا تضييق في المصطلح الأعم، إلا أن دواعي الدراسة تبيح هذا التعريف الإجرائي.

وقد جاء هذا الكتاب في أربعة فصول، هي:

الفصل الأول: مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين

الفصل الثاني: أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين

الفصل الثالث: رحلات المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين

الفصل الرابع: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين:استقراء للمواقف، وقد صدر هذا الفصل كتاباً مستقلاً عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بالمملكة العربية السعودية، وحيث جاء في صفحات لا تتعدى خمس وخمسين فقد رأيت إعادة نشره مع هذه الدراسات بعد الإذن بذلك من الناشر، كما هو الحال مع بقية الدراسات الثلاث الأخرى.

وتبع هذا قائمة وراقية "بيبليوجرافية" بالمراجع الأساس التي ورد ذكرها في الفصول الأربعة، دمجتها جميعاً، ورأيت أن استغني عن التفريع فيما يتعلق بالمراجع العربية فالمعربة ثم الأجنبية لقلتها وعدم تحمُّلها للفصل.

ولم أتدخل في متن هذه الدراسات إلا بالنزر اليسير الذي لا يذكر على أنه مراجعة أو تنقيح لما سبق نشره. وكان لا بد من بعض اللمسات التي تستدعيها أمور جمع دراسات متفرقة في سفر واحد.

والذي آمله أن تؤدي هذه الإسهامة ما يراد منها من النفع، وأن تكون حافزاً للمزيد من الدراسات الموضوعية في مجال لايزال موضع جدل قوي بين علماء المسلمين ومفكريهم، بل بين المستشرقين أنفسهم.

ولا يفوتني في هذه الوقفة أن أسجل شكري وتقديري لأهلي ولزملائي

الذين كان لهم الأثر البارز في تخطي ضغط الوقت وكثرة المشاغل والارتباطات الرسمية والاجتماعية، وما أسهموا به من توجيهات وملحوظات عند قراءتهم لهذه الدراسات وغيرها . فكان لهم، بعد فضل الله تعالى، فضلٌ عليَّ عظيم، ما كنت أحسب أني أنجز، علميًا، ما أنجزت، لولا هذا التشجيع المتواصل، وأخص من هؤلاء الزملاء الأخوة الأستاذ الدكتور إبراهيم بن مبارك بن موسى الجوير، والدكتور إبراهيم بن محمد بن حمد المزيني، والدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم بن سليمان العُمري، والدكتور عمر بن صالح ابن سليمان العُمري، وغيرهم من الأحبة والزملاء، فجزاهم الله عني خير الجزاء، ووفقهم جميعًا إلى الخير، وكان الله في عون الجميع.

الفصل الأول

مصادر معلومات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين(*)

(*) نشر هذا الفصل في مجلة عالم الكتب مج١٥ ع٦ (الجماديان ١٤١٥هـ- نوفمبر-ديسمبر١٩٩٤م).- ص ٥٧١-٥٨٩.

«واليوم أرانا تبهرنا هذه القمم الشامخة ونتيه في عالم الخيال لما تذكرها أقلام المستشرقين، وإن نكرتها يعترينا مركَّب النقص، وفي كلتا الحالتين تصبّ هذه الدراسات في روحنا حرماناً مزدوجاً، لا نستطيع التخلص منه إلا إذا تذكّرنا السلم الذي وضعه القرآن ليتسلّقه الفكر الإنساني حتى يصل على درجاته إلى تلك الإنجازات العلمية التي تهيمن على الفكر الإنساني حتى اليوم على التقدّم التكنولوجي،...، وإذا تذكّرنا هذا السلّم فلنعلم أنه مازال تحت يد أو تحت قدم المجتمع الإسلامي متى ما أراد استخدامه من جديد، وبحسبنا أن نقرر أن مساهمة الفكر الإسلامي في تنمية تراث الإنسانية العلمي ليست تقدّر فحسب بإنجازات المستشرق، حسب هواه، بل تقدّر بالتغيير الجذري الذي أحدثه المفهوم القرآني في المناخ العقلي والبناءات العقلية منذ كلمة "إقرأ"».[١]

مالك بن نبي

---

[١] إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.- ٤١-٤٢.

المقدّمة:

من الظاهرات التى صاحبت ازدهار الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية حركة أو ظاهرة الاستشراق التى عنيت بعلوم المسلمين بالدراسة والتحليل، واهتمت بتراث المسلمين المخطوط منه والمطبوع، تحققه وتدرسه وتهتم به في فترة من الفترات التي انشغل فيها المسلمون عن هذا التراث، وانصرفوا إلى متطلبات الحياة البدائية في معظم المجتمعات المسلمة، حتى أصبح العلم والعلماء غرباء في هذه المجتمعات.

وإذا كان المستشرقون يمثلون هذه الظاهرة فإن اهتمام معظمهم بالثقافة الإسلامية لم يبدأ من منطلق حسن، إذ يزعم الدارسون لظاهرة الاستشراق الذي يدرس الثقافة الإسلامية بخاصة أن هذه الظاهرة قد اتّكأت كثيراً على "خلفية غير إيجابية" تجاه الإسلام والمسلمين، ذلك حينما نظر الغرب، منشأ ظاهرة الاستشراق، إلى الإسلام على أنه التهديد العقدي والثقافي الأول للوجود الثقافي والحضاري للغرب، الأمر الذي تجدّد الآن مع بروز ظاهرة العودة إلى الدين بين الأمم قاطبة، بما فيها الأمة الإسلامية، هذه الظاهرة التي تعارف المفكرون المسلمون على تسميتها بالصحوة. وفي الوقت نفسه يتفرّغ الغرب بثقافته القائمة على الخلفية النصرانية واليهودية للعالم الإسلامي معتقداً أنه هو العدو القادم.

ومن منطلق هذه النظرة وهذه الخلفية درس معظم المستشرقين الإسلام قصداً إلى الإساءة إليه، وذلك لتحقيق رغبة الكنيسة في الحد من انتشار الإسلام بين الأوساط الغربية بخاصة، ثم على المستوى العالمي بعامة، ومن

ثم حماية الكنيسة من مزاحمة المسجد لها فيما يعتقد أنه "عقر دارها".[1] ويؤيد هذا المنحى أن طلائع المستشرقين قد انطلقوا من الأديرة والكنائس.[2] كما يؤيده كذلك أن الاهتمام الرسمي بالدراسات العربية والإسلامية قد انطلق من مؤتمر "فينا" الكنسي سنة ١٢١٣م الذي أوصى بإنشاء كراسي للغات عدة ومنها اللغة العربية في أكثر من مؤسسة تعليمية عالية في أوروبا.[3]

ولتحقيق هذه الأهداف ذات المنطلق الديني المبني أساساً على نتائج الحروب الصليبية التي انهزم فيها الصليبيون، وأخرجوا من " الشرق" الإسلامي،[4] وإلى ما قبل الحروب الصليبية، كان لا بد من إظهار الإسلام وأهله ورموزه كالقرآن الكريم وسنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي.- الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ.- (سلسلة كتاب الأمة/٢٧).- ص. ٣٨-٣٩.

(٢) نجيب العقيقي. المستشرقون.- ط٤.- ٣مج.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.- ١/ ١١٠-١٣٧.

(٣) إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء.- تعريب كمال أبو ديب.- ط٢.- بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م.- ص ٨٠.

(٤) امتدت الحملات الصليبية علي الشرق الإسلامي قرابة مائتي سنة وقد بدأت من ربيع الأول من سنة ٤٩١هـ الموافق مارس ١٠٩٨م وانتهت في شعبان من سنة ٦٩٠هـ الموافق أغسطس من سنة ١٢٩١م. انظر في ذلك: سعيد عاشور. الحركة الصليبية.- ٢مج.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.- ٢/١١٢٦.

وسيرته وصحابته وعلماء الإسلام وقادة المسلمين بمظهر غير لائق بهذه الرموز.

وفي سبيل الخروج بهذا كان لا بد أن يقف ثلة من الغربيين حياتهم على دراسة الإسلام يغوصون في علومه وآدابه ولغته وتاريخه وكل ما له به علاقة «واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم، مصطنعين لنشره المطابع والمعاهد والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات، حتى بلغوا فيه، منذ مئات السنين، وفي شتّى البلدان، وبسائر اللغات- مبلغاً عظيماً من العمق والشمول والطرافة وأصبح جزءاً لا ينفصل من تراثنا...».[1]

وقد خلّف هذا الاتجاه في الدراسة وراءه زخماً هائلاً من المعلومات المغلوطة في الغالب عن الإسلام والمسلمين كانت هي "القاعدة المعلوماتية" التي بنى عليها المتأخرون من المستشرقين دراساتهم التالية، رغم المحاولات المتأخرة من بعضهم في طرق أبواب الموضوعية والتجرُّد، ولكن ظلت فكرة "تهديد" الإسلام للغرب مسيطرة، ليس على مستوى العلماء والمحيط العلمي "الأكاديمي" فحسب، ولكن على مستوى القيادات السياسية والتخطيط للعلاقات الغربية مع "العالم الآخر" التي استمدت معظم معلوماتها من الدراسات الاستشراقية المخصصة لهذه الأغراض أو الدراسات الشاملة عن الإسلام والمسلمين. ولا يزال هذا الأسلوب في استقاء المعلومات مسيطراً على الدراسات الغربية عن الإسلام والمسلمين. على أن الدراسات

---

[1] نجيب العقيقي. المستشرقون. مرجع سابق.- ١/٧.

الاستشراقية التي استطاعت التحرُّر من هذه الخلفية ولم تتّكء على دراسات استشراقية سابقة قليلة جداً.

ورغم محاولات التجرُّد والموضوعية التي حاولها بعض المستشرقين، وبخاصة من المتأخرين، إلا أن طبيعة دراسة الإسلام والمسلمين مهما كانت درجة التجرُّد والموضوعية فيها تستلزم توافر الانتماء العقدي فيها الذي يفرض جانباً كبيراً من التوثيق والتوثُّق من الأخبار والروايات، والتثبت من مصادر المعلومات التي تكون عادة مادة "دسمة" لتقرير موقف ما يعين على الخروج بحكم على الإسلام، بينما يتبين بعد التثبُّت والتوثّق أن هذا الحكم قد قام على معلومات موضوعة مختلقة، أو ضعيفة، أو اعتراها خلل في الرواية أو الراوي على ما هو مبسوط في علم الرجال عند المسلمين.[١]

صعوبة الدراسة:

ويصعب في وقفة واحدة إجراء دراسة مستقصية عن مصادر المعلومات عند المستشرقين وذلك لأسباب عدة، لعل من أهمها:

١- طول المدة التي قام فيها المستشرقون بدراسات عن الإسلام والمسلمين،منذ نشأة الاستشراق إلى اليوم. فإذا افترضنا أن البدايات العلمية للاستشراق تعود إلى سنة ١٣١٢م فإن المدة الزمنية تصل إلى ست

---

[١] ويسمى الإسناد أو علم الجرح والتعديل.

مئة وثمانين سنة من سنة ١٣١٢ إلى سنة ١٩٩٣م.[١] ولذا يمكن تصنيف التوجُّهات الاستشراقية بحسب الزمان. وعلى سبيل المثال نجد أن "إدوارد سعيد" يعيد أسباب عدم الأمانة العلمية لدى المستشرقين المعاصرين إلى عوامل ثلاثة هي:

ا-التحيُّز الشعبي ضد العرب والمسلمين،

ب- الصراع العربي الصهيوني،

ج- الغياب شبه الكلي لأي موقع ثقافي مؤثر.[٢]

وهذه الأسباب حديثة لم تكن تؤثِّر في الماضي لأن مسبِّباتها لم تكن موجودة بالصورة التي هي عليها الآن. كما يذكر "عبد الجليل شلبي" أن «موقف المستشرقين اليوم قد تغير كثيراً عن موقفهم بالأمس، ولكنهذا التغيُّر يبدو في التخلّي عن الأكاذيب والاختلاقات، وليس ثمّةَ تخلٍ عن طعن الإسلام وتلمُّس مواطن للهجوم عليه».[٣] فالنمط السالف في التعامل مع الإسلام يختلف عن النمط الحالي، وهكذا.

٢- تعدّد الموضوعات التي طرقها المستشرقون داخل الثقافة الإسلامية ورموزها، فقد درسوا جميع العلوم العربية والإسلامية من علوم القرآن

---

(١) إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق. ص ٨٠.

(٢) إدوارد سعيد. الاستشراق.- المرجع السابق.- ص ٥٨.

(٣) عبد الجليل شلبي. صور استشراقية.- القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ.- ص ٣٠.

الكريم و السنة النبوية الشريفة والعلوم الإسلامية الأخرى والعلوم العربية كذلك، بما في ذلك الدراسات الاجتماعية المعاصرة، ومتابعة التطورات التي تمرُّ بها المجتمعات العربية والإسلامية.[١]

٣- تعدُّد اللغات التي كتب بها المستشرقون دراساتهم مع ضآلة الترجمات العربية لها، فقد كتبوا بالألمانية والروسية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية والبولندية والبرتغالية والعربية كذلك، وغيرها من اللغات الأوروبية الأخرى.[٢]

٤- تعدُّد المدارس الاستشراقية بحسب الزمان، أو بحسب المكان والاختلاف الطفيف في المنطلقات العقدية لكثير من المستشرقين بحسب انتماءاتهم، فهناك المدرسة الألمانية والمدرسة الإنجليزية والمدرسة الفرنسية والمدرسة الإسبانية والمدرسة الروسية، وغيرها من المدارس.[٣]

---

[١] وتعدد الموضوعات يؤذن بعدم الدقة الموضوعية في إطلاق الأحكام على الجميع دون النظر إلي الموضوعات التي طرقوها، ودون النظر إلى الزمان الذي أجريت فيه الدراسات والزمان الذي أجريت حوله هذه الدراسات.

[٢] وإن كان بعض الباحثين يرى أن اللغة الألمانية تعد في هذا المجال أم اللغات الأخرى وأنها جميعها تعد عالة عليها مباشرة أو عن طريق اللغات التي أخذت عنها. انظر: صلاح الدين المنجِّد. «الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله».- الهلال.- مج٨٢،ع١١ (١٠/ ١٣٩٤هـ-١١/١٩٧٤م).-ص ٢٢-٢٧.

[٣] في تصنيف الاستشراق إلى مدارس انظر: ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية.- ٢ج،١مج.- مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م.- ١/١١٩-١٩٦.

٥- تعدُّد فئات المستشرقين بحسب مواقفهم من الإسلام والمسلمين، وبحسب الخدمات التي يقدّمونها في دراساتهم، فهناك المستشرقون الكاثوليك والمستشرقون البروتستانت والمستشرقون الملحدون والمستشرقون الشيوعيون والمستشرقون اليهود، وهكذا.(١)

٦- تعدُّد أغراض المستشرقين وأهدافهم، بل ومنطلقاتهم التي ساروا منها لدراسة الإسلام والمسلمين بين الدينية والسياسية والاقتصادية والاستعمارية والعلمية النزيهة وغير النزيهة، على ما هو مبسوط في الإنتاج العلمي المقصود به التعريف بالاستشراق والمستشرقين.(٢)

٧- كثرة الدراسات المنشورة "الانتاج العلمي"، إذ إن مجموع ما نشره المستشرقون بين سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٩١م فقط يزيد على ٧٥،٠٠٠ دراسة نشرت في الدوريات الاستشراقية والعربية، منها ٣٥،٠٠٠ دراسة بين سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩٦٠م.(٣) هذا عدا عن الكتب والمحاضرات ووقائع

---

(١) في مناقشة فئات المستشرقين انظر: عباس محمود العقاد. ما يقال عن الإسلام.- القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.- ص ٩-١٨.- (سلسلة كتاب الهلال/١٨٩). وانظر أيضاً: محمد عبد الفتاح عليان. أضواء على الاستشراق.- الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.- ص ٥٣-٥٧.

(٢) انظر في مناقشة أهداف المستشرقين وأغراضهم: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات، وحصر وراقي للمكتوب.- الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.- ص ٤٣-٥٨.

(٣) أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.- القاهرة:

المؤتمرات. ويعمل الأستاذ "فؤاد سزكين" مدير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في (فرانكفورت) بألمانيا على حصر وراقي (ببليوجرافي) للدراسات الاستشراقية باللغة الألمانية. وقد أظهر إلى الآن مجموعة ضخمة من المجلّدات التي دأب المعهد على إظهارها منذ حوالي عشر سنين. وتشمل القائمة الورقية (الببليوجرافية) المقالات العلمية والكتب.[1] ويشير "إدوارد سعيد" إلى أن مجموع ما نشر من الكتب فقط في قرن ونصف من الزمان من بدء القرن التاسع عشر الميلادي/الثالث عشر الهجري إلى منتصف القرن العشرين الميلادي/الرابع عشر الهجري قد وصل إلى ستّين ألف (٦٠,٠٠٠) كتاب.[2]

٨- تشتُّت الإنتاج العلمي الاستشراقي جغرافيّاً وتعذُّر وجوده، أو وجود غالبيته في جهة واحدة أو جهات محدّدة يمكن متابعتها والوقوف على نسبة "معقولة" من المنشور.

دار المعارف. {١٩٨٠م}.- ص ١٠٥.

[1] وقد تابعت هذا العمل عندما كان يقوم به فريق من المتخصصين في مجالات الدراسات الإسلامية مثل الأستاذ إسماعيل بالتش في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بألمانيا. وكان الأستاذ الدكتور "محمد فؤاد سزكين" يحرص علي اقتناء هذه المواد في مكتبة المعهد المتميزة، ولا يزال يقوم بهذا -على حد علمي- ويتخذ لهذا جميع الوسائل الممكنة من استعارة الكتب وتصويرها وتصوير المقالات بعد استعارة الدوريات استعارة خاصة باتباع أسلوب الإعارة بين المكتبات.

[2] إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص ٢١٦.

ومن أجل هذه الأسباب مجتمعة، ومعها غيرها، تبرز الصعوبة العلمية في تقصي الإنتاج العلمي الاستشراقي الذي يتيح المجال لتقصي مصادر المعلومات لدى المستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

تضييق مجال الدراسة:

وقد يعين على التغلب على بعض هذه العوامل تضييق مجال الدراسة إما من الناحية الزمانية أو من الناحية المكانية أو من الناحية الفكرية فيما يتعلّق بالفئات والمدارس أو من الناحية اللغوية، إذ قد يصل الباحث إلى نتائج "أولية" إذا ما درس مرحلة من مراحل الاستشراق -مثلاً- من حيث أطواره التي مرَّ بها.[1] وفي هذا يقول "رودي بارت": «... فمن ذا الذي يستطيع الإحاطة بمادة في هذا اليم. ليس أمام العلماء من حلّ سوى اختيار طائفة محددة من الموضوعات من بين الكمية الهائلة من موضوعات العلم والبحث المتشعبة، وتركيز البحث الخاص على نقط بعينها، والرضا فيما عدا ذلك بفكرة إجمالية عامة عن العلم في مجموعه».[2] ولذا فإن «كل دراسة في هذا الميدان هي في حقيقتها جزء صغير أو ضئيل من كل كبير، ولا سبيل إلى

---

[1] في أطوار الاستشراق انظر: أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.- مرجع سابق.- ص ٧٠-٨١.

[2] رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية.- ترجمة مصطفى ماهر.- القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.- ص ٥٧.

بلوغه، بل إلى الاقتراب منه في أحسن الأحوال إلا بخطىً صغيرة»[1]

والدراسات حول الاستشراق والمستشرقين تؤكد على أن بعض المدارس الاستشراقية قد اعتمدت في تكوينها الأول على مدارس سابقة لها، ثم أخذت مساراً مختلفاً استحقّت معه أن تكون مدرسة مستقلّة متميزة. فالمدرسة الاستشراقية الروسية -على سبيل المثال- قد اعتمدت في نشأتها على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، التي تعدّ أشد المدارس عداوة للإسلام والمسلمين،[2] ممثلة بالمستشرق الفرنسي "دي ساسي" [3] الذي تتلمذ على يديه مجموعة من المستشرقين الروس، ومنهم "جيرجاس"[4] الذي رحل إلى فرنسا. كما أن "دي ساسي" نفسه قد استعانت به جامعة (بطرسبوج) في

---

[1] رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية.- المرجع السابق.- ص ١٠٧.

[2] محمد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.- ط٥.- بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م.- ص ٤١٥-٤٥٦.

[3] البارون دي ساسي، (١٧٥٨-١٨٩٢م)، ويكتب أحياناً دو ساسي مستشرق فرنسي، انتخب رئيساً للجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٢م. وألف في الدروز وعني بهم. ولقب بالبارون سنة ١٨١٣م جزاءً لجهوده وخدماته. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.-مرجع سابق.- ١/ ١٦٢-١٦٥.

[4] جيرجاس (١٨٣٥-١٨٨٧م)، تخرج باللغات الشرقية من جامعة بطرسبرج، وانتقل إلى باريس وتعلم العربية على مستشرقي فرنسا، وانتقل إلى مصر وسورية ولبنان وعاد إلى بطرسبرج ودرّس بها، وعُدَّ أول مؤسس للدراسات العربية الحديثة في روسيا. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣/٧٤-٧٥.

إنشاء المدرسة التهذيبية العالية سنة ١٨١٦م، وتتلمذ عليه غير "جيرجاس" "ديمانج"(١) و"شارومي"(٢) وغيرهم ممن هم عالة على المدرسة الاستشراقية الغربية".(٣)

الاعتماد على السابقين:

ومن المقرّر أن المستشرقين قد اعتمدوا على سابقيهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم عن الإسلام والمسلمين. وهذا أمر وارد؛ إذ إن المتأخرين من المستشرقين ينظرون لسلفهم من علماء المستشرقين نظرة إجلال وإكبار من ناحية،(٢٧) ومن ناحية أخرى يجدون هذه الدراسات السابقة هي المصادر القريبة منهم من حيث توافرها، ومن حيث لغتها التي يجيدونها إجادة تامة،

---

(١) ديمانج درس الاستشراق في فرنسا، وتتلمذ على دي ساسي وغيره من المستشرقين الفرنسيين، ووقع اختيار دي ساسي عليه مع شارومي لتدريس اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج بناء على رغبة إسكندر الأول. انظر: نجيب العقيقي . المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣/٦٩.

(٢) شارومي (١٧٩٣-١٨٥٥م) رحل إلى باريس وتتلمذ على "دي ساسي ودي برسفال، وأرسل من فرنسا إلى جامعة بطرسبرج ليدرّس الفارسية بها نال أوسمة عدة وله آثارفي التاريخ. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. مرجع سابق.- ٣/٦٩.

(٣) ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية.-مرجع سابق.- ص ١٦٧-١٧٣.

(٢٧) انظر: نعمان عبد الرزاق السامرّائي. الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د. محمد أركون ود. إدوارد سعيد.- الرياض: دار صبري، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

فقد تكون هي لغتهم الأم، أو اللغة الثانية التي تعلّموها لأنها ثرّة بالإنتاج العلمي الاستشراقي كالألمانية مثلاً.[1] بل إن هناك بضعة من المستشرقين الذين تركوا لغتهم الأم وجنحوا إلى لغة "استشراقية" قوية في مجال الدراسات الاستشراقية كما هي الحال مع "إجناس جولدتسيهر" المجري "الهنجاري" الذي تبنّى اللغة الألمانية لغة علمية لإنتاجه العلمي في مجال الدراسات الاستشراقية.[2]

كما أن دواعي الاستشهاد المرجعي ودوافعه قد تكون عاملاً مهماً من عوامل اعتماد المتأخرين من المستشرقين على أسلافهم في توثيق معلوماتهم. ومن هذه الدوافع، عدا إظهار الفضل والريادة للسابقين، مجاملتهم أو الدفاع عن آرائهم التي بثوها في دراساتهم، أو تفنيدها والرد عليها، أو تصحيحها أو ما إلى ذلك من دواعي الاستشهادات المرجعية العلمية وغير العلمية.[3]

---

(1) صلاح الدين المنجد. المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية.- ج١.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م. ص ٧-١٣.

(2) إجناس جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) مستشرق مجري (هنجاري)، اتجه إلى دراسة العبرانية في بداية حياته العلمية، وتخرج في اللغات السامية، ثم اهتم باللغة العربية والإسلام، ونشر أبحاثه باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية. يذكرون عنه أنه أعطى الدراسات العربية والإسلامية قالباً جديداً. انظر: محمد بن عبود. "الاستشراق والنخبة العربية".- المجلة التاريخية المغربية.- مج٩، ع٢٧و٢٨، (١٩٨٢م).- ص ١٩٩-٢١٥.

(3) انظر في دوافع الاستشهادات المرجعية: حشمت علي قاسم. دراسات في علم المعلومات.- القاهرة: دار غريب، {١٩٨٤م}.- ص ١١٧.

إلا أن الميل هنا ينصبُّ على عاملين مهمين يقفان وراء اتّكاء المستشرقين المتأخرين على أسلافهم في توثيق أبحاثهم ودراساتهم هما توافر المصادر العلمية مادياً، وكونها مكتوبة بلغة يجيدونها، وبقية دواعي الاستشهاد المرجعي الأخرى تكون عادة مضمّنة في ثنايا الاستشهادات المرجعية للمستشزقين.

واعتماد المستشرقين في معلوماتهم حول دراساتهم عن الإسلام والمسلمين على من سبقهم من المستشرقين يؤدي إلى أن يقع المتأخرون بالأخطاء نفسها التي وقع بها المتقدمون عن غير قصد، وهذا هو الأصل، وعن قصد وهذا يحصل إذا ما كانت الدوافع والأهداف غير علمية مما عرف الآن من دوافع المستشرقين وأهدافهم.[1] وفي هذا يقول "مونتجمري وات[2]": « جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوّهة التي تولّدت في أوروبا عن الإسلام. وعلى رغم الجهد العلمي الذي بُذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون

---

(١) في مناقشة الدوافع والأهداف لدى المستشرقين بعامة انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق في الأدبيات العربية.- مرجع سابق.- ص ٣٣-٥٨.

(٢) مونتجمري وات، مستشرق بريطابي معاصر. له إسهامات في الدراسات الإسلامية أشهرها ما كتبه عن المصطفى -صلى الله عليه وسلّم- (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) و(محمد النبي ورجل الدولة). وهذه الأعمال الثلاثة تحتاج إلى متابعات نقدية لما فيها من بعض المعلومات المغلوطة عن حياة الرسول -صلى الله عليه وسلّم-. وقد ترجمها شعبان بركات ونشرتها المكتبة العصرية.

المتوسّطة في أوروبا لا تزال قائمة. فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها ».[1] والمؤلف نفسه قد وقع ضحية نظريته هذه، فلم يستطع التخلّص من الاتّكاء على الماضي الاستشراقي في كتاباته حول الرسول محمدٍ -صلّى الله عليه وسلّم-.[2] وإن لم يصل في هذا الاعتماد على من سبقوه إلى ما وصل إليه قس من قرطبة يدعى "إلجوس قرطبة" الذي كتب بحثاً عن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- ينم عن جهل فاضح، «أو كذب متعمّد، كما تبدو فيه الصيغة المسيحية؛ إذ جاء فيه أن النبي محمداً -صلّى الله عليه وسلّم- كان يخبر أصحابه أنه بعد ثلاثة أيام من موته سيرفع إلى السماء، فلما مات بقي بدون دفن حتى يرفع جسده، ولكنه لم يرفع حتى تعفّن جسده، وأخذت الكلاب تنهش منه...».[3] ويعلّق

---

[1] انظر: إبراهيم اللبان. المستشرقون والإسلام.- القاهرة: الأزهر: ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.- ص ٣٦-٣٧.- (ملحق مجلة الأزهر).

[2] في متابعة ماكتبه "مونتجمري وات" عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يجد المرء هنات يصعب وقوع باحث منصف فيها. ومن أقربها إلى ضرب المثال قوله عن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- أنه كان -عليه السلام- يصعد إلى غار حراء ليتبرد من حر مكة، إذ لم يكن يتمكن لفقره من الصعود إلى الطائف للاصطياف !! كما كانت تفعل أغنياء قريش. والثابت في مصادر سيرة المصطفى -عليه السلام- أنه كان يصعد إلى الغار للعبادة لا للاصطياف.
انظر: مونتجمري وات. محمد في مكة.-كراتشي: جامعة أكسفورد، ١٩٧٩م. ص ٤٤. W. Montgomery Watt. Muhammad At Mecca.- Karachi: Oxford University Press, 1979.- p 44.

[3] عبد الجليل شلبي. صور استشراقية.- مرجع سابق.- ص ٢٧

"عبدالجليل شلبي" على هذا بقوله إن هذا القسّ لم يكن يعرف اللغة العربية، ولكنه اعتمد في نقل معلوماته المغلوطة هذه على مخطوطة لاتينية عثر عليها صدفة في مدينة "بامبالونا".[1] ومصادر سيرة المصطفى -عليه السلام- تذكر أنه توفي منتصف يوم الإثنين ١١/٣/١٢هـ ودفن يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ١٣-١١/٣/١٤هـ، ولم يمض عليه سوى يوم ونصف اليوم قضاها المسلمون في تجهيزه وتصريف أمور خلافته عليه الصلاة والسلام.[2]

ويذكر "نورمان دانييل"[3] أنه « على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرُّر من المواقف التقليدية للكُتّاب النصارى من الإسلام فإنهم لم يتمكّنوا أن يتجرّدوا منها تجرُّداً تاماً».[4] كما يقول "برنارد لويس"[5]: « لا تزال آثار التعصُّب الديني الغربي

---

[1] عبد الجليل شلبي. صور استشراقية.- المرجع السابق.- ص ٢٨.

[2] انظر: عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية لابن هشام.- ٤ج، ٢مج.- القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.-٢٢٢/٤، ومختصر سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمحمد بن عبد الوهاب وعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب.- الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت .-ص ٤٦٤.

[3] نورمان دانييل مستشرق ومؤرخ معاصر، سكن القاهرة. ومن آثاره (العرب وأوروبا في القرون الوسطى) و (الإسلام والغرب).

[4] قاسم السامرّائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ.- ص ٦٩.

[5] برنارد لويس مستشرق أمريكي معاصر، يظهر انتماءه للصهيونية. وقد تخرج في

ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية ».[1] والحواشي المرصوصة في الغالب مأخوذة من دراسات المستشرقين السابقين.[2]. ولذا نجد « سلسلة من المستشرقين يردِّدون ويطوِّرون النظريات نفسها القائمة على ما كتبه المستشرقون من قبل ... وأسوأ ما في الأمر جميعاً أن المستشرقين سايروا في كثير من الأحيان تقاليد معيّنة، حيث يمدون الجمهور الغربي بما يتوقّع منهم أن يمدّوه به ... بل إن الأسوأ أن نجد كثيراً من المستشرقين وقد بنوا مواقفهم على الموقف العام للاستشراق دون نقد أو تمحيص كدليل على كماله، أو باعتباره أمراً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، على الرغم من أن الدراسات النقدية الحديثة لهذه الحركة قد زلزلت بدرجة كبيرة البرج العاجي الذي يعيشون فيه ».[3] وهم في هذا «يريدون قتل حضارة الشرق عمداً لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة». كما يذكر "بريستيد" في كتابه عن

جامعتي لندن وباريس، ودرّس في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ويدرّس الآن في جامعة "برنستون" بولاية "نيو جرسي" بالولايات المتحدة. وله مجموعة آثار منها (اللغة السياسية في الإسلام) وغيرها. انظر: مازن صلاح المطبقاني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس.- الرياض: مكتبة الكلك فهد، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.- ص ١٧-١٩.

(1) إبراهيم اللبان. المستشرقون والإسلام.- مرجع سابق.- ص ٣٦.

(2) إبراهيم اللبان. المستشرقون والإسلام-. المرجع السابق.- ص ٣٦.

(3) محمد بن عبود. «منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي».- في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.- ٢مج.- الرياض: مكتب التربية العربي لدول

انتصار الحضارة.[1]

ومع صعوبة الدراسة المنهجية العلمية الجادة عن مصادر المعلومات لدى المستشرقين بعامة، ومع إمكانية دراسة الحقب التاريخية التي مرّ بها الاستشراق والمستشرقون فإنه من الممكن أن تبرز ظاهرة الاستشهادات الخاطئة في الأزمنة الأولى للاستشراق. كما أنه من الممكن الافتراض بأن ظاهرة الاستشهادات الخاطئة في الدراسات الاستشراقية تخفّ حدّتها كلّما تقدّم بنا الزمان، رغم الافتراض كذلك أن المستشرقين اللاحقين هم عالة على أسلافهم من المتقدّمين، إلا أن الرغبة في الاستقلالية العلمية والتميُّز والظهور بمنهجية جديدة والتقرُّب من العلماء العرب والمسلمين، كل هذه تؤيد خفة الحدة في ظاهرة الاستشهادات المرجعية الخاطئة. ومع هذا فإن هذه الافتراضات تحتاج إلى وقفات بحثية متأنية في سبيل إثباتها أو دحضها.

ومع هذا الميل إلى تبرئة المستشرقين المحدثين من "تنسُّم" آثار سالفيهم نجد في الجانب الآخر هناك تأكيداً على عدم التجرد والموضوعية لعوامل مستحدثة يلخِّصها "إدوارد سعيد" في التالي:

١-التحيُّز الشعبي ضد العرب والإسلام، الذي ينعكس في تاريخ الاستشراق قديمه وحديثه،

الخليج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.- ١/٣٦٤.

(١) عبد الحميد متولي. الإسلام وموقف علماء المستشرقين: اتهامهم الشريعة بالجمود وعلمائها الأقدمين بالتأثر بالقانون الروماني.- جدة: شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.- ص ١٢.

٢- الصراع العربي الصهيوني، ولو قيل الصراع بين المسلمين واليهود لكان التعبير أدقّ،

٣- الغياب، شبه الكلّي، لأي موقع ثقافي مؤثّر. هذا بالإضافة إلى عوامل آنية مختلفة مثل صورة اليهود في فلسطين المحتلة التي تصوّرهم على أنهم يمثّلون "الديموقراطية" في المنطقة، في مقابل صورة العرب لدى الغرب، الذين يُصوَّرون على أنهم إرهابيون متخلّفون.[1]

دراسة الأعلام:

ولعل من الأنسب في سبيل دراسة مصادر المعلومات في الدراسات الاستشراقية أن ينظر إلى "كبار المستشرقين" الذين كوّنوا منهجية متميِّزة تابعهم فيها كثير ممن أتي بعدهم، فيُدرس هؤلاء المستشرقون الكبار كلٌّ على حدة، لينظر مدى اعتمادهم على المصادر المعتبرة في موضوعاتها في دراساتهم الثرّة. ويأتي من أبرز هؤلاء المستشرقين الذين عُرفت عنهم منهجية متميّزة في دراسة الإسلام والمسلمين المستشرق المجري (الهنجاري) "إجناس جولدتسيهر"[2] والهولندي "كريستيان سنوك هورخرونيه"[3] والألماني

---

[1] إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص ٥٨.

[2] إجناس جولدتسيهر مرت ترجمته في الهامش رقم (؟).

[3] كريستيان سنوك هورخرونيه (١٨٥٧-١٩٣٦م) مستشرق هولندي، رحل إلى جاوة وخدم حكومته فيها، يذكر أنه أسلم، وتسمى بعبد الغفار ودخل مكة المكرمة وأقام فيها ستة أشهر خرج منها بكتاب عن الحج. ويناقش قاسم السامرّائي مسألة إسلامه في: الاستشراق

"كـارل هينرش بيكّر"[1] والكندي "دنكن بلاك مـاكـدونالد"[2] والفـرنسي الأب "لوي مـاسـينيـون"[3] والإنجليـزي "هاملتـون جب"[4] والإنجليـزي "يوسف (جـوزف) شـاخت"[5] والألماني "كـارل بروكلمـان"[6] وغـيـرهم من "أئمـة"

بين الموضوعية والافتعالية.- مرجع سابق.- ١١٠-١٣٧.

(١) كـارل هينرش بيكّر (١٨٦٧-١٩٣٣م) مـسـتـشـرق ألماني، ركّـز على تأثّ الإسـلام بالثقافات السابقة عليه، وأنشأ مجلة الإسلام، واهتم بشمال أفريقيا. انظر: نجيب العقيقي. الاستشراق.- مرجع سابق.- ٢/٤١٨-٤١٩.

(٢) دنكن بلاك مـاكـدونالد (١٨٦٣-١٩٤٣م)، مـسـتـشـرق أمـريكي تعـاون مع زويمر وسارتون في إنشاء معاهد ودوريات استشراقية. انظر: نجيب عقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣/١٣٦-١٣٧.

(٣) "الأب" لوي مـاسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م) مستشرق فـرنسي وأستاذ في الدراسات العـربيـة والإسـلاميـة، تتلمذ عليـه جملة من المسـتـشـرقين، واسـتـعـانت به كـثـير من مـراكـز الاستشراق العالمية كالمدرسة الروسية، اهتم كثيراً بالتصوف والمتصوفة كالحلاج وابن سبعين. درّس في مـصـر، وأدار مـجلة العالم الإسلامي التي تحـولت إلى مجلة الدراسـات الإسلامـيـة. انظر: مـحـمـود بدوي. موسـوعـة المسـتشرقين. ط٢.- بيـروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.- ص ٣٦٣-٣٧٠.

(٤) هاملتون جبّ (١٨٩٥-١٩٧١م) مستشرق إنجليزي تتلمذ على كينيدي واهتم بالأدب العربي، كتب في العلوم الإسلامية والعربية والرحلات. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢/١٢٩-١٣١.

(٥) *يوسف (جـوزف) شـاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م) مـسـتـشـرق إنجليزي، أسـهم كـثـيراً في* تحرير (دائرة المعارف الإسـلامـيـة)، وتنقل في التـدريس بين ألمانيا ومصر والجزائر وهولندا

المستشرقين ومشهوريهم.

ودراسة أعلام المستشرقين كلاً على حدة كفيلة بأن تبيّن مدى اعتمادهم على المصادر العربية وغير العربية التي يسعون فيها إلى إلباس دراساتهم اللباس العلمي الموضوعي المتجرّد المطلوب في كل دراسة علمية. كما أنها كفيلة بالرجوع إلى هذه المصادر كلها أو جلّها للتبيُّن من مدى الدقة في النقل.

وفي ترجمة للمستشرق الفرنسي الأب "هنري لا مانس"[1]، يذكر "محمود بدوي" أن « أبشع ما فعله خصوصاً في كتابه (فاطمة وبنات النبي) هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقاً في هذه الكتب، أو يفهم النص فهماً ملتوياً خبيثاً، أو يستخرج إلزامات بتعسُّف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القاريء على إشاراته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب

والولايات المتحدة الأمريكية. وأنشأ مجلة الدراسات الإسلامية، ونشر كتباً في التراث، واشتهر بدراسة التشريع الإسلامي. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢/٤٦٩-٤٧١.

[٦] كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦م) مستشرق ألماني، تخرج في اللغات السامية. وكتب في الآداب العربية والتاريخ الإسلامي. ومن أشهر آثاره (تاريخ الأدب العربي) و (تاريخ الشعوب الإسلامية). انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢/٤٢٤-٤٣٠.

[١] الأب هنري لامانس (١٨٦٢-١٩٣٧م) مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد

وتعسُّف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثاً من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية ».[1] وقد أورد "عبد العظيم محمود الديب" نماذج من هذه التجاوزات المتعمّدة مع نصوص المصادر الإسلامية بيّن فيها شيئاً من التمويه والكذب والتعسُّف في فهم النصوص الذي يتحدَّث عنه "محمود بدوي" في حالة واحدة مع مستشرق واحد.[2] وقد أوردت جملة منها في وقفة سابقة مع الاستشراق مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين.[3]

التعصب ضد الإسلام. وقد تعلم في الكلية اليسوعية ببيروت، ودرّس بها. رأس تحرير مجلة المشرق ومجلة تنصيرية أخرى اسمها البشير، وكتب في السيرة والخلافة الأموية.- انظر: عبد الحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.-مرجع سابق.- ص ٣٤٧-٣٤٩.

(1) عبدالرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.- المرجع السابق.- ص ٣٤٨-٣٤٩.

(2) عبد العظيم محمود الديب. المستشرقون والتراث.- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.- ٤٥ ص.

(3) علي بن إبراهيم النملة. "أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين".- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.- ع٧ (٤/١٤١٣هـ-١٠، ١٩٩٢م).- ص ٥١٩-٥٦٤. ومجمل المعلومات في هذه الوقفة مستقاة من هذا المرجع ومرجع آخر للمؤلف تحت عنوان: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.- ٥٦ص. وهما يشكلان الفصلين الثاني والرابع من هذا الكتاب.

ومن ذلك أيضاً ما قام به "جورج سَيل"[1] في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، إذ يترجم عبارة 'ياأيها الناس بيا أهل مكّة. وهذا المستشرق يعَدُّ من أوائل من ترجموا معاني القرآن الكريم، وقد اتّكأ عليه كثيرون في ترجمات تالية. والغرض من هذا التحريف في العبارة يعود إلى رغبة كثير من المستشرقين في حصر الرسالة في جزيرة العرب فقط.[2]

والحكم التعميمي على هذه المجموعة من المستشرقين وغيرها غير ممكن في دراسة فردية محدودة في زمانها وفي مصادرها، غير قادرة على الاستقراء الدقيق والمتابعة لجميع ما أنتجه هؤلاء. ولذا تبرز الحاجة والدعوة إلى إيجاد المؤسسات العلمية التي تتابع إنتاج المستشرقين،[3] كما برزت الدعوة إلى قيام موسوعة إسلامية في الرد على المستشرقين. ومن الرد عليهم بيان منهجيتهم في الرجوع إلى المصادر وانتقاؤهم المعلومات منها.[4]

---

[1] جورج سَيل (١٦٩٧-١٧٣٦م) مستشرق إنجليزي، اهتم بالإسلام وترجم معاني القرآن الكريم ترجمة متقدمة ما أتي بعدها يعدُّ عالة عليها. وقد قدم لها بمقدمة ضافية "حشاها بالإفك واللغو والتجريح" كما يذكر نجيب العقيقي في: المستشرقون.- ٢/٤٧.

[2] محمد أحمد دياب. أضواء على الاستشراق والمستشرقين.-القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.- ص ٥٢.

[3] عدنان محمد الوزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.- مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.- ص ١٦١-١٩٥.- (سلسلة دعوة الحق/ ٢٤).

[4] محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.-ط٢-

وفي هذا المجال ظهرت على الساحة العلمية الدراسات المتخصّصة بمستشرقين بأعيانهم مثل الدراسة التي تابعت إسهامات "كارل بروكلمان"[1] و"فيليب حتّي"[2] في التاريخ الإسلامي،[3] ودراسة مستشرقين آخرين بأعيانهم.[4] بل ربّما درست ناحية واحدة من النواحي التي أسهم بها

القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.- ص ١٥٥-١٦٤.

(١) مرت ترجمت كارل بروكلمان.

(٢) فيليب خوري حتي (١٨٨٦-١٩٧٨م) مستشرق أمريكي من أصل عربي لبناني، تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت، وأنهى دراسته العليا من كولومبيا بنيو يورك، ودرّس في برنستون وهارفارد والجامعة الأمريكية ببيروت. ألف أكثر من ٢٥ عملاً بالعربية والإنجليزية، و٥٠٠ دراسة عن الشرق العربي. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣/ ١٤٨-١٥١.

(٣) انظر العمل الذي قام به عبد الكريم علي الباز بعنوان: افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي.- جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ.- ١٧٤ ص. (سلسلة رسائل جامعية/١٦). والعمل الآخر الذي قام به شوقي أبو خليل بعنوان: موضوعية فيليب حتّي في كتابة تاريخ العرب المطول.- دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.-٢٢٠ص.

(٤) درس مازن صلاح المطبقاني المستشرق الأمريكي المعاصر "برنارد لويس" في رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الاستشراق من كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة النبوية، ونشرت الدراسة عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، وجاءت في ٦١٤ ص، كما خرجت دراسات عن مستشرقين آخرين من كلية الشريعة وكلية أصول الدين من الجامعة المذكورة، وغيرها من الدراسات. ودرس الجيلي محمد يوسف الكبشاني المستشرق "بولند ألن نيكلسون" ومفترياته على الإسلام في رسالة لنيل درجة الدكتوراه في المذاهب المعاصرة من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن

مستشرق واحد كما فعل - مثلاً - "غيثان علي جريس" في تتبُّعه لافتراءات "كارل بروكلمان"[1] على السيرة النبوية.[2] والمستشرق المذكور مشهور بدراساته الموسوعية عن الأدب العربي بالمفهوم الأجنبي الآخر لكلمة أدب "Literature" في كتابه (تاريخ الأدب العربي)،[3] بالإضافة إلى كتابه الآخر (تاريخ الشعوب الإسلامية)،[4] وإسهاماته الأخرى المتعدِّدة.

اللغة العربية:

وقد برزت فئة من المستشرقين ممن درسوا اللغة العربية ودرَّسوا بها وحاولوا الإلمام بها وإجادتها، ورجعوا في دراساتهم إلى بعض المصادر

سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ودرس محمود حمزة عزولي كتاب الدعوة إلى الإسلام "لتوماس ووكر آرنولد" في رسالة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب من المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة النبوية (كلية الدعوة) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ.

(١) مرت ترجمة كارل بروكلمان.

(٢) انظر: غيثان علي جريس. افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية.- أبها: نادي أبها الثقافي والأدبي، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.- ٨١ ص.

(٣) ظهر الكتاب في مجلدين، وأعقبهما المؤلف بملحقين كبيرين باللغة الألمانية. وقد ترجم هذا العمل إلى اللغة العربية على يد الأساتذة عبد الحليم النجار والسيد يعقوب بكر ورمضان عبد التوّاب، ونشرته دار المعارف بمصر بين سنة ١٩٧٧ وسنة ١٩٨٣م.

(٤) ترجمه إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، وظهر سنة ١٩٤٨م، وتوالت طبعاته إلى أن وصلت إلى الثامنة التي أظهرتها دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٧٩م.

العربية، إلا أن دراستهم للغة العربية لم تكن قوية، رغم قِدم الدراسة بقِدم اتصال الغرب بالشرق الإسلامي عن طريق الأندلس،[1] فكان القصور واضحاً في فهمهم للنصوص العربية التي استعانوا بها دراسة وتحقيقاً، فوقعوا في أخطاء أدّى إليها سوء الفهم الناتج عن الضعف اللغوي لديهم.

ورغم أن هذه الفئة كانت تحاول إبراز هذه الميزة في اللقاءات والمؤتمرات، وتظهر الحرص على سلامة اللسان من حيث المفردات المنتقاة والاعراب والتصريف إلا أنها لم تتمكّن من اللغة العربية التمكُّن الذي يعينها على الاستناد التام على النصوص العربية مصادر لدراساتها، دون اللجوء إلي أهل اللغة العربية وأربابها لتبيان أي مشكل لغوي يمرُّ على المستشرق، ولا ريب أنها مرَّت بهم مشكلات مهما بدا أنهم أتقنوا اللغة العربية إلي حدٍّ نظم الشعر بها.[2]

ويجدر بي هنا أن أكرِّر الاستشهاد بنص كتبه " محمود محمد شاكر" في رسالته في الطريق إلى ثقافتنا، حيث يقول: "المستشرق" فتى أعجمي ناشيء في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافاتها (ألماني، أو إنجليزي، أو فرنسي)، حتي استوى رجلاً في العشرين من عمره أو

---

[1] انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١:٨٣.

[2] وقد نظم المستشرق "يوسف فون هامر-بورجستال" أبياتاً أورد شيئاً منها صلاح الدين المنجِّد في: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية.- مرجع سابق.- ص ٢٧-٣٨. وهي ترجمة للأصل الألماني نقلتها إلى العربية "أنا ماري شمِّل".

الخامسة والعشرين، فهو قادر أو مفترض أنه قادر تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهل أو مفترض أيضاً أنه مؤهل أن ينزل ميدان "المنهج" و "ما قبل المنهج" بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أن يكون كذلك = ولكن هذا الفتى يتحوّل فجأة عن سلوك هذه الطريق ليبدأ في تعلُّم لغة أخرى، (هي العربية هنا)، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيراً، والثقافة التي ارتضع لبانها يافعاً، "يدخل قسم "اللغات الشرقية" في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلُّم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوز، في العربية، ويتلقّى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرّج لنا "مستشرقاً" يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والدين العربي"!! عجب، وفوق العجب».[1]

ومن أبرز المؤيدات لنص " محمود محمد شاكر" ما ذكره "رفاعة رافع الطهطاوي"[2] أحد تلامذة "دو ساسي"[3] من أنه كان «حين يقرأ ينطق

---

[1] محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.- القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.- ص ٢٥٩.- (سلسلة كتاب الهلال/٤٤٢).

[2] رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م) تخرج في الجامع الأزهر، ويعد شيخ المترجمين المصريين، تعلم الفرنسية في ديارها وأسهم بالترجمة عنها، ووصف رحلته إليها في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) وله آثار غيره. انظر: الموسوعة العربية الميسرة.- بإشراف محمد شفيق غربال.- القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٥م.- ص ٨٧٣.

كالعجم، ولا يمكنه أن يتكلّم بالعربية إلا إذا كان بيده الكتاب".(١) وفي رسالة جوابية منه إلى أحد مراسليه من الشرق يقول فيها : "... وأنت تريد أن تعلم إذا ما كان لي شيوخ علّموني اللغة العربية ... وإني أستطيع أن أؤكد لك أنه لم يكن لي من معلّم سوى الكتاب. وأنا لا أستطيع أن أحفظ بالعربية شيئاً، ولا أفهم ما يقال بها، إذ لم تتح لي في شبابي أي فرصة لممارسة الكلام أو الاستماع للأحاديث بالعربية. وقد أطريتني كثيراً بما قلته لي عن مؤلّفاتي، وعليّ أن أقرّ لك بأني آسف لأني لم أرحل في شبابي إلى مصر أو الشام، وبأنني بعيد جداً عن امتلاك معرفة تامّة بهذه اللغة الواسعة كالمحيط".(٢) والمستشرق المذكور درّس اللغة العربية وكتب فيها وعنها عدّة أعمال لعلّ من أهمها (التحفة السنية في علم العربية) وهو في النحو والعروض العربيين! وهو الذي حقّق (مقامات الحريري)،(٣) ونشر (ألفية ابن

---

(٣) مرت ترجمة دي ساسي.

(١) رفاعة رافع الطهطاوي. تخليص الإبريز في تلخيص باريز

(٢) محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا.– الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.– ص ٢٣٦.– (سلسلة عالم المعرفة /١٦٧).

(٣) الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي الحريري، ولد بقرية المشان من أعمال البصرة، واشتهر بالمقامات، توفي بالبصرة سنة ٥١٦هـ وعمره سبعون عاماً. انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء.– ٢٣مج.– بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م.– ١٩/٤٦٠–٤٦٥.

مالك).[1]

ومما يؤيد نص "محمود محمد شاكر" كذلك ما ذُكِر عن الترجمة التي أعدّها "فرانز روزنتال"[2] لمقدمة "ابن خلدون"[3] حيث ظهرت هزيلة وغير مستقيمة، وأبرزت الروح اليهودية لدى المستشرق المترجم، كما أبرزت جهله باللغة العربية.[4]

ويشير تقرير "للامبرت" حول الدراسات الإسلامية إلى أن الذين يهتمون

---

[1] إبن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي، إمام النحاة وحافظ اللغة، ولد سنة ٦٠٠هـ بجيان بالأندلس، وانتقل إلى دمشق وبها عاش، وقد وصلت أعماله إلى الثلاثين مصنفاً، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ. انظر: محمد عبد العزيز النجار. ضياء السالك إلى أوضح المسالك.– ٤مج.– القاهرة: مطبعة الفجالة، ١٣٨٨هـ–١٩٦٨م.– ١/ ٢٠.

[2] فرانز روزنتال مستشرق أمريكي، من أساتذة جامعة ييل. وقد تناول العلاقات الثقافية اليهودية الإسلامية، وأثر الفلسفة اليونانية في العالم الإسلامي، وكتب في مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. انظر: ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية.– مرجع سابق.– ص١٧٩.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون (٧٣٢–٨٠٨) يعد من أبرز علماء المسلمين في جميع العصورعمل في التدريس، وتنقّل إلى بلاد كثيرة، اشتهر بمقدمة كتابه في التاريخ (العبر...) التي أرست مباديء علم الاجتماع. انظر: علي عبد الواحد وافي. عبد الرحمن بن خلدون.– القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي،١٩٦٢م.– (سلسلة أعلام العرب/٤).

[4] إدوارد سعيد . الاستشراق.– مرجع سابق.– ص ٢٠، بالإنجليزية طبعة لندن نقلاً عن عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.– مرجع سابق.– ص ١٢٩. ولم أعثر عليه في الترجمة العربية والنسخة الإنجليزية التي بين يديّ.

بالإسلام والعربية لا يجيدون اللغة العربية، وأن نسبة مجيديها لا تصل إلى ١٧٪، (١٦,٧٪) فقط من مجموع المهتمين بالإسلام والمسلمين وبلغة العرب والمسلمين.[١]

أما الذين اعتمدوا على مصادر إسلامية لمعلوماتهم في دراساتهم عن الإسلام والمسلمين فقد نظروا إلى هذه المصادر وما تحويه من معلومات نظرتهم هم، ولم يلبسوا لباس النظرة الإسلامية للمعلومات الإسلامية التي تعتمد على أن الأصل في هذه المعلومات الصحة حتى يثبت عكس ذلك. وهذه النظرة لا تتأتّى إلا إذا توافرت الروح الإسلامية التي يتعامل فيها المسلم مع النصوص والمصادر، ولذا تقوى هذه النظرة عند النظر إلى النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد،[٢] ثم نصوص السنة الثابتة صحتها بالمعايير التي وضعها رجال الحديث،[٣] ثم

---

[١] من الآية الكريمة: {{ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز* لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}} الآيتان ٤٠-٤١ من سورة فصّلت

[٢] في علم مصطلح الحديث تفريع لأنواع الحديث الشريف من حيث المتن ومن حيث السند من الصحيح والحسن والمرسل والمتواتر والآحاد والمتصل والضعيف والموضوع وغيرها من التفريعات التي تبين مدى اهتمامنا نحن المسلمين بالتوثيق والوصول إلى الثابت مما ينسب للمصطفى -صلى الله عليه وسلم-.

[٣] وهذا الأثرمنسوب إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في قوله: "ليس أحد بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي -صلى الله عليه وسلم- " وقد أثرت هذه العبارة عن ابن عباس -رضي الله عنهما، وأخذها عنه مجاهد -رحمه الله- وأخذها عن مجاهد مالك بن أنس -رحمه الله-، وأخذها عن مالك أحمد بن حنبل -رحمه

تأتي بالمرتبة الثالثة نصوص العلماء المسلمين من السلف والخلف التي يحكمها من حيث القبول والرد النص الإسلامي المشهور: "كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم محمداً -صلّى الله عليه وسلّم-[1] الذي لا ينطق عن الهوى، وما يقوله إنما هو وحيٌ يوحى.[2]

والمستشرقون يفتقدون هذه الروح التي نتعامل فيها مع النصوص الإسلامية، ولا ننتظر منهم أن يكونوا مسلمين، وعندها لا يكونون مستشرقين. «ونحن لا نطلب من كل مستشرق أن يغير معتقده ويعتقد ما نعتقده عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أوّليات بديهية يتطلبها المنهج العلمي السليم...».[3] ومن أبرز سمات هذه الأوليات التحقُّق من الأخبار والروايات قبل قبولها قبولاً مطلقاً من منطلق النص القرآني الكريم في آية: {{ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة

الله-. انظر في هذا: محمد ناصر الدين الألباني. صفة صلاة النبي -صلى الله عليه وسلم- من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.- ط١٣.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.- ص ٢٦-٢٧.

(1) وذلك مصداقاً للآية الكريمة: {{ وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى}} الآيتان ٣-٤ من سورة النجم.

(2) انظر: الملحقية الثقافية بسفارة المملكة العربية السعودية بواشنطن. دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية.-ط٢.- واشنطون: الملحقية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.-ص ٢٧٩.

(3) محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- مرجع سابق.- ص ٥٩.

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}}.[1]

معايير النقد:

والمستشرقون يُعمِلون النظر في النصرص الإسلامية من المصادر الإسلامية، ويطبقون عليها معايير نقدية تاريخية هي نفسها المعايير التاريخية التي يطبقونها على تاريخ الفكر عندهم، يقول "رودي بارت" في هذا الشأن: « فنحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها فقط لكي نبرهن على ضعة العالم الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبّر عنه الأدب العربي كتابة.

ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزناً فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو كأنه يثبت أمامه. ونحن في هذا نطبّق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلّفات العربية التي تشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبّقه عندنا وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن. وإذا كانت إمكانيات معرفتنا محدودة – وهل يمكن أن تكون إلا كذلك؟– فإننا نؤكّد بضمير مطمئن أننا في دراستنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة، أما الرأي المضاد لذلك والذي نشره عالم الأزهر الأستاذ البهي في كتيبه الذي صدر أخيراً باسم "المبشرون والمستشرقون في موقفهم من

---

[1] الآية ٦ من سورة الحجرات.

الإسلام" فنحيط به علماً ونحن هادئو البال".[1]

وهم بهذا يزعمون أنهم يهدفون من دراساتهم للثقافة الإسلامية واللغة العربية إلى العمل على "تمحيص الإسلام" من منطلق علمي يتّسم بالموضوعية التي تُخضع لقواعد المنهج العلمي.[2]

ولم يسلم كتاب الله تعالى، القرآن الكريم> من هذا التمحيص، فقد وقفوامعه وقفات طويلة في مجمله وفي بعض سوره وآياته، فأثبتوا ونفوا وحلّلوا وفسروا بالرأي والهوى، مما هو غير جائز للمسلمين المنتمين لهذا الكتاب، فكيف يجوز لمن يفتقرون إلى الانتماء.[3]

على أننا نحن المسلمين نؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله المنزّل غير المخلوق، وأنه ثابت غير قابل في محكمه ومتشابهه للنفي أو النقد أو التعديل

---

[1] رودي بارت. الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية.- مرجع سابق.- ص ١٠.

[2] انظر: عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.- مرجع سابق.- ١١٩-١٣٨.

[3] يقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: «... فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد بن جرير -رحمه الله تعالى- حيث قال: ثنا محمد بن بشار، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا سفيان حدثني عبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار». انظر:إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الحافظ عماد الدين، أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم.- ٤مج.- بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.- ١/٥.

أو التحريف أو الزيادة أو النقص. ونتعامل مع القرآن في دراسته من حيث تفسيره وقراءاته وأسباب نزول الآيات فيه، والناسخ والمنسوخ مما هو معلوم في "علوم القرآن الكريم" مما يدور حوله ولا يدخل في "صلب النص" من حيث ثباته من عدمه. وقد تتبع "محمد حسين علي الصغير" وقفات المستشرقين مع القرآن الكريم والدراسات القرآنية.(١)

هذا مع فئة من المستشرقين الأوائل الذين نظروا إلى الثقافة الإسلامية وطبقوا على ادراستها معاييرهم النقدية. وهذا خطأ علمي منهجي كان يتوقع أن يتخلّص منه المستشرقون المتأخرون الذين يظهرون أنهم "علميون جامعيون موسوعيون". ولكن "نذير حمدان " يفنِّد هذا بنفيه العلمية والجامعية والموسوعية عن الغالبية العظمى من المستشرقين حيث يقول في رده على "ميكائيل أنجلو جويدي"(٢): « إن السمات العلمية التحليلية التي طرحها الكاتب على الاستشراق لا تعبر عن أعمال المستشرقين عموماً، وليست نتيجة لجهودهم المدرسية، فإن الموسوعية والنموذجية والقياسية

---

(١) محمد حسين الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية.- بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م.- ١٣٥ص.

(٢) مايكل أنجلو جويدي (١٨٨٦-١٩٤٦م) مستشرق إيطالي، وهو ابن علامة المستشرقين "إغناطيوس جويدي (١٨٤٤-١٩٣٥م)، تعلم العربية ودرس في إيطاليا ومصر، أكب على كتابة تاريخ العرب، إلا أنه توفي قبل إكماله، وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٥١م وينتهي بوفاة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- ٤٤١/١-٤٤٢.

والجامعية سمات يندر أن تجتمع في بعضهم، إن لم نقل يستحيل أن تتوفر في أحدهم، وإن ظهر منهم أعلام لهم سمعتهم الثقافية المرموقة».[1]

ومما يؤيد صعوبة الخروج كذلك من النظرة الغربية للفكر الإسلامي اللجوء إلى التعصُّب والخروج بنتائج سالفة تبنى عليها فيما بعد الأدلة، أي أن الاستنتاج يبنى قبل أن تحلّل الوقائع والأحداث، فتطوّع الوقائع والأحداث للاستنتاج المسبَّق على غرار ما كانت تقوم به دواوين التفتيش في "العصور الوسطى". يقول "محمد أسد":« ... وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكِّرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التي أنشأتها الكنيسة الكاثولوكية لخصومها في العصور الوسطى، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرُّد، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متّفق عليه من قبل قد أملاه عليها تعصُّبُها لرأيها. ويختار المستشرقون شهورهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون إليه مبدئياً».[2]

ويقول "أبو الحسن الندْوي": «ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعيّنون لهم غاية ويقرّرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم

---

[1] نذير حمدان. الرسول -صلى الله عليه وسلم- في كتابات المستشرقين.- ط٢.- جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.- ص ٣٢.

[2] محمد أسد. الإسلام على مفترق الطرق.- ترجمة عمر فروخ.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤م.- ص ٥٣.

يقومون لها بجمع معلومات -من كل رطب ويابس- ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدّمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم ».[1]

ويذكر "حسين مؤنس" « أن المستشرق المعاصر "جاستون فييت"[2] قد عرض تاريخ الإسلام في كتابه (مجد الإسلام) عن طريق صفحات مختارة من أقوال المؤرّخين والكُتّاب المعاصرين لكل فترة من فترات تاريخ الإسلام والمسلمين. وعلى الرغم من ذلك فإن كتاب (مجد الإسلام) ينضح بالحقد والطعن في الإسلام والمسلمين وتاريخهم، لأن المؤلف "جاستون فييت" اختار فقط النصوص التي تتفق مع الاتجاه الذي اختاره هو سلفاً، وهو اتجاه يتّسم بالعداء والكراهية للإسلام ».[3]

---

[1] أبو الحسن علي الحسني الندوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين، واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين في الموضوعات الإسلامية.- ط٣.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.- ص ١٦.

[2] جاستون فييت (١٨٨٧-١٩٧١م) مستشرق فرنسي تخرج باللغة العربية الفصحى، وأجاد بعض اللهجات العربية المحلية واللغة الفارسية والتركية. وكتب كثيراً عن مصر الحاضرة، وترجم لبعض أدبائها المعاصرين. انظر: نجيب العقيقي.- المستشرقون.- مرجع سابق.- ١/٢٧٦-٢٨٠.

[3] حسين مؤنس. «كتاب (مجد الإسلام) لجاستون فييت».- في: محمد البهي. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.- مرجع سابق.- ص ٤٥٧-٤٧١.

الحكم من الواقع:

ومن المستشرقين من استهوتهم الرحلة إلى عالم الشرق، فقضى أياماً أو أشهراً في إحدي ديار المسلمين، ودرس أحوالهم على ما هم عليه من تخلُّف تركه لهم الاستعمار، وأعان عليه الجهل بالدين والحياة، ثم ظهر من ذلك بكتاب أو عدة مقالات تنشر في دوريات علمية استشراقية. وجعل من هذا الواقع الذي عاينه مجالاً واسعاً للحكم على الإسلام والمسلمين في ماضيهم وحاضرهم، وفي مختلف المواقع التي يعيشون عليها. فإذا زار أحد المستشرقين مصر -مثلاً- ورأى ما فيها من عادات وتقاليد في المدن والأرياف لا تتفق بالضرورة مع روح الإسلام، بل إنها منافية للتعاليم الإسلامية، جعل هذه التقاليد عامة على المسلمين، وإن يكن شيء منها ليس من الإسلام ولا يمارس في بلاد إسلامية أخرى. وإذا زار مستشرق آخر مضرباً من مضارب البادية في جزيرة العرب -مثلاً- كتب عن هذه المضارب على أنها تمثِّل المجتمع المسلم كله، وإن يكن من عادات أهل هذه المضارب ما لا يتفق بالضرورة مع التعاليم الإسلامية. والقاعدة عندنا أن تصرُّفات العباد تقاس بمدى تمسُّكهم بالإسلام، فالإسلام هو الحجة على الناس، وليس العكس.

والإنتاج العلمي في هذا المجال كثير تزخر به كتب الرحلات. ولعل من قبيل التمثيل العودة إلى كتاب (العقل المسلم) للمستشرقة الأسترالية "تساريس وادي"، وهو كتاب وصفي لأوضاع المسلمين في الزمن الذي كانت

فيه هذه الكاتبة تجوب بعض المجتمعات الإسلامية.[1]

ومثل ذلك الكتاب الذي ظهر به المستشرق الإنجليزي "إدوارد وليم لين"[2] بعنوان (المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم). وقد وقف معه "عدلي طاهر نور" وقفات طويلة في مجلة الرسالة.[3]

ومثل هذا الانتاج الأدبي الوصفي القائم على المشاهدات والانطباعات والخروج منها بأحكام عامة زماناً ومكاناً من شأنها أن تقدّم صورة غير دقيقة عن الإسلام والمسلمين تبعد الآخرين عن تلمّس الموضوعية في دين هو حجة على الناس، ويقاسون به بدلاً من أن يكونوا حجة عليه ويقاس بهم.

الخلاصة والنتيجة:

يُتّهم المستشرقون بعامة بضعف أمانتهم العلمية فيما يتعلق ببحوثهم ودراساتهم حول الإسلام والمسلمين. وتتضح هذه التهمة من خلال استقراء

---

(1) عبد الجليل شلبي. صور استشراقية.- مرجع سابق.- ص ١٠١-٢١٦.

(2) إدوارد وليم لين (١٨٠١-١٨٧٦م) مستشرق إنجليزي نبغ في الرياضيات، وألم بالعربية، ودرس حضارة قدماء المصريين، وقصد مصر، وألف كتابه بإنجلترا، وترجم كتاب (ألف ليلة وليلة). انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢: ٥٤-٥٥.

(3) عدلي طاهر نور. «المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم، تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين -١-».- الرسالة.- مج ٩، ع٤٢٤ (٢٥/٧/١٣٦٠هـ-١٨/٨/١٩٤١م).- ص ١٠٤٢-١٠٤٥. إلى مج١١، ع٥٠٦ (٩/٣/١٣٦٢هـ-١٥/٣/١٩٤٣م).- ص ٢٥٣-٢٥٦.

الإنتاج العلمي لهؤلاء المستشرقين. إلا أن الاستقراء والاستقصاء متعذران إذا ما أريدت الإحاطة التامة بالإنتاج العلمي للمستشرقين، بل إني أزعم أن أخذ عينات من فئات ومدارس وأزمنة مختلفة للمستشرقين تدخل في حكم المتعذر على الباحثين الأفراد، ولذا يصعب التعميم الذي يطلقه بعض الباحثين العرب من وصف جميع المستشرقين بانتفاء الأمانة العلمية لديهم في استشهاداتهم المرجعية، وانتفاء التعميم يعني وجود حالات من انعدام الأمانة العلمية لدي بعض المستشرقين.

ولعل مما ساعد على إطلاق هذا الاتهام عدة عوامل من أهمها:

١- انطلاق المستشرقين ابتداءً من الأديرة والكنائس، مما يؤكد الخلفية الدينية لظاهرة الاستشراق،

٢- كون المستشرقين ينطلقون ثقافياً من معتقدات لا تؤمن بالإسلام ديناً شاملاً لكل الأماكن والأزمنة،

٣- الشعور المستمر بالعداء بين الأسلام والديانات الأخرى، وأن الإسلام يهدد وجود هذه الأديان ورعاتها،

٤- اعتماد المستشرقين المتأخرين في مصادر معلوماتهم عن الإسلام والمسلمبن على المستشرقين المتقدمين زمنياً ممن عرف عنهم عداؤهم المفضوح للإسلام والمسلمين،

٥- جهل معظم المستشرقين بلغة الإسلام الأم وهي اللغة العربية، وباللغات الأخرى التي يتحدثها المسلمون غير العربية،

وتتبُّع هذه الحالات من إجل إثباتها بالشواهد المادية يحتاج إلى جهود

علمية مضنية مؤسسية جماعية من أجل الخروج بحكم علمي موثق قد يصل في النهاية إلى عدم الاكتراث بإسهامات المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية،[1] وليس بالضرورة في مجالات خدمة التراث الإسلامي من نواح علمية أخرى كحفظ المخطوطات وفهرستها والأعمال "الخدمية" الأخرى التي لا تتعلق بالدراسة والتحليل والغوص في النصوص. وليس في هذا محاولة ل"تحريم" النصوص الإسلامية من الوحي وغيره على الآخرين، فلا أحد يملك اليوم هذا التحريم عملياً، ولكن المقصود هو وضع هذه الدراسات التي تنتفي فيها الأمانة العلمية من استخدامها في مصادر الدراسات العلمية الجادة.

وأرى أن الوصول إلى هذا الحكم متعذر الآن، ذلك أن دراسات المستشرقين قد نالت قبولاً قوياً لدى الأوساط الثقافية العربية والإسلامية، وبدا تأثيرها واضحا على الإنتاج العربي والإسلامي مما يحتاج إلى دراسات مستقلة تتتبع مدى هذا التأثير.

ويؤيد تعذر الوصول إلى حكم تعميمي على انتفاء الأمانة العلمية لدى المستشرقين في نقلهم من المصادر العربية عدة عوامل منها:

١- كثرة الإنتاج الفكري لدى المستشرقين،

٢- تعدد الموضوعات التي طرقها المستشرقون داخل إطار الثقافة

---

[1] علي بن إبراهيم النملة. أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين.- مرجع سابق.- ص ٥٥٩-٥٦٤.

الإسلامية والعربية،

٣- تعدد منابع الإنتاج الفكري لدى المستشرقين بحيث يشمل الغرب كله -تقريباً- وأجزاء من الشرق كذلك،

٤- تعدد لغات الإنتاج الفكري التي كتب بها المستشرقون دراساتهم وأبحاثهم،

٥- طول المدة الزمانية التي يدرسها المستشرقون، إذ إنها تمتد من الجاهلية إلى الزمن الحاضر،

٦- طول المدة الزمانية التي باشر فيها المستشرقون دراساتهم وأبحاثهم، فهي تمتد من ١٣١٢م إلى الزمن الحاضر،

٧- تعدد فئات المستشرقين بحسب انتماءاتهم الدينية والفكرية مما ينعكس على مدى موقفهم من الموضوعات الإسلامية التي يدرسونها،

٨- تعدد المدارس الاستشراقية التي ينطلق منها المستشرقون مما يؤثر في النظرة إلى الثقافة الإسلامية،

٩- اختلاف الدوافع التي ينطلق منها المستشرقون والأهداف التي يرمون إليها من خوضهم في الثقافة الإسلامية.

ويمكن علمياً -في نظري- متابعة فرضية عدم الأمانة العلمية لدى المستشرقين في نقلهم من المصادر الإسلامية إذا ما ضُيِّقت النظرة بحيث تقتصر على إحدى الزوايا التالية من ظاهرة الاستشراق:

١- دراسة الإنتاج الفكري لمستشرقين معينين من أعلام الاستشراق،

وتتبع استشهاداتهم المرجعية،

٢- دراسة مدرسة واحدة من مدارس الاستشراق وتتبع استشهاداتها المرجعية،

٣- دراسة فئة واحدة من فئات المستشرقين وتتبعها في مدى دقتها في استشهاداتها المرجعية من المصادر الإسلامية،

٤- دراسة "حقبة" زمانية من حقب الاستشراق التي مرَّ بها وتتبع مدى عنايتها بالاستشهادات المرجعية من المصادر الإسلامية،

٥- دراسة موضوع واحد من الموضوعات التي طرقها المستشرقون، وتتبع مدى اهتمامهم بالمصادر الإسلامية حول هذا الموضوع،

٦- دراسة الإنتاج الفكري الاستشراقي بلغة بعينها ومتابعة مدى التزام هذه اللغة بالأمانة العلمية في الاستشهاد بالمصادر الإسلامية. والذي يبدو لي أن دراسة الإنتاج الفكري الاستشراقي بلغة من لغات الاستشراق من الأمور المتعذرة علمياً، إلا إذا ربطت الدراسة بمتغير آخر من أحد المتغيرات التي مرت كالموضوع أو العلم أو الزمان،

ودون أخذ هذه المتغيرات في الحسبان يصعب الحكم السريع على ظاهرة الاستشراق بناء على انطباعات مسبقة تقود إلى الأحكام التعميمية. والخروج بنتائج علمية قائمة على البرهان بالأدلة والشواهد كفيل بأن يضع هذه الظاهرة في موضعها الذي يليق بها في مجالات الإسهام في دراسة الإسلام ديناً وثقافة وفكرا.



الفصل الثاني

أعمال المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين[1]

---

(1) نشر هذا الفصل في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ع ٧ (ربيع الآخر ١٤١٣هـ - أكتوبر ١٩٩٢م). - ص ٥١٩ - ٥٦٣.

* ثم غلا قومنا غلوا غير مستساغ في تمجيد المستشرقين والإشادة بذكرهم، والاستحذاء لهم، والاحتجاج بكل ما يصدر عنهم من رأي خطأ أو صواب، يتقلدونه ويدافعون عنه، ويجعلون قولهم فوق كل قول، وكلمتهم عالية على كل كلمة، إذ رأوهم أتقنوا صناعة من الصناعات. صناعة تصحيح الكتب، فظنوا أنهم بلغوا فيما اشتغلوا به من علوم الإسلام الغاية، وأنهم اهتدوا إلى ما لم يهتد إليه أحد من أساطين الإسلام وباحثيه، حتى في الدين: التفسير والحديث والفقه.

أبو الأشبال

أحمد محمد شاكر

المدخل:

الاستشراق ظاهرة تمثل الاهتمام بعلوم الشرق بعامة وبعلوم المسلمين بخاصة، ولم يقتصر اهتمامها على العلوم فحسب، بل امتد الاهتمام إلى الثقافة والآداب والعادات والتقاليد والأساطير ونحوها. وقد كان لهذه الظاهرة في الآونة الأخيرة أثرها في الدراسات الإسلامية منذ بدأت حركة التأليف الجادة في المحيط العربي الحديث بعد الصحوة من سيطرة الاستعمار، فقد تنبه العرب والمسلمون على إسهامات المستشرقين في تراث المسلمين، وكان هذا التنبُّه قد جاء في وقت كان المسلمون فيه قد وصلوا إلى مرحلة خطيرة من التقهقر السياسي والاجتماعي والاقتصادي نتيجة للبعد عن الدين نفسه مما أثر في جزء غير قليل منهم في ثقتهم بانتمائهم لهذا الدين، فكان أن انبهر جزء كبير منهم بهؤلاء المستشرقين وهم ينتمون إلى ثقافة غير الثقافة الإسلامية فيتحدثون عن القرآن الكريم وعن سيرة الرسول محمد ـ ﷺ وسنته وعن التاريخ الإسلامي وسير رجاله عائدين في توثيق أحاديثهم إلى أمهات الكتب والمصادر الإسلامية لعلوم المسلمين[(١)].

ومع وصول المسلمين إلى مرحلة خطيرة من التقهقر كانت هناك فئة منهم تمسكت بدينها على أصوله الصحيحة. فلم يثق هؤلاء بالمستشرقين وهم يتحدثون عن الإسلام وتراث المسلمين، لأن هذه الفئة المتنبهة أدركت أنه لن يخدم الإسلام والمسلمين إلا أهل الإسلام وأبناء المسلمين، وبنت هذا الإدراك على استقراء آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[(٢)] وعلى

---

(١) نؤكد دائماً للطلبة الدارسين لمصادر التراث بقسم المكتبات والمعلومات. وفي كل مقام أن القرآن الكريم وسنة المصطفى ـ ﷺ ـ ليست من التراث، لأنه لا ينطبق عليها ما ينطبق على مفهوم التراث من المراجعة والأخذ والرد والنقد ونحوها مما لا يصدق على كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ.

(٢) الآية (١٢٠) من سورة البقرة.

استقراء التاريخ ومواقف اليهود والنصارى من الإسلام والمسلمين منذ بعثة محمد - ﷺ - فقد بدأت السبئية تضرب أطنابها في المجتمع المسلم منذ سنيه الأولى[1]. وقد عرف في التاريخ الموثق أن اليهود سمّوا الرسول - ﷺ[2] - وأن لهم ضلعاً في فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه -، وأن كيدهم استمر مع استمرار هذا الدين مما يوحي بالاستمرار في هذا الخبث لأن هذا الدين مستمر ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3].

ولم يكن موقف النصارى من الإسلام والمسلمين بأقل من موقف اليهود خبثاً، وإن لم يبد هذا ظاهراً إلا إبان الحروب الصليبية التي امتدت سنين عديدة[4]. فكان أن عد هؤلاء المتنبهون من المسلمين إسهامات المستشرقين داخلة في هذا الصراع، إذ أدركوا أن هذا المستشرق أو ذاك ممن يتحدث عن الإسلام والمسلمين قد نشأ وتربى على هذه الخلفية المعادية للإسلام والمسلمين، فعرّفوا المستشرق على أنه «أعجمي ناشيء في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها (ألماني أو إنجليزي أو فرنسي)، متى استوى رجلاً في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين فهو قادر، أو مفترض أنه قادر، تمام المقدرة على التفكير والنظر، ومؤهل، أو مفترض أنه مؤهل أن ينزل في ثقافته ميدان «المنهج» و«ما قبل المنهج» بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أن يكون كذلك. ولكن هذا الفتى يتحول فجأة عن سلوك هذا

---

(١) نسبة إلى عبد الله بن سبأ. وستأتي إشارة إلى هذا التوجه فيما يلي من الصفحات.

(٢) وكان هذا في خيبر. وسيأتي الحديث عن هذه الحادثة فيما يلي من الصفحات.

(٣) الآية (١٩) من سورة آل عمران.

(٤) بدأت في ربيع الثاني ٤٩١ هـ/مارس ١٠٩٨ م وانتهت في شعبان ٦٩٠ هـ اغسطس ١٢٩١ م. انظر سعيد عاشور. الحركة الصليبية - ج ٢ - القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٦ م - ٢/١١٢٦.

الطريق ليبدأ في تعلم لغة أخرى[١]، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيراً، ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعاً «يدخل قسم» اللغات الشرقية في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدي تعلم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوز في العربية، ويتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها من أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضرين في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرج لنا «مستشرقاً» يفتي في اللسان العربي والتاريخ العربي والدين العربي»[٢]. فهو هنا يتحدث عن ثقافة لا يؤمن بها، ولا يعمل بها، ولا ينتمي إليها، وتلك هي أعمدة الثقافة الثلاثة وأركانها (الإيمان والعمل والانتماء) لا يكون لها وجود ظاهر إلا بها[٣].

وبين هذين الموقفين كان أخذ ورد، وهجوم ودفاع وتكريم وتشهير، حتى تخطى الإنتاج الفكري في هذا المجال ألفي عمل بين كتاب ومقالة ومحاضرة وحديث في المجلات الثقافية السيارة في اللغة العربية

---

(١) وهذا قد يصدق على بعض المستشرقين اليهود الذين بدأوا رحلتهم بدراسة العبرانية ثم توسعوا لدراسة اللغات السامية فوجدوا منها العربية أكثرها حيوية وتراثاً ومتحدثين فانعطفوا عليها يدرسونها ويدرسون تراثها وأهلها قصداً إلى إيجاد الثغرات فيه مما يوحي بالامتداد في الكيد للإسلام وأهله. ولعل إمام هؤلاء «إجناس جولدتسيهر» حيث مر بهذه المراحل حتى استقر به المقام أن يكون علماً من أعلام المستشرقين» انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ج ٣ ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١ ـ ٣/٤٠ ـ ٤٢.

(٢) محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ـ القاهرة: دار الهلال، ١٤٨٨ هـ ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠ ـ (سلسلة كتاب الهلال/٤٤٢).

(٣) عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ١٤١١ هـ ـ ص ٧٣ ـ (سلسلة كتاب الأمة/٢٧) نقلاً عن محمود محمد شاكر في رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ـ ٩٨.

فقط[1]، ولم يتفق المثقفون العرب (والكاتبون بالعربية من غير العرب) على تحديد موقف إزاء هذه الظاهرة، فكان أن أوصلها البعض إلى علم له نظريته ومنهجه، وله وصفه وأهدافه وغاياته، وأوقفها البعض عند مجرد الظاهرة المؤثرة في المجتمع المسلم المثقف وغير المثقف، مثلها في هذا مثل التنصير والاستعمار، فجعلها معولاً من معاول الهدم وجناحاً من أجنحة المكر[2]، ولم يتفق المثقفون العرب (والكاتبون بالعربية من غير العرب) على تعريف لمفهوم الاستشراق، كما لم يتفقوا على بداياته الأولى. فهناك أربعة مفهومات حول الاستشراق تبدأ من المفهوم الأعم إلى المفهوم الأخص، كما أن هناك أكثر من اثنى عشر رأياً حول انطلاقة الاستشراق وبداياته.

فالتعريف الأعم للاستشراق هو دراسة الشرق، ثقافاته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأساطيره وتاريخه من قبل علماء ومؤسسات غربية[3] وبين الأعم والأخص عام وخاص. والتعريف الأخص - عندي - هو دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين وعقائدهم وثقافتهم وتراثهم وأساطيرهم من علماء غير مسلمين ومؤسسات غير مسلمة. وواضح أن هذا التعريف الأخص يخرج أولئك الذين يدرسون ثقافات شرقية غير

---

(١) علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢ هـ.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير - الاستشراق - الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه - ط ٤ - دمشق: دار القلم، ١٤٠٥ هـ - وانظر إسهامات أنور الجندي، مثل الإسلام في وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق، وسموم الاستشراق في العلوم الإسلامية، والشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، وشبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي.

(٣) رودي بارت. الدراسات الإسلامية في الجامعة الالمانية - ترجمة مصطفى ماهر - القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ م - ص ١١.

إسلامية، كما يدخل أولئك العرب غير المسلمين ممن لهم إسهامات مباشرة في علوم المسلمين. ومثل هذا التعريف يحدث شيئاً من اللبس ناتج عن غموض فكرة الاستشراق.

والبدايات الأولى للاستشراق عند الباحثين العرب (والباحثين بالعربية من غير العرب) تختلف إلى مدى قد يصل إلى أكثر من ستمائة (٦٠٠) سنة. فالبداية عند البعض تعود إلى غزوة مؤته على عهد النبي - ﷺ[١] - وهي عند البعض من علماء المسلمين ومثقفيهم تبدأ رسمياً سنة ١٣١٢ ميلادية مع صدور قرار مجمع «فيّنا» الكنسي بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية وغيرها من اللغات في عدد من الجامعات الأوروبية[٢]. وبين تلك وهذه يبرز العالم النصراني «يوحنا الدمشقي»[٣] الذي كتب لإخوانه في النصرانية مما كتب (محاورة مع مسلم) وكتاب (إرشاد النصارى في جدل المسلمين) وكان في هذا القرن الأول الهجري/ نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي[٤].

ولست بصدد التوسع في هذه الوقفات، فليرجع إليها في مظانها، ولكنها على أي حال تفتح لنا المجال لنغوص في الإسهامات نفسها لنرى مدى المنهجية في التعامل مع الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي

---

(١) ومؤته قرية من أرض البلقاء بالشام. وكانت الغزوة في جمادي الأولى سنة ثمان للهجرة، وقابل فيها المسلمون الروم. وهي التي تعد الانطلاقة العلمية الأولى للمسلمين خارج الجزيرة العربية. انظر عبد السلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام ـ ط ٣ د. م: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٩٦ هـ ـ ص ٢٧٠.

(٢) إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء ـ نقله إلى العربية كمال أبو ديب ـ بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤ م ـ ص ٨٠.

(٣) يوحنا الدمشقي، معلم الكنيسة، الف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ١/٧٢.

(٤) نجيب العقيقي المستشرقون ـ ١/٧٢.

من هذه الفئة التي لم تقتصر إسهاماتها على التراث فحسب، بل هي لا تزال تبحث في الواقع الذي نعيشه اليوم، تقدم حوله الدراسات التي يعتمد عليها في القرار السياسي والعسكري والاقتصادي والعلمي. وإنني أحمّل المستشرقين غير يسير مما وصلنا إليه اليوم فيما قبل الأزمة وما بعدها(١). بل إنني أرى أن لهم قصب السبق في توجيه دفة تلك القرارات(٢).

وكما اختلف في المفهوم والبدايات اختلف كذلك في الدوافع والغايات، ويؤكد أحد الباحثين أن الدوافع والأهداف مهما اختلفت وتنوعت فإنها لا تخرج عن غايتين يمكن تلخيصهما بأنهما حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويحمل رايته أولاً، ثم معرفة الشرق ودراسة أرضه ومياهه وطقسه وجغرافيته ورجاله وتراثه قصداً إلى الوصول إليه ثانياً(٣).

---

(١) المقصود هنا الأزمة التي نتجت عن غزو العراق للكويت في ١١/١/١٤١١ هـ ٢/٨/١٩٩٠ م.

(٢) شاع الآن أن بعض مراكز الدراسات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأوروبا مدعومة من قبل وكالات الاستخبارات، وأنها تُستأجر في إجراء دراسات حول الأوضاع الراهنة في المنطقة. وهناك وثائق تؤيد هذا صدرت عن بعض رؤساء هذه المراكز التي تدرس المجتمع الإسلامي المعاصر وتنظر إلى التغييرات التي يعيشها المجتمع، وترتكز على منبع هذه التغييرات وتوصي بمواجهتها إن بدا منها ما يهدد المصلحة الأجنبية في المنطقة. وأهم هذه التغييرات متابعة الصحوة وأثرها على القرار السياسي. والمركز التابع لجامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية مثال على ذلك.

(٣) عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين. ص ٣٨ ـ ٣٩. وهناك من يفصل في الدوافع والغايات فيوزعها إلى سياسة وتنصيرية واستعمارية وتجارية وعلمية، والعلمية إما نزيهة وإما مشبوهة. بل إن هناك من يفرق بين الدوافع والأهداف فيعطي لكلٍ عواملها المستقلة. وينبغي التنويه هنا إلى أن هذه الوقفة إنما هي عالة على هذا الكتاب وكتاب آخر للمؤلف نفسه عن المستشرقين والتراث سيأتي بيانه. ورغم إثباتهما في أكثر من موضع إلا أنه من المهم التأكيد على أن الفكرة والمعلومات مستقاة منهما ثم من المراجع المساندة الأخرى.

ولكنه لن يصل إليه ما دام هذا الشرق قد تمثل الثقافة بأعمدتها الثلاثة، الإيمان والعمل والانتماء، فكان لا بد من السعي إلى زعزعة هذه الأركان الثلاثة أو بعضها بحيث تصبح الثقافة «مجرد معلومات ومعارف وأقوال مطروحة في الطريق متفككة لا يجمع بينها جامع ولا يقوم لها تماسك ولا ترابط ولا تشابك»[١]. ويمكن أن تتزعزع هذه الأركان الثلاثة عندما يتمكن الاستشراق من إبعاد سلطان الدين عن النفوس. وتلك محاولة صرح بها «هاملتون جب»[٢] في كتابة (وجهة الإسلام)[٣] حيث يقول عن العمل الاستشراقي: «كانت النتيجة الخالصة لهذه الحركة التعليمية (على الطريقة الغربية) أنها حررت ـ بقدر ما كان لها من التأثير ـ نزعة الشعوب الإسلامية من سلطان الدين دون أن تحس الشعوب بذلك غالباً، وهذا تقريباً هو جوهر كل نزعة غربية فعالة في العالم الإسلامي»[٤] ويقول كذلك في الكتاب نفسه: «تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلاً من شريعة القرآن»[٥].

ولا يستطيع المستشرقون ـ أو غيرهم ـ أن ينزعوا العلم من صدور

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٧٣.

(٢) مستشرق بريطاني (١٨٩٥ ـ ١٩٧١م)، اهتم بالأدب العربي، تتلمذ على كيندي، وخلف جليوث في أكسفورد. له إسهامات عدة حول الإسلام والعربية والرحلات. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ٢/١٢٩ ـ ١٣١.

(٣) ذكر نجيب العقيقي (٢/١٣٠) أن من كتبه الاتجاهات الحديثة في الإسلام «وهو خير كتبه». وقد كلف مجموعة من المستشرقين بالكتابة فيه، واكتفى منه بالمقدمة والخاتمة.

(٤) عابد بن محمد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها: دراسة وتطبيقاً ـ مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨ هـ ـ ص ١.

(٥) نقلاً عن المرجع السابق ـ ص ١.

الناس، كما لا يستطيعون إبعاد سلطان الدين عن النفوس إلا بتقويض الأعمدة الثلاثة للثقافة. فنحن ندرك أن التحول لا يكون سريعاً، ولكن العلم يتضاءل من الصدور، فيكثر الخلط والجهل، وتهتز الثقة، فيكون البحث عن البديل فيخرج في الأمة من يتمثل فيه ذلك، فيدعو إلى نبذ الماضي، وإعادة التشكيل الثقافي وفق النمط الغربي، والتقليل من قيمة الميراث الثقافي أو قراءته بأبجدية النسق الغربي[1] وإن لم يكن ذلك ممكناً فلا بأس من الانتقاء من التراث الديني والأدبي والثقافي نقاطاً تهز الثقة، مرت عبر التاريخ الحافل بكل شيء حسن في معظمه، سيء في بعض مواضع منه، ولا بأس من وأد اللغة الأم وجعلها مقصورة على المعابد، وجعل لغات أخرى هي لغة المعاهد، فالفرنسية في المغرب، والإنجليزية في المشرق، وربما الروسية بينهما، حتى تصل لغة المعابد إلى مستوى غير مفهومة فيه، خاضعة للترديد دون إدراك للمعنى مع إدخال اللهجات فيها حتى يتم إحلالها محلها، فتتفكك الرابطة، ويصبح العربي في بلاده وأهله غريب اليد واللسان، وإن لم يكن غريب الوجه، ويصبح لزاماً عليه أن يسير مع الركب وإلا صدقت عليه ادعاءات التخلف والرجعية، والتقوقع على الذات دون الإفادة من الثقافات الأخرى المحيطة بالمجتمع المسلم قديمه وحديثه. فأدى الخوف من الوصم بالتخلف والرجعية والتقوقع إلى أن يتبنى بعض أبناء المسلمين الثقافات الغربية عليهم وعلى مجتمعهم، واستدعى هذا التبني محاولة الانسلاخ من الماضي بإهانته والتقليل من شأنه وحصر آثاره على الوقت الذي ظهرت فيه هذه الآثار دون امتداد إلى المستقبل مما يستدعي - في نظر هؤلاء المنبهرين بالثقافة الغربية - السير في «ثقافة عالمية» قادمة من الغرب أومن الشرق.

---

(١) عمر عبيد أبو حسنة. في مقدمة كتاب عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين. ص ١٨.

وتلك ربما تكون نتيجة من نتائج إبعاد سلطان الدين من النفوس التي تأتي نتيجة من نتائج الفعل الاستشراقي.

وإذا سلمنا بأن العلم والثقافة لا تنتزع من الصدور انتزاعاً ـ ونحن مسلِّمون بهذا ـ سلمنا بأن الوقت عامل مهم في تحقيق ذلك، ومع الوقت تأتي الجهود في تحقيق الهدف أو الغاية الثانية التي مر ذكرها آنفاً، وذكر أنها تسعى في النهاية إلى السيطرة على هذا الشرق سيطرة قد لا تكون بالضرورة مباشرة. وهذا متحقق إذا ما نزع العلم من الصدور[١].

مشكلة البحث:

ومن أبرز الجهود على الساحة العلمية والثقافية الإسلامية اليوم قبل الأمس ولوج المستشرقين التراث والكتابة عنه دراسة وتحقيقاً ونشراً وتبويباً وتصنيفاً وتكشيفاً، حيث وصلت مؤلفاتهم في فترة مائة وخمسين سنة (١٨٠٠ ـ ١٩٥٠ م) إلى ما يربو على ستين ألفاً بين كتاب ومقالة في الفلسفة والتاريخ والتصوف وتاريخ الأدب واللغة العربية[٢]. ونحن بحاجة اليوم إلى إحصاء ما كتبوه في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي[٣]. وهو عمل

---

(١) وهذا مستوحى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء. وكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيتخذ الناس رؤساء جهالاً فيستفتوا فيفتوا بغير علم فيضلوا ويضلوا» انظر أحمد عبد الرحمن البنا. الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ـ ج ٢٤ ـ القاهرة: دار الشبهات، د. ت ـ ١/١٨١.

(٢) عبد العظيم الديب. المنهج في كتابات الغربيين ـ ص ٣٨.

(٣) انظر مناقشة هذه الفكرة عند عبد الستار الحلوجي. «المستشرقون والعمل البيبليوجرافي» في: دراسات في الكتب والمكتبات ـ جدة: مكتبة مصباح، ١٤٠٨ هـ ـ ص ١٢١ ـ ١٢٩.

أسهل بكثير من إحصاء الناتج الفكري في الفترة السابقة، حيث تطورت أدوات الحصر الوراقي (الببليوجرافي) وانتشرت المعرفة بحكم تقنية المعلومات[١].

ويضاف إلى هذا إصدار أكثر من خمسمائة (٥٠٠) دورية ذات علاقة بالاستشراق، وإصدار أكثر من ثلاثمائة (٣٠٠) دورية متخصصة به[٢]. ومنها ما يحمل عنوانات لها جاذبية للمسلمين أنفسهم. أما المعاهد والمراكز التي تهتم بالاستشراق والدراسات العربية والإسلامية فهي اليوم تعد بالمئات في آسيا وأوروبا واستراليا وأمريكا[٣]. ونحن بحاجة إلى مزيد من التقويم الموضوعي لهذه المعاهد من خلال إسهاماتها، إذ لا يكفي أن نتخذ موقف المدافع الذي يترقب سهماً فيحتمي دونه، أو رصاصة فيهرب منها، أو صاروخاً فيطلق عليه آخر مضاد له! ولكننا في الحق لا ندري كيف نبدأ. هل نبدأ بتصحيح الأخطاء التي وقع بها المستشرقون عمداً أو عن غير قصد؟ إذاً لا نكون قد خرجنا عن موقف الدفاع. هل نتهجم على المستشرقين ونطلق عليهم عبارات بعيدة عن الروح العلمية القادرة على المواجهة والإقناع؟ إذاً نحن نغالط أنفسنا، لأن القوم مستمرون في طريقهم، ولا تصلهم رشاقتنا، هل نفتح باباً للحوار

---

(١) ويقوم معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بحصر وراقي «ببليوجرافي» لكل ما كتب عن الإسلام بالألمانية. وقد ظهر من هذا العمل الضخم مجموعة من الأجزاء أشرف عليها الأستاذ فؤاد سزكين مدير المعهد.

(٢) عمر عبيد أبو حسنة: في تقديمه لكتاب عبد العظيم الديب. المنهج في كتابات المستشرقين ـ ص ٢٢.

(٣) انظر مثلاً رودي بارت. الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية. وإسهامات أخرى فيما يتعلق بالروسية والإنجليزية. ولعل آخر ما صدر في هذا المجال الحصر الذي قامت به الملحقية الثقافية السعودية في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث حصرت عدد المعاهد والمراكز المهتمة بالدراسات العربية والإسلامية في كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية فأوصلتها إلى مائة وثلاثين مركزاً وقسماً. انظر سفارة المملكة العربية السعودية، الملحقية الثقافية بواشنطن. دليل برامج الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية ـ واشنطن: السفارة الملحقية، ١٤١١ هـ ـ ص ٢٦٨.

المباشر وننشر لهم أعمالهم ونعقد المؤتمرات معهم في دياريهم وفي ديارنا؟ وهنا نقف عاجزين إذاً ما قابلناهم بالشعور أنهم متفوقون علينا، وتكون نظراتنا لهم نظرات المستجدي الذي يطلب من الطرف المتفوق عليه سماع ما لديه، ليس فقط الاستماع له من طرف واحد، وهنا تبرز أمامنا مشكلة الثقة، كما تبرز أمامنا مشاعر مختلطة قوامها أن القوم ضدنا، فهم يريدون التأثير علينا لا التأثر بنا. ويبدو أن المجال هنا غير محدد في مدى السماع منهم ولهم، ويبدو أن معظمهم قد حددوا موقفهم منا، فيقربون منا من يسير على نهجهم ويبدو عليه تأثيرهم، كما يبدو عليه شيء من القدرة على أن يسهم في هذا النهج[١]. ولذا نراهم أبعدوا من دائرتهم ذلك الباحث الذي كتب رسالة الماجستير عن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - كتابة إسلامية، فلم يتيحوا له الاستمرار في الدراسة ناصحين إياه أن يتوجه إلى (الأزهر) إذا كان سينظر إلى موضوعات الدراسة هذه النظرة[٢]. وكانوا يتوقعون منه أن يسهم في شيء يغير فيه النظرة - ولو قليلاً - حول زوجات الرسول - عليه السلام -؛ وبخاصة منهن من كان لها التأثير القوي على المجتمع المسلم إلى اليوم مثل «عائشة بنت أبي بكر الصديق»، و«خديجة بنت خويلد» - رضي الله عنهما - ومن كان لهن إسهام في رواية الحديث، فما استطاعوا أن يملوا على الباحث الكفيف وجهة نظرهم في هذا المجال. ولم يستطيعوا تشكيله

---

(١) وأزعم ان معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت بالمانيا يسعى إلى تحقيق هذه النظرة. كما ان هناك جهوداً بدأت السنة الماضية ١٤١١ هـ تحاول إقامة مؤسسة علمية في المانيا. ايضاً، تسعى إلى قيام حوار مباشر مع المستشرقين. وهي في خطواتها الأولى. ولا يدري مدى قدرتها على الوقوف على قدميها إذا لم تكن رؤيتها واضحة فتلقى الدعم والتشجيع المعنوي والمادي والمتابعة من قبل المهتمين بمثل هذه الجهود.

(2) Farouq Mohamed El-Zayat. Mutter des Glaubigen Munchen. HKD Bavaria - Handels & Verlogs, (1982). 109s.

ثقافياً في ضوء رؤيتهم المحدودة ولم يتمكنوا من أن يملوا عليه وجهة نظرهم بشكل أو بآخر[1].

وإذ لم يوفقوا إلى كثير من التلاميذ العرب والمسلمين فإن هذا يعد عندهم هدفاً ثانوياً وإن كان يدخل - أيضاً - في الغاية الثانية المذكورة سلفاً، ومع هذا فالأدبيات حول الاستشراق تتحدث عن التلاميذ وتذكرهم بالاسم، وتبين مدى تأثرهم بأساتيذهم من المستشرقين[2].

وإذ لم يوفقوا إلى كثير من التلاميذ العرب والمسلمين فقد نجحوا في التأثير على مجتمعاتهم فيما يتعلق بالنظرة إلى الإسلام وإلى نظام الإسلام في الحياة. وكان التأثير منطلقاً للنظرة إلى المجتمع المسلم المعاصر، حيث يبرز تأثر المثقفين العرب تأثراً غير مباشر بهؤلاء المستشرقين، وإنما التأثر ينصب على الأفكار التي جاء بها المستشرقون فساحت وانتشرت آخذة سبلاً وقنوات عدة في هذا التأثير، وكان هذا أسهل بكثير من التلقي المباشر لهذه الأفكار على أيدي المستشرقين وفي معاهدهم، فكان أن أسهموا في الفجوة بين المسلم وثقافته. وهذا واضح

---

(١) وهنا يقول عمر عبيد أبو حسنة. مرجع سابق ص ١٧: «لقد اهتم المستشرقون بالتشكيل الثقافي للأمة المسلمة في ضوء رؤية معينة، وخطة مدروسة، لذلك ولجوا جميع الميادين وحاولوا الوصول والتحكم بالموارد الثقافية كلها، وبحثوا ونقبوا وأثبتوا وجهة نظرهم، وتفسيرهم في الكثير من القضايا المعرفية إلى درجة يمكن معها القول: بأن الاستشراق استطاع أن يملي على الكثير منا وجهة نظره في مجالات متعددة بشكل أو بآخر، وإن كان مدى التأثير يختلف من شخص إلى آخر». ولعل صاحبنا هنا لم يخضع لهذا التشكيل.

(٢) انظر مثلاً الغزالي: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين - القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥ م - ص ٨. وانظر أيضاً محمد أحمد دياب. أضواء على الاستشراق والمستشرقين - القاهرة: دار المنار، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م. - ص ١٤٧ - ١٥٩. وقد ركزت كثير من الإسهامات على أبرز التلاميذ. وأظن أن الأمر ليس مقصوراً عليهم وحدهم فحسب، فالتلاميذ كثر البارز منهم وغيره.

في كثير من الإسهامات التي اعتمدت على دراسات المستشرقين مراجع لها في مادتها العلمية.

وذكر أسماء مؤلفات بعينها متأثرة بهذه الدراسات قد يعني الحصر أو يوحي به، والحصر غير ممكن. وبالإمكان إعادة قراءة إسهامات «طه حسين» في السيرة والخلفاء الراشدين والوعد الحق، وإسهامات «أحمد أمين» في فجر الإسلام وضحاه وظهره ويومه، وغيرها كثير جداً إلى أن نصل إلى الأكثر منها سطحية مع بروزه - سياسياً - على الساحة وهو إسهام الكاتب المسلم الأصل الهندي المولد البريطاني الجنسية «سلمان رشدي» في روايته (آيات شيطانية). فهذا نموذج بارز وواضح التأثر، وإن كان التأثر قد صيغ بشكل غال جداً، ولكنه يذكر دائماً بأعمال المستشرق البريطاني «مونتغمري وات» عن النبي - ﷺ - (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) و(محمد النبي القائد). بل ربما ذهب الزعم إلى حد أن عنوان الرواية نفسه مستقى من فصل من فصول كتاب (محمد في مكة) إذ يأتي الفصل الخامس من الكتاب متحدثاً عن تنامي المعارضة للرسول - عليه السلام - وكل فصل من الكتاب مقسم إلى مباحث والمبحث الأول من الفصل الخامس يركز على بدايات المعارضة The Begining op-position وفي هذا المبحث مما يتبع العنوان عبارة هي نفسها عنوان الرواية «The Satanic Verses» ويتحدث فيها «مونتغمري وات» عن قصة الغرانيق[١].

---

(١) W. Montgomery Watt. Muhammad at Mecca. Kqrachi. Oztord University Press, 1979, P: 100 - 109.

وقد تصدى للوقوف على هذا العمل مجموعة من المؤلفين المسلمين، وبينوا ارتباطه بالغايتين اللتين ورد ذكرهما آنفاً، انظر مثلاً: فهمي الشناوي. من وراء سلمان رشدي: أسرار المؤامرة على الإسلام. القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. - ص ٦٣. ومحمد يحيى. الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير. القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. - ص ١٠١ ورفعت سيد احمد. آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب.=

أسئلة البحث:

وحيث فشا الاعتماد على إسهامات المستشرقين في مجالات عدة كالدراسات والتحقيق والنشر والتكشيف والفهرسة، فإن السؤال هنا ما هو مدى الاعتماد على هذه الإسهامات في الكتابة عن الإسلام والمسلمين؟ وما مدى عملية إسهامات المستشرقين في الحديث عن الثقافة الإسلامية؟ وهل يمكن الاعتماد على هذه الإسهامات مصدراً موثوقاً من مصادر المعلومات عن الإسلام وعن تراث المسلمين؟ وهل تكتسب الأعمال العلمية التي يقوم باحثون مسلمون علمية أكثر إذا ما اقتبست من أعمال المستشرقين أو استشهدت بآرائهم؟ وهل بالإمكان قبول اقتباسات المستشرقين واستشهاداتهم من أمهات الكتب العربية دون التوثيق أولاً، اعتماداً على أن منهجيتهم في البحث والدراسة قد أملت عليهم قسطاً كبيراً من التجرد والموضوعية؟ ثم هل يمكن الاستغناء عن إسهامات بعض هؤلاء المستشرقين في هذا المجال بعد أن يتبين للباحثين والدارسين المسلمين أخطاء كثيرة وقع فيها المستشرقون تحول دون قبول ما وصلوا إليه من نتائج؟ وهل يمكن تصحيح هذه الأخطاء من خلال حوار مباشر أو غير مباشر مع المستشرقين بعامة يُدعون فيه إلى مزيد من الموضوعية ومن العلمية والتجرد؟ وهل المستشرقون قابلون لهذا الحوار ولديهم الرغبة في تصحيح الأخطاء التي وقع فيها أترابهم؟ أو عندهم الرغبة في عدم الوقوع فيها من خلال نقلهم عن أترابهم؟

= القاهرة: الدار الشرقية، ١٤٠٩ هـ - ص ١٩٦. واحمد ديدات. شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدي الغرب. - نقله إلى العربية وقدم له على الجوهري. القاهرة: دار الفضيلة (١٩٩٠م) - ص ١١٢.

ولا يتوقع لهذه الوقفة أن تجيب إجابة شافية ومقنعة عن جميع هذه الأسئلة. ولعله يكتفي منها بإثارة الأسئلة والتدليل على إمكان الإجابة عن جزء منها سعياً إلى الاستمرار في الإجابة على جزء كبير منها، مع التأكيد على أن جهوداً للمستشرقين تدخل في جانب الإسهامات المحمودة التي لا ينبغي إغفالها أو تناسيها، فلم تكن إسهامات المستشرقين كلهم سيئة أو متحاملة على تراث المسلمين وثقافتهم، وهذا في النهاية يؤدي إلى عدم القدرة على تعميم النتائج على ظاهرة الاستشراق. ولعل هذا سر من أسرار عدم الإتفاق بين الباحثين والدارسين والمفكرين والعلماء المسلمين على موقف موحد تجاه المستشرقين قدمائهم ومحدثيهم.

مصادر المعلومات عن التراث:

ومنذ انطلاقة التدوين، في بداية البعثة المحمدية ثم التجميع في عهد الخلفاء الراشدين ثم التصنيف والتبويب في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) إلى نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، والمسلمون في رصد مستمر للتراث في أعمال موسوعية أو موضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية والطبية والرياضية وسائر المعارف. ومنذ انطلاقة التدوين من قرطبة غرباً إلى سمرقند شرقاً والمكتبات الإسلامية مجال للتنافس بين الولاة والأمراء[(١)] وهناك مظاهر كثيرة ذكرها دارسو التراث حول مجالات التنافس.

وليس الغرض من هذه الوقفة استعراض الجهود العلمية للمسلمين،

---

(١) عز الدين إسماعيل. المصادر الأدبية واللغوية في الأدب العربي. ـ ط ٢ ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م ـ ص ٣ ـ ٧.

إذ سيدخل هذا في الجانب الدفاعي والاعتذاري الذي لجأ إليه بعض المتحمسين للثقافة الإسلامية عندما أرادوا أن يلفتوا أنظار الآخرين لها[١]. ولكن الغرض من هذه الوقفة التأكيد على أن المعلومات التراثية كانت موضع اهتمام المسلمين أنفسهم، على أقل تقدير في القرون الثمانية التي حددت بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين، ومعظم الأعمال التي جاءت بعد القرن التاسع الهجري أخذت طابع الشروح والتعليقات والتلخيصات[٢] وكل ما يدور حول مصادر المعلومات عن التراث، إلى الوصول إلى التحقيق والنشر في القرنين الأخيرين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، مع عدم إغفال الجهود العلمية التي ابتدئت ابتداءاً، ولكن الطابع العام في هذه القرون التالية كان يهمس إلى الدارسين والمؤلفين أنهم بطريقة أو بأخرى عالة على علماء السلف.

ولا يعني هذا أن الخلف لم يكونوا على مستوى التفكير وتأليف الأعمال العلمية ابتداءاً، ولو كان هذا المقصود لوقعنا في محظور هو مجرد ردة فعل لأولئك المتعلقين بالثقافات الحديثة على حساب الماضي. ولكننا نقدر هنا أن بعض الأعمال العلمية ذات الصبغة التراثية تستمد معلوماتها من مصادر التراث التي ألفها السلف في زمن النهضة العلمية، ثم أُخضع شيء منها للشرح أو الاختصار أو التعليق في زمن الشروح والاختصارات[٣]. فيأتي زمننا ـ وهو المعد زمن العودة إلى النهضة

---

(١) Charles G. Adams. islamic Religious Tradition.

انظر العرض عنه في دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية. ـ مرجع سابق. حيث يقسم المؤلف المداخل لدراسة الإسلام إلى ثلاثة هي: المدخل التقليدي التبشيري، والمدخل الاعتذري، والمدخل السلبي. ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) السعيد الورقي. في مصادر التراث ـ بيروت: دار النهضة العربية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ـ ص ٨٦.

(٣) سيد حامد النساج، رحلة التراث العربي ط ٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥ م ـ ص ٣٦.

فيبتدىء أعمالاً علمية تقر بالفضل لما أسهم به علماء السلف فتكون امتداداً لهذه الإسهامات.

ومع أن هذه الوقفة مع مصادر المعلومات عن التراث تحاول التأكيد على وجود الأساس، وهو المصادر إلا أنها لا تملك إلا أن تذكر للمستشرقين جهودهم في إظهار شيء من هذه المصادر خاصة في مجال النشر أو الطبع الابتدائي دون تحقيق[1]. إلا أن هذه الجهود تحتاج إلى تمحيص ودراسة متأنية يبين فيها مدى هذه الجهود ونوعية التركيز على المجالات. وفيما يلي من الصفحات إشارات سريعة إلى مثل هذا. وفيها وقفات على نماذج محدودة جداً من الدراسات ثم النشر والتحقيق فالترتيب والتكشيف، وعينات محدودة جداً كذلك من المنشور أريد منها التمثيل فقط. ولم يرد التعميم ولكنها وقفات تفتح المجال إلى مزيد منها في سبيل الوصول إلى حكم قابل للتعميم مما يحتاج معه إلى مزيد من البحث والغوص والتحليل.

مصدرية الاستشراق:

والمقصود هنا هو مناقشة أعمال المستشرقين للنظر في مدى الاعتماد عليها مصدراً من مصادر المعلومات في الدراسات العربية والإسلامية. وهل تصل هذه الأعمال إلى درجة من الثقة يمكن معها الاستشهاد بها؟

وقد ذكرت أن قسطاً من الإسهامات العربية في مجالات التراث قد بدا عليها التأثر غير المباشر، وكان لهذا التأثر أثره في الفجوة بين المسلم وثقافته. هذه الفجوة التي حفرها المستشرقون بالغوص في معلومات التاريخ ينقلونها من مصادر معلومات عربية معتمدة عندنا على أنها من «أمهات الكتب» ولكنهم بغوصهم هذا يتعمدون سوء النقل وسوء

---

(١) السعيد الورقي. في مصادر التراث. ص ٨ ـ ٩.

الاقتباس وسوء الاستشهاد ضاربين صفحاً عن مفهومات علمية كالأمانة والدقة والتجرد والموضوعية.

وهم بهذا يلجأون إلى المعلومات الغربية غير الموثقة في أمهات الكتب العربية فيتكئون عليها. وتراهم يحيلونك إلى المصادر التي يستشهدون بها أو يقتبسون منها ببياناتها الوراقية (الببليوجرافية) التامة، فتعود إلى هذه الإحالات في هذه المصادر فلا تجد لها أثراً فيها، أو ربما يتبين لك عندما تعود للموضع المستشهد به أو النص المقتبس منه أنه على خلاف تام ومناقض للمقصود من الاستشهاد أو الاقتباس. أو ربما يتبين أن في الأمر تحريفاً أو تصحيفاً مع الرجوع إلى المصادر العربية التي تترك عند القاريء أثراً بأن المستشرقين قد اعتمدوا على مصادرنا في تعضيد أفكارهم التي يسعون إلى الإتيان بها. أو تراهم من وجه رابع يسعون إلى تفسير بعض المعلومات بما يؤمنون به هم أو بما يريدونه من المتلقين أن يؤمنوا به إزاء معلومات حول حادثة تاريخية لها مساس بالثقافة والخلفية الفكرية والعلمية التي يتبناها المسلم في حياته. وكل هذه الأساليب لها أمثلة في الإنتاج الفكري للمستشرقين، وتساق لها أمثلة هنا. وربما دعا الأمر إلى الوقوف على كل أسلوب على حدة ودراسته دراسة واسعة والخروج بالنتيجة التي تمليها الدراسة وتجيب على سؤال من أسئلة البحث، فيصدق السؤال البحثي، أو تثبت عدم صحته. وهذه نماذج لما ينبغي أن تكون عليه الدراسة أو لما يتوقع أن تكون عليه الدراسة.

في مجال الدراسات:

١ ـ كتاب (النظام والفلسفة والدين في الإسلام) لهاملتون جب[١]

---

(١) هاملتون جب. النظم والفلسفة والدين في الإسلام ـ دمشق: المركز العربي للكتاب، د. ت ـ ص ١٠٨.

مليء بالمغالطات التي لا تغيب عن ذهن القاريء العادي. ومع أنها تحتاج إلى وقفة طويلة مستقلة إلا أن هذه ومضات سريعة لما يذكره المؤلف المستشرق حول القرآن الكريم، والرسول الكريم ـ عليه السلام ـ يقول:

أ ـ «سأتحدث في المقالة الثانية عن المسارب الجديدة التي يسرها القرآن للطاقات الشعورية والخيالية لدى العرب[(١)] وعن أثرها في المواقف الدينية الإسلامية. أما في هذا المقام فإن ما يهمنا هو جمهور العرب الوثنيين الذين تقبلوا التعاليم القرآنية دون أن يتخلوا تمام التخلي عن معتقداتهم القديمة. فكان ما حققه محمد لديهم هو أنه فرض قوة سيطرة عليا باسم (الله القوي المتعال)[(٢)] وجعلها فوق ما عندهم من حصيلة (نسميه)[(٣)] وبذلك ظل الموروث العربي القديم قائماً تحت هيمنة ذلك القادر الأعلى، وظل لديهم إيمانهم بالسحر وبالقوى الغيبية، وبخاصة الشرير منها كالجن وبالقرينة أو التابع ـ كل هذه المعتقدات وأشباهها ظلت قائمة مصبوغة بصبغة إسلامية تكثف هنا أو ترق هناك، لتلعب دوراً كبيراً في أفكار المسلمين من العالم»[(٤)].

---

(١) جرت عادة المؤلفين في الغرب على استعمال لفظ «السرسان» للمسلمين العرب وغيرهم، واستعمل المستشرقون الأوائل «المحمديين» وتطور الاستعمال واختلف من بلد أوروبي إلى آخر حتى استقر على لفظ «الاتراك» بمعنى المسلمين منذ القرن الخامس عشر الميلادي في أوروبا، ولفظ «الموريسكو» في إسبانيا. واختلف الاستعمال بعد ذلك في أوروبا من الخلط الموجود بين العرب وغير العرب في الاستعمال الاستشراقي الآن.

(٢) الأول المتعالي، وهذه من هنات المترجم الذي لم يفصح عن اسمه رغم الجهد الذي قام به.

(٣) النسمية استخدمها المترجم تتقابل كلمة Animism بالإنجليزية وهي تعني الاعتقاد بان كل كائن موجود أو مخلوق من حيوان أو إنسان أوجماد وريح ونبات وما إلى ذلك له روح، وان هذه الأرواح توجد منفصلة عن الأجساد.

(٤) هاملتون جب. النظم والفلسفة والدين في الإسلام ـ ص ٥٨.

ب ـ «وبما أن كل دين يظل في قاعدته مرتبطاً بالحياة التخيلية فإنه لا يستطيع أن يمس الروح دون توجه نحو الحواس والمشاعر. وإذا لم تكن الحواس متنبهة، ولم تستثر شعائره ورموزه استجابة شعورية بقي الدين هيكلاً من التعاليم العقائدية والأخلاقية. وظل مفتقراً إلى الروح والرؤى، ليس الفن فحسب خادماً للدين، بل هو حارس قدس أقداسه.

وذلك هو الحال أيضاً بالنسبة للمسلم، فالذي يمنح القرآن قوة على تحريك قلوب الناس وتشكيل حياتهم ليس محتواه من مبادىء ونذر[1] وإنما هو سياقه اللفظي، إذ يتكلم كأسفار النبوءات في التوراة بلغة الشعر[2] وإنما لم يخضع لقيود الشعر من وزن وقافية»[3].

ج ـ «إن الكنيسة المسيحية لجأت إلى عون الموسيقى لتعلي من التوتر الشعوري في الصلوات، وإن الإسلام كذلك طور في القراءة المرتلة للقرآن كي يشحذ من قدرته على اجتذاب الخيال والشعور. والفرق بين الفنين الموسيقيين لدى الدينين لافت للنظر حتى إنه يستحق أن يكون موضع تحليل ممتع. ولكنه يجب ألا يحجب وجه الحقيقة هنالك، وهي أن الغاية القصوى واحدة في الحالتين[4].

د ـ «سعينا في الفصل السابق[5] لنبين أن القرآن سجل لتجربة

---

(1) لو قال «فحسب» لما احتاج المرء معه إلى وقوف.

(2) جرت عادة كثير من المستشرقين التاكيد على اقتباس القرآن الكريم من الكتب السماوية والثقافات السابقة كما سياتي بيانه.

(3) المرجع السابق ـ ص ٧٣ ـ ٧٤.

(4) المرجع السابق، ص ٧٤.

(5) جعله المترجم داخلاً تحت عنوان «مبنى الفكر الديني في الإسلام» ووزعه إلى أربع فقرات، الثانية منها محمد والقرآن ص ٦٦ ـ ٧٧.

محمد الحدسية من ناحية. وأنه المنبع الذي يعود إليه المسلم بين الحين والحين لينعش رؤاه الروحية من ناحية أخرى»[١].

هـ - «في التصوف قاعدة فعالة هي قدرته على استثمار التجربة الدينية على نحو منظم، وهو ينشأ كعلم الكلام في مرحلة راقية من مراحل التطور الديني. ولم يكن في القرن الأول من تاريخ الإسلام متكلمون أو متصوفة، ففي ذلك القرن كانت الجماعة الدينية المسلمة تمثل نوعاً من المجتمع الأخلاقي القائم على المبادىء المحسوسة حول الله واليوم الآخر، وعلى الواجبات الدينية المحسوسة التي وردت في القرآن»[٢].

و - «وأنا أرى أن وحدة الوجود - شبه الإسلامية - تحاول النقيض التام لما أخذ محمد نفسه بتحقيقه، فقد حاول حين واجهته عقائد النسمية العربية أن يحكمها فجاء بفكرة إله منزل متعال على العالم المادي الذي خلقه، وحرم عبادة أي مخلوق، وعرف في الوقت نفسه من تجربته الصوفية[٣] أن الله أيضاً موجود في العالم الذي خلقه على نحو خفي لا يستطاع التعبير عنه»[٤].

وإذا خلت هذه الاقتباسات من التعليق التحليلي فإنما ذلك عائد إلى الوضوح في الخلط الذي لجأ إليه المؤلف مما جعله يوحي به كالمسلمات.

---

(١) المرجع السابق - ص ٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٣) كان المؤلف قد ذكر في الفقرة السابقة أن القرن الأول من تاريخ الإسلام كان خالياً من المتكلمين والمتصوفة.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٨.

٢ ـ يحدد «ولفرد سميث»[١] في كتابه (الإسلام في التاريخ الحديث) معنى الدين بقوله: «العرب لا يدركون كنه الإسلام الحقيقي، فهناك ثلاثة أنواع من الدين الإسلامي: دين القرآن، ودين العلماء، ودين الدهماء، ويتسم النوع الجديد (الأخير) منها بالخرافة والجمود، أما الثاني (دين العلماء) فمثقل بتراث قديم عقيم، وهو بعد ذلك غير عصري، ومادته صعبة تقضي على الإنسان ألا يتصرف في أي شيء إلا بحسب فتوى العلماء. وقد تخلصت تركيا من هذا النوع الثاني، ووجدت أن الوقت قد حان للقضاء عليه. وبذلك كان الأتراك قادة العالم الإسلامي[٢] وما زال العرب وغيرهم من الحمقى مقيدين في تفكيرهم بأن تركيا تركت الإسلام، وهذا غير صحيح[٣].

٣ ـ ويربط المستشرق «مورو بيرجر»[٤] في كتابه (العالم العربي اليوم) بين الدين والبيئة. فإذا تطورت البيئة تطورت القيم، فالشريعة الإسلامية نشأت متأثرة بالبيئة العربية من حيث اهتمامها بالكرم عندما كانت البيئة بدوية رعوية، هذه البيئة التي قامت على الحاجة إلى الأمطار فنشأت فيها سجية الخوف من الله الذي يحجب المطر فيحل بالقوم جوع

---

(١) ولفرد سميث (مولود ١٩١٦) مستشرق كندي تخرج في برنستون. درس في كندا وإنجلترا والولايات المتحدة، والكتاب نشرته جامعة برنستون سنة ١٩٥٧ م. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ٣/١٨٢.

(٢) الواضح أن العثمانيين كانوا قادة العالم الإسلامي امتداداً للخلافة الإسلامية. والخلط هنا في قيادة العالم الإسلامي أثناء الخلافة العثمانية وانتهاء الخلافة الإسلامية في تركيا على يد القوميين الاتراك. فالواقع يكذب (ولفرد سميث) فتركيا تحت الخلافة العثمانية كانت اشد حالاتها ضعفاً أقوى منها الآن. وما ذلت تركيا ولا عانت ولا صغرت إلا عندما تخلت عن الإسلام.

(٣) عابد بن محمد السفياني، المستشرقون ومن تابعهم ومواقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ـ ص ٩.

(٤) مورو بيرجر مستشرق يهودي أمريكي عمل في جامعة برنستون كما عمل مع مؤسسة براند التجسسية في الولايات المتحدة الامريكية.

ومرض وموت. والقصاص جاء ليشبع مفهوم الثأر في المجتمعات الصحراوية. وهذه كلها تتطور في المجتمع الصناعي «الذي عرف شيئاً كثيراً عن تطبيقات علم النفس والمبادىء الإنسانية فلم يحتج إلى مبدأ القصاص لأنه سيراعي جانب المجرم»[1] ولم يعد يهتم بالخوف من الله لأن وسائل الحصول على الماء متوافرة، ولم يعد بحاجة إلى الكرم، لأن كلا مشغول بحياته المتطورة، وهكذا يبدو التبرير لتطوير الدين ونقل القيم حسب البيئات.

٤ ـ في مادة «إجماع» في (دائرة المعارف الإسلامية)[2] يذكر المستشرق الأمريكي «دونكان بلاك ماكدونالد»[3] أن ما كان في أول الأمر بدعة أصبح بفضل الإجماع أمراً مقبولاً نسخ السنة الأولى. فالتوسل بالأولياء مثلاً صار عملياً جزءاً من السنة، وأعجب من هذا أن الاعتقاد بعصمة النبي قد جعل «الإجماع» ينحرف عن نصوص واضحة في القرآن، فلم يقتصر الإجماع هنا على تقرير أمور لم تكن مقررة من قبل فحسب، بل غير عقائد ثابتة وهامة جداً تغييراً تاماً. وعلى هذا فهم يقولون إن المسلمين يستطيعون أن يجعلوا من الإسلام ما شاؤوا على شريطة أن يكونوا مجتمعين. على أن الآراء غير متفقة فيما يمكن أن يكون له شأن كبير، على خلاف «سنوك هورجرنيه»[4] الذي يرى أن

---

(١) عابد بن محمد السفياني، مرجع سابق ـ ص ٥٢.

(٢) إلى الآن لم يوفق العرب والمسلمون إلى إصدار دائرة معارف إسلامية موثوقة، أو موسوعة عربية مؤصلة. انظر مناقشة هذه الفكرة في العمل الذي قام به نسيم الصمادي، دائرة المعارف العربي. أزمة فكر لا ازمة نشر ـ عمان: دار الكرمل، ١٩٨٨ م، ص ٨٥.

(٣) مستشرق أمريكي (١٨٦٣ ـ ١٩٤٣م). كان صديقاً لنيكلسون. أسهم في إنشاء المعاهد والدوريات بمعاونة زويمر وسارتون. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ٣/١٣٦ ـ ١٣٧.

(٤) كريستيان سنوك هورجورنيه (١٨٥٧ ـ ١٩٣٦ م) مستشرق هولندي تعلم في ليون على «دي خويه».=

(الفقه) قد جمد، ولذلك لا رجاء في الإجماع[١].

٥ ـ عني المستشرقون بترجمة معاني القرآن الكريم، ووضعوا للترجمات مقدمات لهم تحدثوا فيها عن القرآن الكريم من حيث طبيعته ومصدره[٢]. وكمثال على ذلك يقول (جورج سيل)[٣] في مقدمة ترجمة لمعاني القرآن الكريم التي صدرت سنة ١٧٣٤ م: «أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل. وإن كان المرجح ـ مع ذلك ـ أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته لم تكن يسيرة. وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك[٤].

= وعلى «نولدكه». ورحل إلى جاوة، وزار مكة المكرمة متسمياً بعبد الغفار ووضع في الحج كتاباً، وله آثار أخرى.

انظر قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤٨٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ـ ص ١١٠ ـ ١٣٧.

(١) د. ب. ماكدونالد. «إجماع» في دائرة المعارف الإسلامية ـ يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ـ بيروت: دار المعرفة، د. ت. ـ ٤٣٨/١ ـ ٤٤٠.

(٢) بدأت فكرة ترجمة معاني القرآن الكريم في القرن الأول الهجري ـ السابع الميلادي، وترجمت المعاني إلى ما يربو على مائة وإحدى وعشرين لغة في أنحاء العالم منها ثماني لغات أوروبية هي الألمانية والإنجليزية والإيطالية والروسية والفرنسية والإسبانية واللاتينية والهولندية على الترتيب حسب عدد الترجمات. انظر مناقشة ترجمات معاني القرآن الكريم في: محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٨٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ـ ص ٢٤٠.

(٣) جورج سيل (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦ م) بفتح السين. مستشرق إنجليزي. هوى الاستشراق واشتد اهتمامه بالإسلام. مقدمته لترجمة معاني القرآن الكريم هي «بمثابة مقالة إضافية عن الدين الإسلامي حشاها بالإفك واللغو والتجريح» انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ٤٧/٢.

(٤) محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ـ الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ١٤٠٤ هـ ـ ص ٨٣ (سلسلة كتاب الأمة/٥).

ويوصف «سيل» بأنه نصف مسلم نظراً لاهتمامه البالغ بالإسلام، وقد صادفت مقدمته هذه «التي جزم فيها بتأليف محمد للقرآن نجاحاً عظيماً في أوروبا، الأمر الذي أدى بمستشرق آخر هو «كاسميرسكي»[1] أن يجعل من مقدمة «سيل» مقدمة لترجمته الفرنسية لمعاني القرآن الكريم التي صدرت عام ١٨٤١ م. وقد استطاعت هذه المقدمة أن تثبت وجودها زمناً طويلاً جداً كمصدر علمي موثوق به لدى المستشرقين من حيث اشتمالها على عرض شامل للدين الإسلامي»[2].

ومسألة مصادر معلومات القرآن الكريم واستعانة الرسول - ﷺ - بمصادر معلومات الثقافات السابقة كالنصرانية واليهودية وغيرها مما ظهر به المستشرقون مسألة متداولة بين المهتمين بمصادر المعلومات عن الإسلام. وقد أعاد المستشرقون المعلومات في القرآن الكريم إلى مصادر وزعت توزيعاً عجيباً على الحضارات والثقافات السابقة. ويزعم المستشرقون أن الرسول - ﷺ - قد ألف القرآن مستعيناً بهذه المصادر على النحو التالي:

أ - استعان بالمصادر الجاهلية في فكرة صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء، وتطييب البيت الحرام وحظ الذكر في الميراث مثل حظ الانثيين، والتكبير والأشهر الحرم، والحج والعمرة، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء. والاغتسال، والختان، وتقليم الأظافر.

ب - واستعان بالمصادر الصائبة في مسألة الصلوات الخمس،

---

(١) البر كاسميرسكي (١٨٠٨ - ١٨٨٧ م) مستشرق بولوني، كتب بالفرنسية، متهم في أمانته العلمية. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون. - ٢/٤٩٨ - ٤٩٩.

(٢) محمود حمدي زقزوق. الإسلام في تصورات الغرب - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧ هـ ص ٢٣ - ٢٤. وانظر للمؤلف الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - ص ٨٣.

والصلاة على الميت، وصيام شهر رمضان المبارك، والقبلة، وتعظيم مكة المكرمة، وتحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من القرابات.

ج - واستعان بالمصادر الهندية والفارسية في المعلومات عن المعراج، والجنة والحور والولدان والصراط.

د - واستعان بالمصادر اليهودية في المعلومات عن قصة هابيل وقابيل، وقصة إبراهيم - عليه السلام - وقصة ملكة سبأ، وقصة يوسف - عليه السلام -.

هـ - واتكأ الرسول - عليه السلام - على المصادر النصرانية في استقاء المعلومات عن قصة أهل الكهف، وقصة مريم - عليها السلام -، وقصة وقصة طفولة المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام -[1].

٦ - وفي (قصة الحضارة) يقول «ول ديورانت» عن الرسول - عليه السلام -: «وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء جميع واجبات الحب والحرب. ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة، وتقول «عائشة» إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل ويزور القبور، ويطلب المغفرة للأموات، ويدعو الله لهم جهرة ويهنئهم على أنهم موتى»[2].

ولم يكن دس السم ظناً، بل هو مشهور وموجود في مصادر

---

(١) إبراهيم خليل أحمد. الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية - القاهرة: مكتبة الوعي العربي، (١٩٧٣ م) - ص ٦٧ - ٦٨.

(٢) ول ديورانت. قصة الحضارة - مج ٤، ج ٢ - ترجمة محمد زيدان - بيروت: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربي، د. ت. - ص ٤٦.

المعلومات عن السيرة النبوية، فقد أورده «ابن هشام» في سياق غزوة خيبر[١] وأورده ابن سعد في الطبقات[٢] ورواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والدرامي[٣].

٧ - وينقل عن «جولدتسيهر» قوله عن «زياد بن عبد الله البكائي» نقلاً عن وكيع: أنه مع شرفه كان كذوباً. وقد جاء في التاريخ الكبير للإمام البخاري - رحمه الله - قوله عن زياد: «وقال ابن عقبة السدوسي عن وكيع إنه (أي زياد) أشرف من أن يكذب»[٤].

٨ - وينقل عنه كذلك قوله عن الزهري: «قد كانت تقواه تجعله يشك أحياناً، ولكنه لا يستطيع دائماً أن يتحاشى تأثير الدوائر الحكومية، وقد حدثنا معمر عن الزهري بكلمة مهمة وهي قوله: أكرهنا هؤلاء الأمراء على أن نكتب أحاديث». وعن ابن عساكر وابن سعد أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس فأصر عليه هشام أن يملي على

---

(١) عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية لابن هشام - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت - ٢١٨/٣.

(٢) وعند ابن سعد قوله عن غزوة خيبر: «وفي هذه الغزاة سمت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم رسول الله - ﷺ - أهدت له شاة مسمومة فأكل منها رسول الله - ﷺ - وناس من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور فمات منها» محمد بن سعد. الطبقات الكبرى - ج - بيروت: دار صادر، ١٤٨٥ هـ - ١٩٨٥ م - ١٨٧/٢.

(٣) ونصه في مسند الإمام أحمد «عن أنس بن مالك أن يهودية جعلت سماً في لحم ثم أتت به رسول الله - ﷺ - فأكل منه رسول الله - ﷺ - فقال: إنها جعلت فيها سماً. قالوا ألا نقتلها؟ قال: لا قال: فجعلت أعرف ذلك في لهوات رسول الله - ﷺ -» انظر أحمد عبد الرحمن البنا. الفتح الرباني ٦٦/٢٢.

(٤) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي - ط ٢ - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦ هـ - ص ٢٣٠ - ٢٣١. وينقل الذهبي عن عبد الله بن إدريس قوله: «ما أحد في ابن إسحاق أثبت من زياد البكائي لأنه أملى عليه مرتين» انظر محمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء - مج ٢٣ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٨٢ هـ - ١٩٨٢ م - ٩/٥ - ٦.

ولده فأملى عليه أربعمائة حديث، وخرج على الناس وناداهم أن «كنا قد منعناكم أمراً قد بذلناه لهؤلاء، وأن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث فتعالوا حتى أحدثكم بها، فحدثهم بالأربعمائة حديث»(١).
والفرق هنا بين كلام «جولد تسيهر» وكلام «الزهري» أن «جولد تسيهر» حذف أداة التعريف من «أحاديث».

٩ ـ ويقول «ول ديورانت» في (قصة الحضارة): وكان «للزبير» بيوت في عدة مدن مختلفة وكان يملك ألف جواد وعشرة آلاف عبد، وكان عبد الرحمن يمتلك ألف بعير وعشرة آلاف رأس من الضأن، وأربعمائة ألف دينار (١,٩١٢,٠٠٠) دولار، وكان عمر ينظر بحسرة إلى الترف الذي أخذ مواطنوه يتردون فيه(٢).

وأصل النص في المصادر الإسلامية: «كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه خراجهم كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهماً واحداً يتصدق بذلك كله»(٣).

---

(١) عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث ـ المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م، ـ ص ٣٠ ـ ٣١. ويقول الأستاذ فؤاد سزكين: «وبدون أن يفهم جولدتسيهر المعنى الدقيق لمصطلح «كتاب» أو «كتابة» فقد أخطأ في تفسيره لعبارة الزهري: كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين». وقد فهم جولدتسيهر من هذا النص أن الزهري اعترف بأنه ـ على هذا النحو ـ قد مكن الأمويين من الحصول على ذرائع دينية تخدم مصالح أسرتهم الحاكمة». انظر فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي ـ ١ ـ المجلد الأول، الجزء الأول في علوم القرآن والحديث ـ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣ هـ ـ ص ١٤١.

(٢) ول ديورانت. قصة الحضارة ـ مرجع سابق ـ ص ٧٧. وذكره عبد العظيم الديب في المستشرقون التراث ـ ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) انظر على سبيل المثال ابن الأثير، علي بن محمد الجزري ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ج ٦ ـ د. م: الفكر. د. ت ـ ٢/٩٩.

١٠ ـ ويقول نفسه عن «هارون الرشيد» وعلاقته بـ«جعفر البرمكي»: «وكان هارون الرشيد يحب جعفراً حباً أطلق ألسنة السوء في علاقتهما الشخصية، ويقال إن الخليفة أمر بأن تصنع له جبة ذات طوقين يلبسها هو وجعفر معاً فيبدوان كأنهما رأسان فوق جسم واحد، ولعلهما في هذا الثواب بمثلان حياة بغداد الليلية»[١]. وقبل هذا قال عن هارون الرشيد: «وإنه كان يحج إلى مكة مرة كل عامين»[٢]. والمشهور في مصادر المعلومات الإسلامية أنه كان يحج سنة ويغزو سنة[٣].

١١ ـ وفي كتاب (السيطرة العربية) لفان فلوتن[٤] رواية عن

---

[١] ول ديورانت، قصة الحضارة ـ مرجع سابق ـ ص ٩٢. وذكره عبد العظيم الديب في المستشرقون والتراث ـ ص ٣٤ ـ ٣٦.

[٢] المرجع نفسه، ص ٩١.

[٣] انظر إشارة إلى هذا عند أحمد أمين. هارون الرشيد ـ القاهرة: دار الهلال ١٩٥١ م ـ ١٣٧٠ هـ ـ ص ٢١٩. مع أن الكتاب كله فيه رائحة التأثر بآراء المستشرقين حول الرشيد وحاضرة الإسلام بغداد والحضارة الإسلامية رغم عدم وجود مراجع للكتاب تدل على هذا الحكم نفياً أو إثباتاً. ولكننا تعودنا من أحمد أمين هذا التأثر في أعماله المشهورة التي مر ذكرها في بداية هذه الوقفة. وعند الذهبي أنه «كان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء ويعظم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وعظ». انظر محمد بن شاكر الكتبي فوات الوفيات. والذيل عليها ـ ج ٥ ـ تحقيق إحسان عباس ـ بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤ م ـ ٤/٢٢٥ ـ ٢٢٧. وكان قد مات ـ رحمه الله ـ في غزوة من غزواته بخراسات في ١٩٣/٦/٣ هـ وقبره بمدينة طوس.

[٤] ج. فان فلوتن (١٨٦٦ ـ ١٩٠٣ م) ذكره نجيب العقيقي مع المستشرقين الهولنديين. وذكر آثاره ولم يذكر منها كتاب (السيطرة العربية) وذكر من آثار كتاب (الفتح العربي وبعض العقائد في عصر الأمويين). انظر: المستشرقون ـ ٣١٦/٢ ـ ٣١٧. ويذكر قاسم السامرائي أن وفاته كانت سنة ١٩٠٢ م وأنه تلميذ «دي خويه». انظر: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ـ ص ١٢٣. وذكره عبد الرحمن بدوي وأشار إلى كتابه بعنوان: (أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والعقائد المهدوية في عهد الخلافة الأموية). انظر موسوعة المستشرقين. ط ٢ ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩ م. ص ٢٨٥.

الطبري (٨٠٦/٢) يقول فيها: «ولقد أصابت الأسر المرموقة في الكوفة ثراء فاحشاً كان مصدره المغانم والأعطيات السنوية، فكان الكوفي إذا ما ذهب إلى الحرب يصطحب معه أكثر من ألف من الجمال عليها متاعه وخدمه»[1] وعبارة الطبري جاءت على لسان «قيس بن الهيثم» أحد أصحاب «مصعب بن الزبير» يرغب أهل العراق في القتال ويبين لهم حسن معاملة «ابن الزبير» لهم، يقول: «والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف أحدنا على ألف بعير، وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه»[2]. فالواحد من أهل الكوفة قائد للجيش يأتمر له أكثر من ألف مقاتل، ولا يصطحب معه ألف جمل عليها متاعه وخدمه!!.

تلكم أمثلة متناثرة تروى عن المستشرقين، ومنهم المشهورون المعروفون، ويطول بنا المقام لو أردنا المزيد من الأمثلة والوقفات، ولو تتبعنا إصدارات المستشرقين لما استطعنا الوقوف عند حد، والأولى من هذا كله أن تبحث دراسات كل مستشرق على حده، ويحلل مضمون ما قاله، وتقابل استشهاداته المرجعية بالمصادر التي رجع إليها، وبخاصة منها ما يتصل بالاقتباس أو الاستشهاد بمصادر المعلومات الإسلامية، وعندئذٍ يستطيع المرء الخروج بأحكام موثقة لها ما يدعمها.

وفي سبيل الوصول إلى هذا يمكن الاستعانة بالحصر الذي أسهمت به الدراسات حول الاستشراق فيما يتعلق بمواقف المستشرقين

---

(١) عبد العظيم محمود الديب، المنهج في كتابات الغربيين. ـ ص ٧٦.

(٢) ابن جرير الطبري. تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ج ٦ ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣ م ـ ١٥٧/٦، والمقصود بـ(٨٠٦/٢) في نقل «فان فلوتن» الورقة السادسة بعد الثمانمائة من الجزء الثاني من المخطوط.

من المعلومات الإسلامية ومصادرها التاريخية والدينية والأدبية وغيرها من المصادر. والحصر هذا محاولة لوضع مجالات اتسمت بها إسهامات المستشرقين، ومن هذه المجالات على سبيل المثال:

(أ) ـ الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث.

(ب) العجز عن تمثل الثقافة واللغة.

(جـ) ـ التعسف في التفسير والاستنتاج.

(د) ـ التفسير بالإسقاط.

(هـ) ـ منهج العكس.

(و) ـ التشكيك في الدليل القاطع.

(ز) ـ التحريف والتنزييف والادعاء.

(ح) ـ إصدار الأحكام القاطعة دون دليل يعضدها.

(ط) ـ الاختلاق والتمويه[1].

ويقول أحد المسهمين في الدراسات الاستشراقية عن واحد من أبرز أعلام المستشرقين وهو المستشرق «هنري لامانس»[2]: «وأبشع ما

---

(١) عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات المستشرقين ـ ص ٧ ـ ١٢٥. وقد أورد المؤلف أمثلة لكل مجال من المجالات، فيعاد إليها للاستزادة، وبعضها مبثوث في هذه الوقفة مأخوذ عن المؤلف. وانظر أيضاً: عماد الدين خليل. «المستشرقون والسيرة النبوية». في: الإسلام والمستشرقون ـ تأليف نخبة من العلماء المسلمين ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤٨٥ هـ ـ ص ٢٧٤.

(٢) الأب هنري لامانس (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧ م) مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام. «يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها». تعلم في الكلية اليسوعية ببيروت، وعلم فيها، أدار مجلة «المشرق» ومجلة تنصيرية اسمها «البشير» كتب في السيرة والخلافة الأموية. انظر عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين ـ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

فعله خصوصاً في كتابه (فاطمة وبنات محمد) هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقاً في هذه الكتب، أو يفهم النص فهماً ملتوياً خبيثاً، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارىء على إشارته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثاً من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية»[١].

وكلام عبد الرحمن بدوي هذا له وزنه لأنه يأتي من باحث اشتهر عنه تعاطفه مع المستشرقين وميله إلى الإعجاب بإسهاماتهم في مجالات الدراسة والتحقيق والنشر والتصنيف. وهذا يجر إلى تتبع مستشرقين بأعينهم ـ كما مر ذكره ـ من خلال إنتاجهم الفكري للنظر في مدى مطابقة هذه المجالات التسعة أو بعضها عليهم. ويمكن أيضاً أخذ عينة متحيزة منهم ممن درس أو كتب في سيرة الرسول ـ ﷺ ـ، بل إن الوقوف على كتب «مونتجمري وات» الثلاثة حول حياة محمد ـ عليه السلام ـ (محمد في مكة)، و(محمد في المدينة)، و(محمد النبي القائد)، موضوع يستحق المتابعة.

وهكذا نجد أن المجال واسع في تقرير ادعاء أو اتهام أو فرضية، أو الإجابة على أسئلة تقوم على تحقق المجالات التسعة في المستشرقين، أو تحقق مجموعة منها في مستشرق بعينه إن لم تتحقق فيه كلها، وكل هذا داخل في الغوص في الدراسات التي قاموا بها، ودقتهم في استشهاداتهم المرجعية واقتباسهم من المصادر.

---

(١) عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين ـ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

في مجال التحقيق والنشر:

أما فيما يتعلق بمدى إسهامهم في تحقيق التراث الإسلامي ونشره فهذا موضوع لا يقل أهمية عن تتبع الدراسات، فالمعروف عن المستشرقين عنايتهم بنشر المخطوطات التي كانت حبيسة المكتبات الغربية، والتتبع هنا ربما ينصب على نسبة المحقق والمنشور عن طريق المستشرقين مقابلاً بما حققه ونشره العلماء المسلمون من العرب وغيرهم. كما ينصب على الاتجاهات التي طغت على الموضوعات أو العنوانات المحققة والمنشورة. والمفترض الآن أنهم ركزوا على موضوعات معرفية هي على العموم لا تسير على الخط الإسلامي السليم، وربما قيل إن النسبة الكبرى لما حققه المستشرقون ونشروه لا يسير على الخط الإسلامي السليم. وعند النظر إلى العنوانات أو الموضوعات وحصرها يمكن للمرء أن يخرج بهذه النتيجة السلبية. فإن كان العكس بأن خرج الباحث بنتائج طيبة، فليكن كذلك، معتمدين في هذا على العدل الذي لا يردنا عنه عدم اتفاقنا معهم فيما قاموا به من تأثير على بيئتنا الدينية والثقافية والعلمية والسياسية والاجتماعية(١).

ومن هذا القبيل الدراسة التي قام بها «عبد العظيم الديب»، حيث قام بعمل إحصائي حصر فيه شيئاً مما تم تحقيقه ونشره من تراث العرب والمسلمين معتمداً في هذا على مصدرين أساسيين في هذا المجال هما (معجم المخطوطات العربية) لصلاح الدين المنجِّد، وقد صدر في خمسة أجزاء من الفترة ١٣٩٨ هـ إلى ١٤٠٠ هـ، وكتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي) لعبد الجبار عبد الرحمن، وقد صدر في جزأين

---

(١) وهذا ما يمليه علينا قوله تعالى من الآية الثامنة من سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾.

من الفترة ١٤٠١ هـ إلى ١٤٠٣ هـ[١].

فالجزء الأول من معجم المنجد يغطي ما نشره في الفترة من سنة ١٣٧٤ هـ إلى ١٣٨٠ هـ، حيث نشر فيها أربعمائة وأربعة عشر (٤١٤) عنواناً، كان نصيب المستشرقين منها ثمانية وخمسين (٥٨) عنواناً، وهذا يعدل أربعة عشر بالمئة (١٤٪).

والجزء الثاني يغطي ما نشر في الفترة من سنة ١٣٨١ هـ إلى سنة ١٣٨٥ هـ، حيث نشر في هذه الفترة ثلاثمائة واثنان وخمسون (٣٥٢) عنواناً، وكان نصيب المستشرقين منها سبعة عشر (١٧) عنواناً فقط، وهذا يعدل خمسة بالمائة (٥٪).

والجزء الثالث من المعجم يغطي الفترة من سنة ١٣٨٧ هـ إلى سنة ١٣٩٥ هـ، حيث نشر فيها أربعمائة وثلاثون (٤٣٠) عنواناً، وكان نصيب المستشرقين منها ثمانية عشر (١٨) عنواناً، وهذا يعدل ٤٪.

ولو وزعت هذه العنوانات البالغة ألفاً ومائة وستة وتسعين (١١٩٦) عنواناً على السنين التي غطاها المعجم وهي سبع عشرة (١٧) سنة لكان نصيب كل سنة منها سبعين (٧٠) عنواناً، ونصيب

(١) عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث ـ ص ٤٦ وقد اقتصرت دراسة الدكتور عبد العظيم الديب على الأجزاء الثلاثة الأولى. ولا بد من ملاحظة أن كتاب عبد الجبار عبد الرحمن (ذخائر التراث العربي الإسلامي) يعد عالة على إصدارات صلاح الدين المنجِّد (معجم المخطوطات العربية) ولا بد كذلك من ملاحظة أن هناك مخطوطات منشورة من تحقيقات المستشرقين منثورة في الدوريات الاستشراقية لمّا ترصد. وقد حاول علي البواب استدراكها في عدة أعداد من مجلة عالم الكتب (الأعداد الأربعة من المجلد التاسع (١٤٠٨ ـ ١٤٠٩ هـ) والعدد الأول من المجلد العاشر (رجب ١٤٠٩ هـ) وهاتان الملحوظتان قد تقللان من دقة البيانات المستقاة من الكتابين لعدم شمولهما.

المستشرقين في كل سنة منها خمسة عناوين ونصف العنوان (٥,٥)، إذ إن النصيب الإجمالي للمستشرقين في السنين كلها ثلاثة وتسعين (٩٣) عنواناً. وهذا يعدل (٨٪) من مجموع المنشور والمحقق.

وكانت الطريقة التي اتبعها «عبد العظيم الديب» مع كتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي) لعبد الجبار عبد الرحمن تختلف عنها مع (معجم المخطوطات العربية) لصلاح الدين المنجِّد، حيث اتبع هنا أسلوب العينة العشوائية، فاختار عدداً متساوياً من الصفحات من كل مائة صفحة من الجزء الأول، فحصل على ست وخمسين بواقع ثماني صفحات من كل مائة صفحة[1]. على أن الكتاب كله يغطي المخطوطات المؤلفة في القرون العشرة الأولى للهجرة، ويجعل سنة (١٤٠٠ هـ) حداً نهائياً للمنشور منها. وكانت النتيجة أن حصر المؤلف «عبد العظيم الديب» ثلاثمائة وعشرين عنواناً (٣٢٠) كان نصيب المستشرقين منها اثنين وثلاثين (٣٢) عنواناً، وهذا يعدل عشرة بالمئة (١٠٪).

الاتجاهات الفكرية للمنشور:

ودرس المؤلف «عبد العظيم الديب» الاتجاهات الفكرية لمنشورات المستشرقين من حيث المخطوطات من خلال ما أثبته لهم «صلاح الدين

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣. وقد يشكك في الثقة في استخدام العينة وأنها لا تعطي نتائج ثابتة، ويفضل أخذ العمل كاملاً كما هي الحال مع كتاب (معجم المخطوطات العربية) لصلاح الدين المنجِّد. وعلى أي حال إذا أضيفت هذه الملحوظة مع الملحوظتين السابقتين تأكد أن مثل هذا المسح إنما يعطي إشارات تمكن من الوصول إلى نتائج أولية، وإن بقي في النفس شيء من رغبة في مسح ما نشر من مخطوطات على أيدي المستشرقين واستقراء هذا المنشور من حيث الاتجاهات الفكرية للمنشور. ولعل هذه الوقفة تمتد إلى مثل هذا في مجال آخر بإذن الله.

المنجِّد» و«عبد الجبار عبد الرحمن». وحيث كان نصيب المستشرقين في معجم «صلاح الدين المنجِّد» ثلاثة وتسعين (٩٣) كتاباً، فقد جاءت على النحو التالي:

الفن	عدد الكتب	النسبة
التصوف والفلسفة وعلم الكلام	٤٠	٤٣٪
التاريخ والتراجم	٢٨	٣٠٪
الجغرافيا والرحلات	٤	٤,٣٪
الفقه	٤	٤,٣٪
اللغة والنحو	٣	٣,٢٪
الأدب	٣	٣,٢٪
الشعر والطرائف	٣	٣,٢٪
البلاغة	٣	٣,٢٪
العلوم	٣	٣,٢٪
التفسير	٢	٢,١٪
المجموع	٩٣	٩٩,٧٪

جدول رقم (١)
الاتجاهات الفكرية في المخطوطات المنشورة في معجم «صلاح الدين المنجد».

وحيث كان نصيب المستشرقين من المخطوطات المنشورة في العينة المأخوذة من كتاب (ذخائر العرب) لـ«عبد الجبار عبد الرحمن» اثنين وثلاثين (٣٢) عنواناً، فقد جاءت موزعة على النحو التالي:

الفن	عدد الكتب	النسبة
التاريخ	٧	٢١٪
التصوف والأخلاق	٤	١٢,٥٪
التراجم	٣	٩٪
الشعر	٣	٩٪
اللغة والنحو	٣	٩٪
الديانات	٢	٦٪
العقيدة والكلام	٢	٦٪
الأدب	٢	٦٪
السيرة	١	٣٪
التفسير	١	٣٪
الحديث	١	٣٪
المجموع	٣٢	٩٨٪

جدول رقم (٢)

الاتجاهات الفكرية في عينة المخطوطات المنشورة في معجم «عبد الجبار عبد الرحمن».

والاتجاهات واضحة في الكتب والعنوانات من (معجم المخطوطات العربية) حيث برزت فنون التصوف والفلسفة وعلم الكلام على بقية الفنون الأخرى بنسبة تعد عالية (٤٣٪) ثم يليها التاريخ والتراجم (٣٠٪). والتشابه هنا في علو النسبة لدى كتاب (ذخائر التراث العربي الإسلامي) إذ التاريخ يشكل (٢١٪) وهي أيضاً تعد نسبة عالية، ثم يليها التصوف والأخلاق (١٢,٥٪)، كما أن هناك تشابهاً في ترتيب

الفنون فيما يتعلق بالفنين الذين احتلا المرتبتين الأولى والثانية، وإن تنافسا على الأولية في المصدرين، وهذا مؤشر على الاتجاهات الفكرية التي حرص عليها جماعة المستشرقين في نشر المخطوطات العربية، مع عدم إغفال أهمية الفنون الأخرى رغم صغر نسبتها.

عينات من المنشور والمحقق:

عني المستشرقون بأمهات الكتب، نشروها وعلقوا على بعضها وترجموا بعضها، ويذكر لهم في هذا مجموعة مما نشروه مثل السيرة النبوة لابن هشام، وفتوح البلدان للبلاذري، والطبقات الكبرى لابن سعد، والمغازي للواقدي، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، وبدائع الزهور لابن إياس، والكامل للمبرد، ونقائض جرير والفرزدق، وتاريخ الطبري، والوافي بالوفيات للصفدي ووفيات الأعيان لابن خلكان، وغيرها.

وفي الوقت نفسه عنوا بنشر المخطوطات الأخرى التي لا نستطيع أن نقول إنها موضع اتفاق من حيث قيمتها العلمية أو الثقافية والفكرية من أمثال: أخبار الحلاج الحسين بن منصور، والطواسين للحلاج، وطبقات الصوفية للسلمي، والبلغة في الحكمة لابن عربي، وآداب الصحبة وحسن العشرة للسلمي، والتشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات الشاذلي يوسف بن يحيى، والرسائل الصغرى لابن عياد الرندي، والخلوة والتنفل في العبادة ودرجات العابدين للحارث بن أسد المحاسبي، وذم الدنيا لابن أبي الدنيا، والمنتقى من كتاب الرهبان لابن أبي الدنيا، المسائل للخراز، ومثلى الطريقة في ذم الوثيقة للسان الدين بن الخطيب، والأئمة المستورون للمهدي عبد الله، والشافية لأبي فراس شهاب الدين الإسماعيلي، والهفت والأظلة لمفضل بن عمر الجعفي، وتاج العقائد ومعدن الفوائد لعلي بن محمد الراعي، والإيضاح لشهاب الدين الراعي، وتنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمونة اليهودي سعد بن

منصور، ورسالة راهب من فرنسة إلى المقتدر بالله لراهب من فرنسة، والدياسطرون أو الإنجيل الرباعي لططيانس وترجمة بن الطيب البغدادي، ومثالب علي بن أبي بشر (أبي الحسن الأشعري) للأهوازي، ورسالة في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي في فعله للجاحظ، والنهج السديد والدر الفريد لأبي الفضائل مفضل القطبي المصري، والأخلاق والانفعالات النفسية لابن سينا، وعيون الحكمة لابن سينا أيضاً، وتعبير الرؤيا لأرطاميدس ونقله إلى العربية حنين بن إسحاق، والآثار العلوية لأرسطو طاليس، ورسالة في ماهية العدل لمسكويه أحمد بن محمد، والحيل (في الفقه) للخصاف أبي بكر بن عمرو، وديوان أبي نواس، ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ (يسخر فيها من أحمد بن عبد الوهاب، ويهزأ بعيوبه الخلقية) والمفاخرة بين الجواري والغلمان للجاحظ[1].

وينبغي التأكيد هنا على أن بعض هذه الآثار لها قيمتها العلمية والفلسفية، ومع هذا نجدها تأتي في وقت الحاجة فيه إلى ما هو أكثر علمية وأنفع فائدة من النفائس، ذلك الوقت الذي بدأت فيه الحركة العلمية في البلاد العربية والإسلامية تعود إلى التراث تجمعه من الخارج وتسعى إلى إخراجه نشراً وتحقيقاً.

والحق الذي يتبين من مجموعة من الأعمال التي تشيد باهتمام المستشرقين بتحقيق التراث تنظر إلى الاهتمام بالتراث لذاته، وربما أغفلت الاتجاهات في تحقيق التراث، وأظن أن دراسة الاتجاهات تحتاج إلى وضوح في المعايير التي ستقاس عليها هذه الاتجاهات، بحيث لا يكون نشر كتاب صوفي - مثلاً - يعد عملاً حسناً من خلال قياسه على المعايير، أو ربما كان حسناً إذا ما كان المعيار يحتويه، ولذا فإن الأهمية

---

(١) عبد العظيم الديب. المستشرقون والتراث - ص ٣٣ - ٢٦.

هنا تكمن في صياغة المعايير بحيث تكون منبثقة من أصالة الإسلام التي عرفتها القرون الأولى، بحيث يخرج منها كل من يمكن أن يكون قد أسهم في الابتعاد عن هذه الأصالة من إسهامات المسلمين الأوائل أنفسهم مما كان مجالاً للتحقيق والنشر عند المستشرقين، وعند عدم الالتزام بمثل هذه الجزئية للمعيار وعدم مراعاته سبب في أن ينظر إلى عمل واحد على أنه حسن كما ينظر إليه نفسه على أنه عمل سيىء.

وعلى أي حال فإن خدمة التراث «ميدان واسع متشعب الجوانب بدءاً بجمع المخطوطات وانتهاء بتحقيقها»[1]. ولا تقف جهود المستشرقين عند جمع المخطوطات وصيانتها وتحقيقها ونشرها أو تصنيفها وفهرستها، بل ربما زادوا على ذلك بالتعريف بها والكتابة عنها وترجمتها إلى اللغات الأخرى.

وإذا ثبت حكم أو ظهرت نتيجة من خلال دراسة اتجاهات المستشرقين في نشر المخطوطات بني على النتيجة الحكم الموضوعي الذي يعمل على حسم الموقف من تحقيق التراث فيخفف من الاندفاع في تأييد الفكرة تأييداً مطلقاً، ويخفف من الاندفاع أيضاً في عدم الثقة بهذه الوسيلة من وسائل المستشرقين في العمل مع مصادر المعلومات الإسلامية[2]. وربما يترك حكماً وسطاً بين الاندفاعين فيحفظ لأهل الفضل فضلهم، ويبين التجاوزات والانحرافات والإساءات والأخطاء، كما

---

(1) سامي الصقار. «دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي» المنهل. ـ مج ٥، ع ٤٧١، السنة ٥٥ ـ ص ١٤٢ ـ ١٦٧. ويؤكد الدكتور الصقار في إسهامات أخرى على الإشادة بأعمال المستشرقين في مقابل غمط الحق مما تأباه الروح الإسلامية.

(2) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم ـ ط ٣. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ـ ص ١٢ ـ ١٣.

يبين أسبابها ومبرراتها حتى لا تكون كلها دليلاً عليهم. وبهذا نتجنب الثناء المطلق كما نتجنب التحامل المطلق الذي «يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال، وما تطرقوا إليه من أبحاث»[1].

في مجال الترتيب والفهرسة والتكشيف:

وللمستشرقين جهودهم في مجالات الفهرسة والتكشيف. ويذكر هنا العمل الكبير الذي قاموا به تحت إشراف «أرنيت يان فنسنك»[2] وآخرين (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) الذي ظهر في سبعة أجزاء، وغطى الكتب الستة ومسند الدارمي وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل. والعمل الآخر الذي قام به «فنسنك» نفسه حيث حاول حصر الأحاديث النبوية مرتبة ترتيباً هجائياً، ونقله إلى العربية «فؤاد عبد الباقي» تحت عنوان (مفتاح كنوز السنة) وكانت طبعته الأصلية قد ظهرت في «حجم الربع» ونشرها بريل في ليدن سنة ١٩٣٤ م في ١٨، ٢٦٨ ص، وطبع في مصر بالعربية سنة ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م.

ويذكر هنا في هذا المجال كشاف «نجوم الفرقان في أطراف القرآن» للمستشرق الألماني «جوستاف فلوجل»[3] ونشر في لايبتزج

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٣.

(٢) أرنت يان فنسنك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩ م) مستشرق هولندي كان تلميذاً لهوتسما، ودي خويه، وهورجرونيه وسخاو. رسالته للدكتوراة كانت عن «محمد واليهود في المدينة» استعان بمائة وثلاثين باحثاً لوضع المعجم المفهرس من سنة ١٩١٦ م. انظر عبد الرحمن البدوي. موسوعة المستشرقين ـ ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

(٣) جوستاف فلوجل (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠ م) درس اللغات الشرقية في لايبتزج، ثم اقام في فينا وباريس ثم عاد لألمانيا. وعمل على وضع فهارس للمخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة فينا. توفي في درسدن. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون ـ ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٤.

سنة ١٨٤٢ م. وكشاف «تفصيل آيات القرآن الحكيم» الذي وضعه بالفرنسية «جول لابوم»[(١)] ونقله إلى العربية أيضاً «محمد فؤاد عبد الباقي» وفيه ترتيب للآيات ترتيباً موضوعياً[(٢)].

ويذكر العمل الذي قام به كل من «فيشر» و«برويونلخ» حيث حاولا حصر شواهد الشعر في أمهات كتب النحو العربية في كتاب صدر في كل من لايبتزج وفيينا بين سنة ١٩٣٤ م - ١٩٥٤ م، وطبعته أوتو تزيلر في أوزنا بروك بألمانيا سنة ١٩٨٢ م في ٣٥٢ صفحة[(٣)].

وتذكر أعمال أخرى كثيرة حول فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في المكتبات والمتاحف الغربية، وهناك أكثر من مستشرق عني بهذا العمل يصعب حصرهم هنا، ويذكر منهم المستشرق الألماني «آلوارد» الذي وضع فهرساً للمخطوطات العربية بمكتبة برلين في عشرة مجلدات، وصدر هذا الفهرس في نهاية القرن الميلادي الماضي، وحوى نحو عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) مخطوطة[(٤)]. وقد عمل الأستاذ «فؤاد سزكين» على حصر الفهارس في مكتبات العالم ضمن العمل الذي قام به حول تاريخ التراث العربي[(٥)]، وقبله عمل «كارل بروكلمان» في (تاريخ الأدب العربي) على

---

(١) ذكره عبد الستار الحلوجي في المرجع التاي. ولم أقف له على ترجمة في مظانه.

(٢) عبد الستار الحلوجي. «جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي» في: مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ع ٦ (١٣٩٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ص ٧٤٩.

(3) Fischer und E. Braunlich. Shawahid- indices. Osnabrucko Otto Zeller, 1982-352 PP.

(٤) سامي الصقار «دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي». المنهل. ص ١٥٦. وانظر مناقشة الفهارس عند أحمد محمد شاكر في مقدمة الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - ج ٥ - بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت. - ١/٤٣ - ٦٢.

(٥) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي: مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم. نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م. ص ٢٨١. =

حصر بعض فهارس المخطوطات في مكتبات العالم[1].

ولا شك في تأثير هذه الأعمال الحصرية على المكتبة العربية وعلى الباحث العربي، ومع هذا فهي لا تكاد تخلو من ملحوظات بعضها يدخل في جانب التقصير البشري الذي يصاحب أي عمل جاد ومضن، وبعضها الآخر قد يتعدى مجرد ذلك إلى ما يدخل في الخطأ والإساءة والانحراف في التبويب أو التكشيف أو الترتيب أو الفهرسة مما قد يدخل في الأسباب غير العلمية.

وقد لحظ المراجعون لما هو متوافر من هذه الكشافات والفهارس في المكتبة العربية شيئاً من هذا القصور الذي يستحق المتابعة. وخير ما يذكر في هذا المقام وقفة «سعد المرصفي» مع أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ومع أنه لم يعمد إلى استقصاء الأخطاء في المعجم إلا أنه وصل أربعمائة وتسعة وسبعين (٤٧٩) نموذجاً للأخطاء كلها تتعلق بصحيح مسلم أحد مواد المعجم التسع، وزعها على سبع مجموعات ويورد لكل مجموعة نماذج من الأخطاء التي وقفت عليها على النحو التالي[2]:

= وانظر ايضاً مناقشة فهارس المخطوطات عند عبد الستار الحلوجي. «فهارس المخطوطات». في: دراسات في الكتب والمكتبات. ص ١٥٥ ـ ١٦٨.

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي. ج ٤ نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب. القاهرة: دار المعارف، (١٩٨٣ م). ص ٢٠ ـ ٤٠ وبروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م) مستشرق ألماني تخرج باللغات السامية. وكتب بالعربية وبالتاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، له آثار كثيرة، انظر نجيب العقيقي المستشرقون ـ ٢/٤٢٤ ـ ٤٣٠.

(٢) سعد المرصفي. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ الكويت: دار القلم، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ـ ص ٢١٠.

المجموعة الأولى:

التحريف في العبارة: وأختار مثالاً لهذه المجموعة النموذج رقم (٢٦) في الكتاب، حيث ورد في الجزء السابع من المعجم، ص ٣٠٣ في مادة «وكع» كلمة فوكعت في جملة «فقدمنا المدينة فوكعت شهراً» والأصل أنها فوعكت شهراً[١].

المجموعة الثانية:

الخطأ في العزو: ومثاله النموذج رقم (٦٦) حيث ورد في الجزء السابع ص ٣٨٢ في مادة «يمن» جملة «كان يسلم ثم يقول السلام... عن يمينه وعن يساره» فأشار إلى ورودهما في مسلم، إقامة ٢٨، وهو خطأ، حيث لا يوجد في مسلم كتاب باسم الإقامة[٢].

المجموعة الثالثة:

الخطأ في الإشارة إلى الكتب: ومثاله ورود مادة «جنب» في الجزء الأول ص ٣٨٠، في جملة «وجنب الشيطان ما رزقتنا» مشاراً إليها في مسلم، طلاق ٦، وهو خطأ، والصحيح أنها في ١٦ النكاح ١١٦[٣]. وأراد بالكتب هنا تقسيم الكتاب إلى مجموعة أبواب عبر عنها السلف بالكتب وهي أقرب إلى رؤوس الموضوعات.

المجموعة الرابعة:

الخطأ في الإشارة إلى أرقام الكتاب الواحد: ومثاله النموذج رقم

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٦.

(١٢) حيث ورد في الجزء الرابع، ص ١٥٣ في مادة عدل جملة «إمام عادل» مشاراً إليها في مسلم، زكاة، وهو خطأ، والصحيح أنها في ١٢ ـ زكاة ٩١ (١٠٣١) وهي فيه «الإمام العادل» بأل التعريف[١].

المجموعة الخامسة:

وضع اللفظ في غير مادته: وأختار له مثالاً النموذج رقم (١٥) حيث ورد في الجزء الأول ص ٢٧٢ كلمة «ترياق» في مادة «ترى» وهو خطأ والصواب وضعها في مادة «ترق» وهي في «وإنها ترياق أول البكرة» ٣٦ ـ الأشربة ١٥٦ (٢٠٤٨)[٢].

المجموعة السادسة:

المخالفة في الترتيب والتداول: ومثالها في النموذج رقم (١٣) حيث ورد في الجزء الأول ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ مادة «جمم» قبل «جمح» والمشهور المتداول وضعها بعد «جمل» وهي في «فأتي الناس الماء جامين رواء» ٥ ـ المساجد[٣].

المجموعة السابعة:

عدم الاستيعاب: ومثاله النموذج (٤) حيث لم يذكر في المعجم الجزء الثالث ص ١٢٤ مادة «شطر» في «الطهور شطر الإيمان» مع ورودها في مسلم، ٢ ـ الطهارة ـ ١ (٢٢٣)[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٧.

وإذا كان في المستشرقين رجال أحرار الفكر لا يقصدون إلى التعصب، ولا يميلون مع الهوى، إلا أنهم أخذوا العلم - في الغالب - عن غير أهله، «وأخذوا من الكتب، وهم يبحثون في لغة غير لغتهم، وفي علوم لم تمتزج بأرواحهم، وعلى أسس غير ثابتة وضعها متقدمون، ثم لا يزال ما نشئوا عليه واعتقدوا يغلبهم، ثم ينحرف بهم عن الجادة.

فإذا هم ساروا في طريق آخر، غير ما يؤدي إليه حرية الفكر والنظر السليم»[1].

ويقول أحمد محمد شاكر: «ومعاذ الله أن أبخس أحداً حقه، أو أنكر ما للمستشرقين من جهد مشكور في إحياء آثارنا الخالدة، ونشر مفاخر أئمتنا العظماء، ولكني رجل أريد أن أضع الأمور مواضعها، وأن أقر الحق في نصابه، وأريد أن أعرف الفضل لصاحبه، في حدود ما أسدى إلينا من فضل، ثم لا أجاوز به عن حده، ولا أعلو به عن مستواه، ولكني رجل أتعصب لديني ولغتي أشد العصبية، وأعرف معنى العصبية وحدَّها، وأن ليس معناها العدوان، وأن ليس في الخروج عنها إلا الذل والاستسلام، وإنما معناها الاحتفاظ بمآثرها ومفاخرنا، وحوطها والذود عنها، وإنما معناها أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأعرف أنه «ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا» وقد - والله - غُزينا في عقر دارنا، وفي نفوسنا، وفي عقائدنا، في كل ما يقدسه الإسلام ويفخر به المسلمون.

وكان قومنا ضعافاً، والضعيف مغرى أبداً بتقليد القوي وتمجيده، فرأوا من أعمال الأجانب ما بهر أبصارهم، فقلدوهم في كل شيء، وعظموهم

---

(1) أحمد محمد شاكر، في الجامع الصحيح، ١/١٩ - ٢٠.

في كل شيء، وكادت أن تعصف بهم العواصف، لولا فضل الله ورحمته[1].

الخاتمة والنتيجة:

في العرض السابق محاولة لإعطاء أمثلة مقتبسة من مصادر عربية تحدثت عن ظاهرة الاستشراق وأبرزت في حديثها شيئاً مما أسهم به المستشرقون في تشويه الآثار الإسلامية حول الرجال الذين نعدهم قادة في العلم والفكر والسياسة، وحول ظواهر نعدها من مقومات هذا الدين.

وربما تكون هذه المحاولة ظاهرة الميل إلى الحكم العام على إسهامات المستشرقين بأنها لم تكن في مصلحة الدراسات الإسلامية، وأنها لم تتعامل مع مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين بتجرد وموضوعية مطلوبة من كل عالم يخوض في مجالات العلم مهما كانت انتماءاتها العقدية والفكرية.

وليست هذه المحاولة بشاملة لهذه الهفوات التي وقع فيها المستشرقون، إذ إن إسهامات الكتاب المسلمين لا تزال تترى لتبيان الأخطاء التي يصر عليها هؤلاء المستشرقون ضد الإسلام والمسلمين. وهي على العموم أخطاء مقصودة في غالب الأحيان، وإن كانت هناك هفوات «عفوية» ما أرادها بعض المستشرقين لذاتها، ولكنهم وقعوا فيها لاعتمادهم على أترابهم الذين وقعوا هم فيها.

وحيث إن الأمر يحتاج إلى مزيد بحث ودراسة مستقلة تطغى عليها العلمية ويقودها منهج البحث الموضوعي فإن الوصول إلى النتيجة يحتاج إلى مزيد من الاقتناع والإقناع.

---

(1) المرجع السابق، ١/ ٢٠.

وقد قدم لنا المسهمون في نقد آثار المستشرقين أنفسهم، الأرضية التي يمكن أن نسير عليها في سبيل الوصول إلى النتيجة. وقد يقال إن الإسهامات وحدها كفيلة بالوصول إلى النتيجة دون مزيد بحث أو دراسة، ولكني أقول إن هذه الإسهامات قد طغت عليها - في غالبها - التعميمات التي تريد أن تثبت ما وصلت إليه عن طريق الاستشهاد بأكثر من عمل لأكثر من مستشرق في أكثر من فرع من فروع المعرفة. بل إن من الإسهامات حول هذه الظاهرة ما لا يتعدى كونه ترديداً لمفهومات قديمة مكررة من محاضرة ألقيت، أو كتاب ألف في بدايات مناقشة ظاهرة الاستشراق، ويحصل في هذه المجموعة شيء من الخلط يعمد إليه المستشرقون أنفسهم يستشهدون به، ويردون به على أولئك الذين يرغبون في حوار علمي مباشر تنجلي من خلاله كثير من المغالطات.

وهذا لا يغفل وجود دراسات متخصصة حول إسهامات المستشرقين في موضوعات محددة كالقرآن الكريم[١]، وسيرة الرسول - عليه السلام[٢] - وأحاديثه - عليه الصلاة والسلام[٣] - والتشريع

---

[١] انظر على سبيل المثال: محمد صالح البنداق. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم - مرجع سابق. ومحمد حسين علي الصغير. المستشرقون والدراسات القرآنية - بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - ص ١٣٤. وزاهر عواش الألمعي. مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش: دراسة تحليلية - ط ٤ (الرياض: المؤلف)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م - ص ١٢٧.

[٢] انظر مثلاً نذير حمدان. الرسول - ﷺ - في كتابات المستشرقين. ط ٢. جدة: دار المنارة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٢٠٧. ومحمد سرور بن نايف زين العابدين. دراسات في السيرة النبوية - برمنجهام. دار الأرقم، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م - ص ٣٦٦. وجوستاف بفانمللر. سيرة الرسول في تصورات الغربيين - ترجمة محمود حمدي زقزوق - المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م - ص ٥٦.

[٣] انظر مثلاً سعد المرصفي. أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - مرجع سابق.

الإسلامي ومصادره[1]، والعقيدة[2]، والتاريخ الإسلامي[3]، ونحوها من الإسهامات المتخصصة التي تحتاجها المكتبة العربية قصداً إلى الوصول إلى النتيجة.

والنتيجة الأولية التي تدعو إليها معظم هذه الإسهامات هي الدعوة الصادقة إلى العلماء المسلمين والمثقفين، والمفكرين للاستغناء عن إسهامات المستشرقين وإسقاط جانب الدراسات والتعليقات من قائمة مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين. وهذه دعوة سهلة الوضع النظري، ولكنها من الناحية العملية سابقة لأوانها لأن عاملي الاقتناع والإقناع لا يزالان في مراحلهما الأولى.

وليس من السهل الميسور أن يقف مثلي هذا الموقف داعياً إلى مثل هذه النتيجة، لأن مدى قبولها مرهون بمدى تعمق الداعي نفسه في هذه الظاهرة (الاستشراق)، وإلمامه بجل جوانبها بحيث يكون ما يقوله أو يدعو له مستنداً على تلكم الأرضية التي مهدها لنا أولئك الذين تتبعوا المستشرقين ولا يزالون. وأخص منهم هنا «الجادين» الذين لا يشكلون صدى للآخرين لمجرد أنهم متحمسون لفكرة، وغيورون على انتمائهم الثقافي من تلك الفئة التي تعتقد اعتقاداً لا يخلو من السطحية أن نظرية

---

(1) انظر مثلاً عجيل جاسم النمشي. المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ـ ص ٢٥٦.

(2) انظر زيد بن أحمد بن زيد العبلان. الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية: دراسة ومناقشة وتحليل ـ بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٠٦ هـ ـ ص ٦١٣ (مخطوطة).

(3) انظر مثلاً شوقي أبو خليل. موضوعية فيليب حتى في كتابة تاريخ العرب المطول. ـ دمشق دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م، ص ٢٢٣. وعبد الكريم علي الباز. افتراءات فيليب حتي وكارل بروكمان على التاريخ الإسلامي ـ جدة: تهامة، ١٤٠٣ هـ ـ ص ١٧٤.

المؤامرة تلاحق هذه الثقافة من كل مكان ووجهة[1].

١ ـ والاستغناء عن الاعتماد على إسهامات المستشرقين في مجالات الدراسات والتعليقات على مصادر المعلومات الإسلامية يمكن أن يبدأ مرحلياً، بحيث لا نصر ـ مثلاً ـ على الباحثين في العلوم العربية والإسلامية أن يجعلوا ضمن مراجعهم المراجع الأجنبية، ولا يكون هذا ديدنهم إلا إذا كان البحث يتطلب ـ علمياً ـ مثل هذا الاستشهاد. وقد رأينا بحوثاً، في التاريخ الإسلامي خاصة، كثيرة المصادر والمراجع العربية ثم تضع في ختامها مجموعة من المراجع الأجنبية ومعظمها لمستشرقين. ورأيت في هذا شيئاً من التكلف وعدم الاقتناع من الباحث. فيزال هذا المطلب الضمني، وتعتمد علمية البحث أو الرسالة على مدى اقتصارها على أمهات الكتب والمصادر الموثوقة والمراجع المقبولة.

٢ ـ كما يمكن أن يبدأ الاستغناء هذا بعدم التبجح بالاستشهاد بأقوال المستشرقين التي تبدو فيها الإيجابية حول مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين. ولا أخال الإسلام بحاجة إلى هذه الأقوال إذا ما كان موضع اقتناع كامل من أهله العلماء والمثقفين وعامة الناس. فحاول

---

(١) ينقل سامي الصقار عن مجلة المسلمون ع ٥ في ١٤٠٢/٢/١٥ هـ ـ ١٩٨١/١١/٢٧ م. ص ٤٢ من مقال للمستشرق الأمريكي «دونالد ليتل» قوله: «نعم، الاستشراق ليس شراً كله، كما يعتقد البعض ممن ترسبت في نفوسهم الكراهية للغرب الاستعماري، حتى أغلقوا وايقنوا أن كل ما يهب من الغرب لا يمكن إلا أن يكون رياح المؤامرات والدس والفتن والكيد للإسلام والمسلمين. وفي هذا ظلم كبير لبعض المستشرقين ولأنفسنا أيضاً، لأننا بهذا الموقف نحرم ثقافتنا الإسلامية من ثمار عقول لا يحركها إلا حبها للحقيقة، ونقيم حاجزاً بين أنفسنا وبين علماء ينفقون سنوات عمرهم في محاولة الاقتراب منا واستيعاب ثقافتنا وفهمها» انظر «دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي» المنهل ـ مرجع سابق، ص ١٤٣. وكلام «ليتل» يوحي بالانتماء للإسلام، فإن يكن مسلماً فإنه حينئذٍ لا يصدق عليه أن يقال عنه إنه مستشرق. ومن غير الصواب قول بعضهم عن مستشرق أسلم المستشرق المسلم. إذ لا يجتمعان.

الجميع غرس الثقة بالموروث الثقافي، وخاصة ما صلح منه.

٣ ـ ويمكن أن يبدأ الاستغناء أيضاً عن إسهامات المستشرقين في مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين في مجالات الدراسات والتعليقات عندما يتحقق البديل لهذه الدراسات والتعليقات باللغة العربية أولاً، ثم باللغات الأخرى التي يتكلمها المسلمون ثانياً، ثم باللغات الباقية الأخرى ثالثاً. هذا البديل الذي يراد منه أن يسد النقص في مجالات كثيرة لا تقتصر على الدراسات الإسلامية التي تملأ الساحة اليوم، بل تتعدى هذا إلى إيجاد الأدوات المرجعية كالموسوعة الإسلامية المؤصلة[١]، والوارقيات «البيليوجرافيات» العربية للإسهامات الإسلامية[٢] وتعدد مراكز البحوث التراثية التي تهتم بالمخطوط العربي دراسة وتحقيقاً ونشراً وصيانة[٣]. وأعلم، ويعلم كثير من المتابعين، أن هناك دراسات وتحقيقات لمخطوطات أريد منها الحصول على مؤهلات علمية عالية، ثم بقيت عند أصحابها والمؤسسات التعليمية التي أجازتها مطبوعة بالآلة الكاتبة، واعتمد نشرها على قدرة الباحث المادية على تحمل نفقات نشر هذا الإنتاج، وهناك بدائل أخرى كثيرة ذات علاقة مباشرة بخدمات المكتبات والمعلومات من وراقيات «ببليوجرافيات» وفهارس وكشافات ونحوها مما لا يستغني عنه الباحث اليوم، وإن وجدت هذه بكثافة أسهمت في تحقيق الدعوة إلى الاستغناء عن إسهامات المستشرقين في

---

(١) انظر المناقشة الجيدة للموسوعة العربية عند نسيم الصمادي. دائرة المعارف العربية: أزمة فكر لا أزمة نشر، مرجع سابق.

(٢) انظر المناقشة الجيدة لتجميع التراث المخطوط عند عبد الستار الحلوجي. «نحو خطة عربية لتجميع تراثنا المخطوط» في: دراسات الكتب والمكتبات. مرجع سابق، ص ١٦٩ ـ ١٨١.

(٣) وانظر أيضاً المناقشة الجيدة حول دراسة المخطوط عند عبد الستار الحلوجي. «مسؤولية جامعاتنا تجاه تراثنا المخطوط» في المرجع السابق، ص ١٨٣ ـ ١٩٠.

دراسات مصادر المعلومات الإسلامية.

٤ ـ ثم يمكن أن يبدأ الاستغناء هذا عندما تقوم المؤسسات العلمية المتخصصة بدراسة ظاهرة الاستشراق بتوجيه جهودها إلى المستشرقين أنفسهم بلغاتهم، تحاورهم محاورات علمية، وتناقشهم مناقشات موضوعية، وتناظرهم مناظرات هادئة، يقصد من ورائها كلها الوصول إلى الحق. فيعترف من خلال المؤسسات العلمية المتخصصة بدراسة الاستشراق بالجيد المقبول من الإسهامات الاستشراقية، ويرد غيرها مما حصل فيه خلط أو سوء فهم أو قصد فيه إلى المغالطات. والمحاورات والمناظرات يمكن أن تكون مباشرة من خلال الندوات والمؤتمرات والحلقات العلمية وغيرها، أو يمكن أن تكون عن طريق الدراسات والأبحاث والمقالات التي تنشر في دوريات علمية محكمة رصينة.

والوسائل متعددة وكل ما أسهم في تذليل عقبات اللقاء مع المستشرقين قصدا إلى الاستغناء عن الاعتماد عليهم في مجالات الدراسات والتعليقات فهو مقبول ما دام لا يجر إلى محذور يدخل في متاهات أخرى، وإن كان البعض ربما لا يروقه مثل هذا الأسلوب، ويرى إغفال القوم وعدم إعارتهم أي انتباه مباشر، والاستمرار في الوقوف مع إسهاماتهم نقداً ومراجعة، ولا أظن هذا الموقف سوف يغنينا عن الاعتماد على إنتاج المستشرقين العلمي مصدراً من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين وعن تراث المسلمين في ماضيهم وحاضرهم. ولا أرى من الحكمة تجاهل هذا الأمر وإثارة سؤال استنكاري حول التصدي لإسهامات المستشرقين في إثراء المكتبة الإسلامية بالأعمال حين قال: ثم ماذا؟! ماذا يهمنا أن يقول عنا المستشرقون وأرى أن من الحكمة إعطاء هذا الأمر ما يستحق، لأني أزعم أنه جزء مهم وفاعل في محاولة نزع سلطان الدين من النفوس.

الفصل الثالث

رحلات المستشرقين مصدراً من مصادر المعلومات عن العرب والمسلمين(*)

(*) نشر هذا الفصل في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. مج١، ع١ (محرم ١٤١٦هـ-يونيه ١٩٩٥م).- ص ٣٩-٨١.

«إن القارئ العربي كثيراً ما تعتريه حالة من الريبة والشك حيال كتابات الغربيين عن العرب، وهي حالة مع منافاتها للحكمة العربية القديمة: (الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها)، لا تتفق مع المنطق القويم في شيء، فالحق يجب قبوله، أيًا كان مصدره، والباطل لا يتوقف رفضه على معرفة مصدره، وأولئك -بحكم بعدهم عنا، وجهلهم لأحوالنا في الماضي- تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطأ، لا ينبغي أن تكون حائلًا بيننا وبين المعرفة، بل الأجدر بها أن تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة كل ما يكتب، عن بلادنا وتاريخها، لتقبل الحق وتنتفع به، وتنفي الزيف وتأباه. ثم الكمال -من قبل ومن بعد- لمن له الكمال».[1]

حمد الجاسر

---

[1] جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم.- نقله إلى العربية قدري قلعجي، قدم له حمد الجاسر.- بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.- ص ١٦.

المقدمة:

المعلومات عن الإسلام والمسلمين تمتد زمانيًا إلى ألف وأربع مئة سنة وتزيد، كما تمتد مكانيًا فتشمل العالم القديم والحديث على حدٍّ سواء، وإن كان منشأ المعلومات قد انبعث من مكة المكرمة ثم المدينة المنورة، مع بعثة محمد بن عبد الله -عليه الصلاة والسلام- إلى الناس كافة. وتمتد لغويًا بحيث تشمل اللغات العالمية الحية، وبعض غير الحية، وإن كانت اللغة العربية هي الأساس في نقل المعلومات الإسلامية، وبها نزل القرآن الكريم، وتحدث بها المسلمون الأوائل، ولا يزال كثير منهم يتحدث بها. وتمتد وعائيًا فتشمل الأوعية التقليدية من المخطوطات والكتب، وغير التقليدية من المطبوع وغير المطبوع.

وهي معلومات مشاعة لا يملك أحد من الناس الحجر عليها، فهي متاحة للجميع، وليس لدى المسلمين إجراءات، كهنوتية أو غير كهنوتية، تحجب معلوماتهم عن بعض منهم أو عن غيرهم. ومن أجل هذا كان الاشتغال بعلوم المسلمين الأصلية والفرعية متاحاً للمسلمين ولغيرهم.

وقد اصطلح على تسمية المشتغلين بعلوم المسلمين من غير المسلمين بالمستشرقين، وهو اصطلاح لا يقتصر على المشتغلين بعلوم المسلمين من غير المسلمين، بل إن أصل إطلاقه كان، ولا يزال، يشمل المشتغلين بالشرق من غير الشرقيين، على ما سيأتي بيانه.

والحديث عن الاستشراق والمستشرقين حديث لا يخلو، غالبًا، من تدخل الهوى وسيطرة العاطفة على المنتمين إلى الثقافة التي يتحدث عنها المستشرقون، ذلك أن الاستشراق يطرق موضوعات ذات صلة قوية بالمبادئ والمثل التي تقوم على الدين ثقافةً وفكرًا، حتى أولئك الذين لا يعطون الانتماء الديني، من أبناء الدين نفسه، اهتمامًا لا تخلو مناقشاتهم من الهوى والعاطفة، التي قد تكون على حساب الانتماء، ولمصلحة الطرف الآخر، نتيجة الانبهار بالجهود التي يقوم بها المستشرقون في دراسة الإسلام والمسلمين.

وينبغي النظر إلى الاستشراق المهتم بالإسلام[1] على أنه ميدان واسع، طرق علماؤه مجمل فروع المعرفة الإسلامية وعلوم المسلمين بدءًا بالقرآن الكريم وعلومه والسنة النبوية، وسيرة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وعلم الرجال، والفقه والعقيدة والمعاملات والظاهرات الاجتماعية في الزمن الذي مضى وفي الوقت الراهن، ولذا فإن الحديث عن ظاهرة الاستشراق، دون الغوص في جزئياتها، والتخصص في جانب محدد منها، قد تطغى عليه العموميات، ويسيطر عليه، في الغالب، التعميم في الأحكام، الأمر الذي يحتاج إلى إعادة نظر في أسلوب دراسة الاستشراق والمستشرقين، من حيث كونها ظاهرة من الظاهرات التي صحبت انتشار الإسلام وعلومه في

---

(1) سيأتي عند الحديث عن مفهوم الاستشراق تقييده بما يتعلق بالدراسات العربية والإسلامية، وهو منطلق الحديث عن هذا الموضوع.

العالم القديم والحديث.[1] وفي هذا يقول المستشرق "ستوري"[2]: « إنكم في البلاد العربية تعتقدون أن جميع المستشرقين متعصبون على الإسلام. وما أرى هذا الاعتقاد صحيحًا دون قيد. نعم، إن هناك فريقًا تعصب بحكم صنعته التي يرتزق منها، ولكن هذا الفريق معروف عندنا كما هو معروف عندكم، وليس من الإنصاف أن يشمل الحكم جميع الباقين. إن الذين خدموا العربية كثيرون، وقد حاولوا أن يكونوا منصفين في أبحاثهم بقدر ما يمكن للإنسان أن يكون منصفًا ».[3]

مفهوم الاستشراق:

ولست بصدد الخوض في تعريف الاستشراق والوقوف على دوافعه وأهدافه وانتماءات المستشرقين، فهذه مقدمات تحدثت عنها الدراسات

---

(1) هناك نقاش حول كنه الاستشراق من حيث كونه ظاهرة أو علمًا، فبعض المفكرين المسلمين يرى أنه مجرد ظاهرة لا ترقى إلى أن تكون علماً؛ لافتقارها إلى مقومات العلم من حيث وجود نظرية وأطر علمية يسير عليها، مثله في ذلك مثل التنصير والاستعمار، بينما يرى مفكرون آخرون أنه علم قائم بذاته له أطره ومنهجيته وأهدافه ووسائله.

(2) سي. أي. ستوري مستشرق إنجليزي من طراز "براون" و"نيكلسون" ، عمل أستاذًا للغة العربية بجامعة "عليكرة" في الهند، ثم في كمبريدج، ثم تفرغ لدراسة الأدب الفارسي. ويذكر "العقيقي" أنه يملك «أعظم مكتبة خاصة شرقية في إنجلترا». انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- ٣مج.- ط٤.- القاهر: دار المعارف، (١٩٨٠م).- ٢:١١٨-١١٩.

(3) علي حسني الخربوطلي. المستشرقون والتاريخ الإسلامي.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.- ص ١٠٢. (سلسلة تاريخ المصريين-١٥).

العلمية المتوسعة والمتخصصة، إلا أنه يهمني أن أقرر هنا أن الاستشراق، في الجانب الذي يخدم البحوث العربية والإسلامية، هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.[1]

وليس المراد بالمستشرق -اليوم- « شخص غربي غير مسلم (من أوروبة وأمريكا) يدرس اللغة العربية وبعض وجوه الثقافة الإسلامية »، كما يشير "عمر فروخ" -رحمه الله-؛[2] إذ إن هذا التعريف ضيّق جداً، يُدخل الباحث في حرج، حينما يعمد هذا الباحث أو غيره إلى تصنيف غير الغربيين، ممن يدرسون الإسلام وهم لا ينتمون إليه، على أنهم مستشرقون، ولو لم يكونوا من الغرب، بما في ذلك الذين ينسلون من أصل عربي، سواء بقوا بين العرب أو انتقلوا إلى "الغرب" يعملون في مؤسساته العلمية، أو من أصبح مقامهم بين العرب ولسانهم عربيًا، ولكنهم آثروا البقاء على عقيدتهم اليهودية أو النصرانية على الدخول في الإسلام. وأزعم أن هؤلاء إذا ما درسوا الإسلام من منطلق استشراقي عُدُّوا من المستشرقين، ولو لم يكونوا غربيين.

---

(1) لقد حاولت حصر التعريفات التي تعرض لها الدارسون لظاهرة الاستشراق في كتاب الاستشراق في الأدبيات العربية.- الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.- ص ١٧-٢٢.

(2) عمر فروخ. «الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة».- في: الإسلام والمستشرقون. تأليف نخبة من العلماء المسلمين.- جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ص ١٢٥-١٤٣.

واشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم وفنونهم وأساطيرهم متاح للجميع، بل إن المجتمع المسلم في القديم والحديث مثار اهتمام كثير من الثقافات الأخرى، لما يحدثه هذا المجتمع من أثر على الحياة الاجتماعية، ليس في المجتمع المسلم فحسب، ولكن في أي مجتمع توجد به أقلية مسلمة. إلا أن اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين يفتقر إلى عامل مهم في الدراسة الموضوعية والمنهجية، وهو الانتماء لهذه الثقافة التي تنبع منها تلك العلوم والمعارف التي يدرسها غير المسلمين.

ولا يكفي، فيما يظهر لي، مجرد الإعجاب بالثقافة وبأهلها وبمنبعها، بل لا بد من الانتماء الذي يحيل هذه الدراسات إلى القبول المبدئي، ويزيل عنها عقدة الشك التي لازمت كثيراً من دراسات المستشرقين إلى درجة يتعذر معها التخلُّص منها مهما كان الأمر، إذا ما رسخ في أذهاننا أن المشتغل بهذه الدراسات لا ينتمي إليها.

وليس الانتماء مقصوداً لذاته معياراً للقبول أو الرفض؛ لأن إسهامات المنتمين لهذه الثقافة والفكر أنفسهم تخضع للرفض رغم انتمائهم لها، مع أن الأصل فيها القبول، إلا أن كونها صادرة عن بشر فهي تخضع لمقابلتها بالمعيار الذي تقاس عليه هذه الإسهامات، وهو مأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم. - وهذا المعيار - كما سيأتي- ليس معتداً به لدى كثير من المستشرقين، لأنهم لا يؤمنون به، أي لا ينتمون إليه، مما يؤثر على النتائج التي يتوصلون إليها، وتكون مجالاً للتأثير على حساب المقياس الصحيح للوصول إلى النتائج.

ويقر بعض المستشرقين بهذه العقدة المتأصلة، ولذا فإنهم يعتذرون للمسلمين بلباقة أحيانًا، لا سيما إذا كانوا بينهم، عن عدم قدرتهم على تحقيق الانتماء في الدراسات الاستشراقية، ومن ثم تحقيق المعيار، لأنهم يفتقرون إليه. وفي هذا يقول المستشرق الألماني "أ. د. جريكة"[1]: «... ومما لا ريب فيه أن النظر إلى الأشياء يختلف بين مفكر مسلم وبين مفكر لم يتخرج من مدرسة الإسلام، تلك المدرسة المتورعة المتسامحة في آن واحد. فهو رجل لا يفقه كلام الرسول إلا من سبيل الترجمة، ولا يستطيع التعبير إلا حسب منطق فكري مباين، فلا بدع إذن أن يؤدي ذلك إلى نتائج قد لا تكون نفس النتائج التي يصل إليها المفكر المسلم».[2]

ومثل هذا ما ينقل عن "ألفريد غيوم"[3] قوله: « ليس هناك خطأ أكبر من خطأ بناء حقائق عامة على أساس من المعارف الناقصة أو الضعيفة، ومن لا

---

[1] أ. د. جريكة مستشرق ألماني معاصر، كان رئيسًا لقسم علوم الشرق والعصور القديمة بجامعة هالة بألمانيا.

[2] من محاضرة له في الملتقى السنوي السادس للتعرف على الفكر الإسلامي الذي يعقد في الجزائر. ١:٦.

[3] ألفريد غيوم تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر، كما عمل محاضرًا للغة العبرية في المعهد الملكي بلندن، واللغات الشرقية بجامعة درهام، وأستاذًا زائرًا للغة العربية بالجامعة الأمريكية ببيروت، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العراقي. وله آثارمنها تراث الإسلام، وأثر اليهودية في الإسلام. توفي سنة ١٩٦٢م. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢: ١١٧-١١٨.

يعيش مع العرب[1] لا يمكنه أن يلم الإلمام التام بأحوال وطباع ملايين المسلمين في آسيا وأفريقيا، ولا يمكنه أن يقول شيئًا صحيحًا ومؤكدًا عن المجتمعات المتفرقة هنا وهناك، فلا بد من التعايش كي يقوم أحدهم بالتعليق، أو الحديث عن الإسلام والمسلمين».[2]

وعن هذا الاعتذار وأمثاله يقول "محمد كرد علي"[3]: « ليس من المعقول أن نكلف من لم يتأدبوا بأدبنا، ولم تعمل فيهم أحاسيسنا، ولا دانوا ديننا، أن يعتقدوا ما نعتقد».[4] وهذا حق، فلم يطلب أحدٌ منهم ذلك، ولكن الذي يحق للمسلمين أن يطلبوه من المستشرقين وغيرهم ممن يدرسون المجتمع المسلم أو يتحدثون عنه، في مجالات خاصة أو عامة، أن يكونوا منصفين موضوعيين، ولو لم يوفّقوا إلى الحقيقة من منطلق إسلامي. وفي هذا يؤكد

---

(1) جرت عادة الكتاب الغربيين من مستشرقين وغيرهم أن يعبروا عن المسلمين بالعرب.

(2) نقلاً عن ويندل فيليبس. رحلة إلى عُمان.- ترجمة محمد أمين عبد الله.- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.- ص ٢٠.

(3) محمد كرد علي من مواليد دمشق سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وحرر جريدة الشام، ثم الرائد المصري، ثم جريدة الظاهر اليومية، ثم المؤيد، ثم المقتبس، وعمل في المجمع العلمي بدمشق، وترك آثارًا علمية أبرزها (خطط الشام) في ستة أجزاء، وله وقفات مع الاستشراق والمستشرقين. انظر سيرته الذاتية في: محمد كرد علي. خطط الشام.- ٦ مج.-ط٣.- بيروت: مؤسسة الأعلى للمطبوعات، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.- ص ٣٣٣-٣٤٧.

(4) محسن جاسم الموسوي. الاستشراق في الفكر العربي.-بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.- ص ١٩.

"محمود حمدي زقزوق" قوله: «ونحن لا نطلب من كل مستشرق أن يغير معتقده ويعتقد ما نعتقده نحن عندما يكتب عن الإسلام، ولكن هناك أوليات بديهية يتطلبها المنهج العلمي السليم. فعندما أرفض وجهة نظر معينة لا بد أن أبين للقارئ أولاً وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها، ثم لي بعد ذلك أن أوافقها أو أخالفها».[1] والمقصود بالفهم هنا -على ما يبدو- فهم أصحابها الصحيح لها، وليس مجرد الفهم، لأن بعض أصحابها قد لا يفهمونها الفهم الصحيح؛ إذ هم ليسوا حجة في فهم وجهة النظر في كل الأحوال.

ويقول "محمد عبد الله مليباري":[2] «وربما اعتذر بعضهم باختلاف روح النظرة إلى كنه هذه القضايا (الإسلامية) بين المؤمن بها والمنكر الدارس للتوصل إلى حقائقها. وهو عذر وإن كان له في ميزان النقد أصالته، إلا أن التذرع به يسلب هذا المنكِر الدارس ميزة تفهم هذه القضايا وواقع ظروفها، والبيئات المحيطة بها...».[3] ويضرب مثالاً لذلك بالمستشرقَين "يوسف

---

[1] محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- ط ٢.- القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ص ٩٥.

[2] محمد عبد الله مليباري من مواليد مكة المكرمة سنة ١٣٥٠هـ، أديب وكاتب صحفي، له أعمال متفرقة في القصة والتراجم والتاريخ، توفي سنة ١٤١١هـ. انظر: محمد عبد الله مليباري. المستشرقون والدراسات الإسلامية.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. (الغلاف الأخير).

[3] محمد عبد الله مليباري. المستشرقون والدراسات الإسلامية.- المرجع السابق.- ص ٦٥.

شاخت"[1] و"هاملتون جب".[2]

فضل المستشرقين:

وعلينا أيضًا مواجهة الحقيقة التي مؤداها أن للمستشرقين فضلاً على تراث المسلمين، من حيث حفظه ونشره وتحقيقه في وقت غابت فيه الدراسات "الشرقية" الجادة المنتمية التي تخدم هذا التراث، وأكاد أقول الآن إن خدمة التراث الإسلامي، أو تراث المسلمين، إذا أردنا الدقة في التعبير، لا تزال تعاني قصورًا شديدًا في حدود البلاد العربية والإسلامية، مهما كثرت المؤسسات العلمية، وتعالت أصوات الغيورين على التراث.

كما أن علينا مواجهة الحقيقة التي مؤداها أن للمستشرقين عيوبًا في اهتمامهم بتراث المسلمين في مجالات التحقيق أو الدراسات المستقلة، وذلك بسبب عدم انتمائهم للثقافة التي يدرسونها ويحققون تراثها. هذا إذا

---

(1) يوسف (جوزف) شاخت تخرج في جامعة برسلاو ولايبتزج. ودرّس في عدة جامعات أوربية وعربية، واشتهر بدراسة التشريع الإسلامي، وقد نشر عدة كتب في التراث التشريعي، وأسهم في تحرير (دائرة المعارف الإسلامية)، وتوفي سنة ١٩٦٩م. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢:٤٦٩-٤٧٠.

(2) السير هاملتون جب من مواليد الإسكندرية بمصر، ومن أعلام المستشرقين، خلف مرجليوث في أكسفورد، وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة. وقد أتقن العربية وتحدث بها. ومارس التدريس في عدة معاهد وجامعات. وله عدة آثار منها (اتجاه الإسلام)، و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، وعدة ترجمات من العربية. توفي سنة ١٩٧١م. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢: ١٢٩-١٣١.

تجاوزنا الدوافع والأهداف غير العلمية، وافترضنا أن المستشرقين ينطلقون من دوافع علمية موضوعية متجردة، ويهدفون إلى نتائج علمية موضوعية متجردة كذلك.[1]

وبين هذين الموقفين يبرز التوازن الذي يقف بين اتجاهين في النظر إلى أعمال المستشرقين. وهما اتجاهان متعاكسان، أحدهما يقبل أعمال المستشرقين على علاتها، ويرى أنها تصدر عن علمية صادقة وموضوعية متجردة، وتنظر إلى الإسلام نظرة "علمية" تختلف عن النظرة التقليدية التي ينظر فيها المسلمون إليه، وكأن أصحاب هذا التوجه بهذا يقولون صراحة: إن المستشرقين يفهمون الإسلام أفضل من فهم المسلمين السابقين واللاحقين التقليدي له. وقد قيل ذلك.

والموقف الثاني هو الموقف الرافض تمامًا لأسلوب المستشرقين في دراسة التراث وتحقيقه، بل وحفظه، وأن هذا الأسلوب بدراسته للتراث يخدم أهدافًا أقل ما يمكن أن يقال عنها: إنها تعمد إلى تشويه الإسلام وأهله، ورميهم بالأصولية والتطرف ثم الإرهاب في النهاية، قصداً إلى تحجيم الدين

---

[1] للنظر في دوافع المستشرقين وأهدافهم يرجع إلى: علي بن إبراهيم النملة. «كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف».- في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكم.- ع١.- المدينة المنورة: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.- ص ١٩-٦٠.

والحد من الإقبال عليه.[1]

ويمكن قبول هذا الرفض إذا كان منصبًا على منهج المستشرقين في دراسة الإسلام، لا سيما أن منهج المستشرقين في المقارنة بين الأديان قام على مقياس التأثير والتأثر، « كما لو أن الأمر يدور حول شيء إنساني يخضع لهذا المقياس الإنساني، ولهذا فنحن نرفض -ومعنا كل الحق- منهج المستشرقين في دراسة الإسلام، لأنه منهج مصطنع جاء وليد اللاهوت الأوروبي، ولأنه منهج يقصر عن فهم طبيعة الأديان السماوية، ويحاول أن يضعها في صعيد واحد مع الاتجاهات الفكرية الإنسانية ».[2]

الاستشراق المعاصر:

ويتكئ الاستشراق المعاصر على الاستشراق القديم، ولا يستطيع الفكاك منه، مع أن هناك محاولات جادة من بعض المستشرقين المعاصرين لتحسين صورة الاستشراق لدى العلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين، وتأكيدهم على

---

[1] في تحديد مواقف العلماء والمفكرين العرب والمسلمين من الاستشراق والمستشرقين انظر: الفصل الرابع من هذا الكتاب، وانظر أيضًا: هاشم صالح، مترجم ومعد. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه - لندن: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ٢٦١ ص. ويشمل مواقف كل من: محمد أركون، ومكسيم رودنسون، وآلان روسيون، وبيرنارد لويس، وفرانسيسكو غابرييلي، وكلود كاهين.

[2] محمود حمدي زقزوق.- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- مرجع سابق.- ص ١٠٨.

النظرة المعاصرة للإسلام، بعيدًا عن التأثيرات الاستشراقية القديمة التي اتسمت بالهجوم المباشر على الإسلام والمسلمين من ناحية، وإبراز الجهود العلمية القديمة التي أسهم بها المستشرقون إيجابًا من ناحية أخرى، مثل "جون إسبوزيتو"[1] أحد تلامذة الأستاذ "إسماعيل الفاروقي"[2] -رحمه الله-، فهو يحاول "الانسلاخ" من الاستشراق القديم، حتى إنه ليكاد يخرج نفسه من المصطلح، فهو قد لا يرضى أن يقال عنه إنه مستشرق، ويفضل أن يقال عنه إنه عالم إسلاميات (Islamist)، ولا يفضل أن يطلق عليه مصطلح (Orientalist)، بل إنه ذكر لي أنه "يكره هذا الإطلاق".[3]

---

[1] جون إسبوزيتو مستشرق أمريكي معاصر من أصل إيطالي، تتلمذ على الأستاذ إسماعيل الفاروقي -رحمه الله تعالى- بجامعة (تمبل) بفيلادلفيا بولاية بنسلفانيا من الولايات المتحدة الأمريكية، يعمل أستاذًا في الأديان والشئون الدولية بجامعة جورج تاون بواشنطون، وترأس مجموعة من الهيئات المهتمة بالإسلام والشرق الأوسط، ويرأس الآن تحرير موسوعة العالم الإسلامي المعاصر التي ستنشرها جامعة أكسفورد، وله آثار في متابعة أوضاع المسلمين في العصر الراهن. انظر:

.John L Esposito. **Islam: The Straight Path**.- Oxford: Oxford University Press, 1994. p. i

[2] إسماعيل بن راجي الفاروقي أستاذ أمريكي من أصل فلسطيني، عاش في الولايات المتحدة الأمريكية، ورأس قسم الأديان بجامعة تمبل بفيلادلفيا. مات مقتولاً في رمضان من سنة ١٤٠٧هـ.

[3] وقد يطلق عليهم بعضهم Islamologist على اعتبار أن هناك علمًا يدعى Islamology بديلاً للمصطلح Orientalism أو مزاحمًا له.

ومع هذا فإن معظم المستشرقين المعاصرين لا يستطيعون النظر إلى أقرانهم القدماء إلا نظرتهم إلى الرواد في هذا المجال، وإن لم يقبلوا جميع ما جاء به معظم المستشرقين القدماء؛ ذلك أن ما جاء به القدماء من التصورات كانت تخاطب عقلية أخرى وتقدم لها تصورات تناسبها « وربما تكون بعض هذه التصورات الغربية عن الإسلام ونبيه -عليه الصلاة والسلام- قد دخلت إلى عالم النسيان، وعفا عليها الزمن، لا سيما ما يتعلق منها بأساطير العصور الوسطى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكنها مع ذلك لا تزال، وستظل، جزءًا أساسيًا من تراث الغربيين لا بد لنا من الاطلاع عليه ومعرفته »، كما يشير "محمود حمدي زقزوق" في مقدمته لترجمة كتاب سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تصورات الغربيين لغوستاف بفانملر.[1]

ويقول "وليد نويهض": « لم تهدأ حركة الاستشراق ثأريًا (كمنهج فكري) إلا في مرحلة تراجع المسلمين، وبداية اقتحام أوروبا معاقلهم وديارهم. في هذه الفترة دخل الاستشراق مرحلة جديدة وانتقل من الثأر والانتقام إلى الاستيلاء والغلبة، وأخذ ينظر إلى المسلمين من عدو تاريخي (الند للند) إلى عدو دوني أقل رقيًا وتقدمًا من أوروبا ....».[2]

---

[1] جوستاف بفانملر، سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في تصورات المستشرقين.- ترجمة محمود حمدي زقزوق.- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.- ص ٦.

[2] وليد نويهض. «نهاية الاستشراق، ٣- تطور الاتصالات أنهى وظيفة الاستشراق

ولذا لا يستغرب أن "يستفظع" المستشرق الرحالة، من منطلق التعالي على الشرق، الممارسات التي يقوم بها أهل الشرق في عاداتهم وتقاليدهم وأنماط السلوكيات عندهم في الأكل والشرب واللباس وغيرها. وقد كان "هاري سانت جون فيلبي" يعشق هذه الطريقة ويتمثلها في حياته عندما كان يجوب المنطقة مع المستشرق البريطاني الكولونيل "كانليف أوين" الذي كان يحتقر هذه السلوكيات، ولا يريد من "فيلبي" أن يتمثلها، ولكن "فيلبي" يتجاهله ويعامله « كما يعامل المستشرقون رجال البادية: التجاهل أنهم في الوجود»،[1] وعلى طريقة أحدهم في الرد على أحد رجال البادية بعد أشهر من الصحبة: «إنني لم أسمع جيِّدًا ماذا قلت، ولكني لا أوافق معك في أي حال».[2]

ونعود إلى "وليد نويهض" حيث يقول: « لا شك نجح تحديث الاستشراق في فترة تحوله من حركة سياسية ثأريَّة إلى حركة معرفية عقلية في التخلص من الكثير من الفرضيات والافتراءات والأوهام السابقة، فقد اعتمد الاستشراق السابق على نقل الأخبار من الشرق عن طريق الحجاج

المعرفية».- صحيفة الحياة اليومية.- ع ١١٥٤٧(٢٩-٩-١٩٩٤م/٢٤-٤-١٤١٥هـ).- ص ١٨.

(١) سمير عطا الله. قافلة الحبر: الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢/١٩٥٠م).- لندن: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ص ١٠٣.

(٢) سمير عطا الله. قافلة الحبر.- المرجع السابق.- ص ١٠٣.

المسيحيين بعد عودتهم من زيارة الأراضي المقدسة (في فلسطين). أما الاستشراق المعاصر فقد انتقل إلى العقل والنقد من دون أن يتخلص نهائيًا من جوهر المرحلة السابقة، لكنه بدأ بالاعتماد مباشرة على الرحلات والاحتكاك والاستطلاع. مع ذلك لا يمكن القطع نهائيًا بين نشاط الرحالة وتمويل المؤسسات الحاكمة أو الناشئة آنذاك في أوروبا المتطلعة للسيطرة على طرق المواصلات وشبكة التجارة والمعابر البحرية. وتركز النشاط الاستشراقي سابقًا في فئة النبلاء التي كانت تملك الإمكانات لتمويل الرحلات، ثم انتقل إلى فئات التجار وأخيرًا الشركات».[1]

ولا يقف الأمر عند الاتكاء على جهود الأقدمين فقط، ولكن الاعتراف بفضل الرواد يسوق-دون قصد أحيانًا- إلى محاولة تبني وجهات نظرهم مع شيء من التحقق والتحقيق.

ولا يزال الاستشراق المعاصر بحاجة إلى أن يثبت جديته في نظرته العلمية إلى علوم المسلمين. وإني أشك في موضوعيته وتجرده، لا سيما في ظل التطورات الحديثة القائمة التي تشهدها الساحة الإسلامية داخل ما نسميه اليوم بالعالم الإسلامي وخارجه، والشعور الغربي أن الإسلام بدأ يشكل خطرًا على الحضارة الغربية، وأنه قد يكون "العدو الجديد"، بعد أن تخلص الغرب من "العدو التقليدى في هذا القرن من الزمان بتفتيت الاتحاد السوفيتي، وتفكيكه، وإحداث المشكلات داخل الجسم المتفكّك.

---

(1) وليد نويهض. « نهاية الاستشراق».- مرجع سابق.- ص ١٨.

وفي هذا السياق يؤكد "إدوارد سعيد"[1] - وهو من أبرز من حمل على الاستشراق والمستشرقين، رغم افتقاره إلى الانتماء إلى الثقافة الإسلامية التي تحامل عليها الاستشراق والمستشرقون، بل إنه ينتمي إلى الثقافة التي انطلق منها المستشرقون أنفسهم- يؤكد على أن « الاستشراق المعاصر يعلمنا الكثير عن عدم الأمانة الفكرية الناتج من المراءاة بهذا الخصوص، والذي تكون نتيجته زيادة الانقسامات حدة وتوتراً، وجعلها أثيمة ودائمة في آن واحد».[2]

ولو وفق عمل إدوارد سعيد هذا - وقد صدر أصلاً باللغة الإنجليزية- إلى ترجمة جيدة إلى اللغة العربية لكان له تأثير أقوى مما هو عليه الآن، ولكن أسلوب الترجمة تعمد الدخول في متاهات التعبير والأسلوب الغريب أضاعت كثيراً من القدرة على متابعة أفكار الكاتب الأصلي في هذا العمل القيم، وإن ادّعى المترجم صعوبة الأسلوب الذي اتبعه "إدوارد سعيد" في النسخة الأصل، إلا أن هذه الصعوبة في الأصل الإنجليزي لم تمنع بعض الدارسين العرب من الرجوع إلى النسخة الإنجليزية رغم توافر النسخة العربية.

---

(1) إدوارد سعيد أستاذ أمريكي من أصل فلسطيني، درّس في جامعة كولومبيا بنيويورك. وله كتابات متعددة حول نظرة الغرب إلى الإسلام منها (تغطية الإسلام) و(فهم الإسلام) وغيرها، وهو عضو في المجلس الوطني الفلسطيني، ويذكر أنه يقيم الآن في القدس، ويواصل نشاطه الصحفي في المجال نفسه.

(2) إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء.- نقله إلى العربية كمال أبو ديب.- ط٢.- قم (إيران): دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م.- ص٣٢٤.

ومن المهم أن يذكر هنا أن عمل "إدوارد سعيد "هذا لم يلق قبولاً لدى بعض المستشرقين والمفكرين العرب. وقد تعرض للنقد في الصحافة وفي بعض الكتابات العلمية، مما يجعل أحكامه أكثر قابلية للوزن بالميزان العلمي الدقيق. ولا يعني موافقتها لهوًى في أنفسنا أن نقبلها على علاتها.[١]

والمجال هنا ليس يهدف إلى تتبُّع الأفكار التي تضمنها كتاب (الاستشراق)، ثم الوقوف معها وقفات نقدية، فقد قام بهذا الجهد من هم أقرب إلى مجالات النقد.[٢]

---

[١] يقول "مكسيم رودنسون" في مقابلة معه في مجلة الحوادث (ع ٢٣، ديسمبر ١٩٨٠م): «في الحقيقة أن إدوارد سعيد يجهل موضوع الاستشراق أولاً، وهو غير متمكن منه بشكل جيد ... إنه انساق مع ما يناسبه واختار ما يلائم قصده، فتجاهل المستشرقين والمدارس الاستشراقية التي لا تنسجم مع ذلك». ولعل "إدوارد سعيد" قد اتخذ في هذا قدوة له من بعض المستشرقين.

ويقول نديم البيطار في نقده لعمل "إدوارد سعيد": « عرْض مفهوم إدوارد سعيد حول الاستشراق كاف في ذاته في الكشف عن اللاعلمية البارزة التي تميزه. هذا المفهوم ينطبق ولا شك على قطاعات مجموعات استشراقية أو أفراد ساهموا بقدر كبير أو صغير في الفكر الاستشراقي، ولكنه لا ينطبق على الاستشراق ككل، وجميع الذين شاركوا فيه...» انظر: نديم البيطار. حدود الهوية القومية: نقد عام.- بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م.- ص ١٥٩.

[٢] انظر مثلاً: نعمان عبد الرزاق السامرائي. الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د. محمد أركون ود. إدوارد سعيد.- الرياض: دار صبرى للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ١٦٠ ص. و محمود قاسم. «الاستشراق: المعرفة السلطة الإنشاء بقلم إدوارد سعيد ترجمة كمال أبو ديب»، وعدنان المبارك. «آراء بولندية في كتاب إدوارد سعيد: الاستشراق»، وكامل يوسف حسين. «خصائص النص الاستشراقي في وضعية النزاع: ملاحظات أولية حول

الحكم المسبق:

ومن مشكلات بعض الدراسات الاستشراقية أنها تبني النظرية حول سلوك ما أو ممارسة من الممارسات، ثم تسعى إلى إيجاد الأدلة أو المثبتات لهذه النظرية. وتقوم هذه النظريات غالبًا على رؤًى مرسومة سلفًا. وفي هذا يقول "أبو الحسن علي الحسني الندْوي"[(١)]: «ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية ويقررون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق، ثم يقومون لها بجمع المعلومات -من كل رطب ويابس- ليس لها أي علاقة بالموضوع، سواء من كتب الديانة والتاريخ، أو الأدب والشعر، أو الرواية والقصص، أو المجون والفكاهة، وإن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها، ويقدمونها بعد التمويه بكل جرأة، ويبنون عليها نظرية لا يكون لها وجود إلا في نفوسهم وأذهانهم».[(٢)] وقبل هذا يقول: «ورغم الاعتراف بفضلهم وعلمهم لا يمنعني شيء في هذا المجلس الموقر أن أصرح بأن طائفة كبيرة من المستشرقين كان دأبها البحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية

سجال برنارد لويس وإدوارد سعيد»، في: الاستشراق ع٢ (شباط ١٩٨٧م) ص ١٠٥-١٣١.

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي، بسكون الدال، من علماء العربية في الهند. تخرج في ندوة العلماء بلكهنو بالهند، وإليها ينتسب. له إسهامات جيدة في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ويرأس الآن رابطة الأدب الإسلامي.

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين واستعراض لبحوث المسلمين في الموضوعات الإسلامية.- ط٣.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ص ١٦.

والحضارة والتاريخ الإسلامي وإبرازها لأجل غاية سياسية أو دينية ».[1]

ولا يظهر أن "الندوي" يقصد أن هناك ضعفًا أو مواضع ضعف في الشريعة الإسلامية نفسها، بقدر ما يتطرق الضعف للممارسات والتطبيق لدى المسلمين أنفسهم، الأمر الذي ينبثق عنه حكم خاطئ على الإسلام نفسه.

ومثل هذا القول حول الافتراضات وبناء الاستنتاجات عليها قول "وليد نويهض": «... تمَّ إلحاق بعض نشطاء الرحالة بالمؤسسات التي كانت تريد أن تتعرف على أحوال وعادات وتقاليد الشعوب من خلال تقارير الرحالة والمبشرين. وهو أمر أملى بعض الاجتهادات الاستشراقية الحديثة أن تكون في موقع غير قادر على التخلص كليًا من العقلية الثأرية السابقة، فانتقلت إليها العديد من الهواجس والأفكار الاستعلائية والعنصرية إلى التشكيك بنبوة الرسول والافتراء على سيرته، وتأويل النصوص كيفيًا، وأحيانًا تحريفها إما بسبب قلة المعرفة، أو انطلاقًا من فرضيات استنتاجية ...».[2]

ومثل هذا القول، أيضًا، ما يذكره "إبراهيم عبد الكريم" الذي درس الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، إذ يقول: « يوضح استعراض

---

[1] أبو الحسن علي الحسني الندوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين...– المرجع السابق.– ص ١٥.

[2] وليد نويهض. «نهاية الاستشراق».– مرجع سابق.– ص ١٨.

الأبحاث الاستشراقية الإسرائيلية أن قسمًا كبيرًا منها كان يصدر عن مفاهيم ورؤًى متقاربة تتخللها أحكام مسبقة، وتشيع فيها الصور النمطية والقولبة. ومعروف أن الأحكام المسبقة هي أحكام متسرعة تصدر قبل أوانها، تستبق الأمور، وتبنى على التكهن، فتصل إلى النتيجة قبل تفحُّص الموضوع، وقبل تقليب جوانبه على النحو الكافي».(١)

المستشرقون الرحالة:

ومن المستشرقين الذين يهمنا أمرهم في هذه الوقفة المستشرقون الرحالة الذين كان لهم فضل في الكشف عن جوانب كثيرة من الحياة في الشرق، سجلوها ووثقوها، وأضحت أعمالهم هذه بعد ذلك مصادر معلومات عن هذه البقعة الكبيرة من العالم المعاصر، لا يستغني عنها باحث في التاريخ والجغرافيا والاجتماع والأنثروبولوجيا. ومن أبرز هذه الأعمال، فيما يتعلق بالجزيرة العربية، (دليل الخليج) بإشراف "ج. ج. لوريمر"(٢) في أربعة عشر [١٤] مجلدًا، للتاريخ سبعة أجزاء، وللجغرافيا سبعة أخرى، وترجمه قسم

---

(١) إبراهيم عبد الكريم. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل.-عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٣م.- ص ١٩٦.

(٢) ج. ج. لوريمر عمل موظفًا سياسيًا في منطقة الخليج العربية، وألف كتابًا ضخمًا سماه (دليل الخليج) أو (وقائع الخليج) Gazetter of Persian Gulf نشرته حكومة الهند في كلكتا سنة ١٩٥١م. انظر: عبد الفتاح أبو علية. الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠-١٨٩١م.- الرياض: مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، د.ت.- ص ١٩.

الترجمة بمكتب أمير قطر، وطبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر، وصدر عن مطابع علي بن علي بالدوحة في قطر.[١]

ومثلها، وإن لم تكن في حجمها، مذكرات "وليم جيفرد بلغريف" وعنوانها (قصة رحلة إلى وسط وشرق الجزيرة العربية)، وهي مليئة بالوصف والانطباعات عن وسط الجزيرة العربية وشرقها وعادات أهلها وتقاليدهم.[٢]

وكذلك رحلة الليدي "آن بلنت" إلى وسط الجزيرة العربية، وقد صحبت زوجها إلى المنطقة وعايشت الناس وأخذت عنهم كثيراً مما سطرته في مذكراتها.[٣]

وكتب الكابتن "ج. فورستر سادلير" كتابه (رحلة عبر الجزيرة العربية خلال ١٨١٩)،[٤٤] وغيرها كثير مما سجل انطباعات عُدّت مصادر اعتمد

---

[١] عمر بن صالح السليمان العمري. التطور السياسي للبحرين ١٨٠٠-١٨٩٢، ١٢١٥-١٣٠٩. رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.- ص ١٤.

[٢] William Gifford Palgrave. **Narrative of a Year's Journey Through central and Eastern Arabia** (1862-1863).- 2 vols.- London:..., 1965.1

[٣] Lady Anne Blunt. **Pilgrimage to Nejd: a Visit to the Court of the Arab Amir and our persian campaign.**- 2vols.-2nd. ed.-London: John Murray,188

[٤٤] ج. فورستر سادلير. رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م.- ترجمها أنس

عليها من أتى بعدهم من الباحثين المستشرقين وغيرهم.

ومن المهم التأكيد على أن الرحالة الذين زاروا المنطقة العربية والإسلامية لم يكونوا بالضرورة جميعًا من المستشرقين، بالتعريف الدقيق لهذا المصطلح؛ إذ إن من هؤلاء الرحالة السياسيين والأطباء والمستكشفين الجغرافيين والمنصرين، وأولئك الذين "عشقوا" الشرق فقصدوه للتعرُّف عليه وعلى أهله. وفي هذا يقول "ريتشارد ثرينش" عن طبيعة أغراض الرحالة، ومحاولات بعضهم تصحيح الجهل الأوربى بالشرق أنه كان عليهم « أن ينتصروا على أنفسهم، فالقلة منهم كانت نخبة حقيقية، أما الباقون فكانوا إمبرياليين أو مدنّسين أو مغامرين أو وصوليين أو جواسيس أو بحاثة عاديين».[1]

ومع هذا سأفترض تجوُّزًا أن من طرق أبواب الشرق وكتب عنه يدخل ابتداءً بالمفهوم العام لمصطلح الاستشراق، لا سيما إذا صبغت هذه الانطباعات بالصبغة العلمية، وخرجت عن مجرد كونها مقالة عابرة أو تقرير سريع يلحق في بعض الصحف السيارة. هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الرحالة قد خلفوا وراءهم "أدبًا" يستفاد منه كثيرًا في التعرف على الأماكن والعادات والتقاليد والأعراف، يتعارف عليه الآن بأدب الرحلات، ويعد هذا الأدب مصدرًا من مصادر المعلومات لدى المستشرقين، وفي هذا مارس

الرفاعي.- الكويت: سعود بن غانم الجمران العجمي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.- ٣٠٠ ص.

[1] نقلاً عن: سمير عطا الله. قافلة الحبر.- مرجع سابق.- ص ٤٧.

الرحالة «دورالإثارة ودغدغة الخيال ونسج الكلام الأسطوري حول مغامراتهم. وشكلت تقاريرهم ورواياتهم (أدب الرحلات) خطوة متقدمة عن الفترة الأولى [بعثات الحجاج المسيحية إلى الأراضي المقدسة في فلسطين]؛ إذ تم الاحتكاك المباشر عن طريق المعايشة، لا عن طريق تسقُّط الأخبار من العائدين من بعثات الحج كما كان يحصل في السابق».(١)

ويؤيد هذا الافتراض تأكيد "حمد الجاسر" على أن الرحالة يعدُّون من المستشرقين؛ إذ يقسمهم إلى فئتين: فئة « عُنيت بنشر المؤلفات القديمة، ومنها ما يتعلق بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم ... [و] فئة الرواد من العلماء والمغامرين الغربيين، الذين كشفوا كثيراً من معالم جزيرة العرب وآثارها، وعرفوا المجهول من مختلف أخبارها وأحوالها، بعد أن جاسوا صحاريها، واخترقوا فيافيها وقفارها، ووصلوا إلى أصقاعها النائية، وتوغلوا في مجاهلها، مدفوعين بدوافع مختلفة، مستهينين في سبيل ذلك بجميع الأخطار والصعوبات ...».(٢)

وليس الغرض هنا استعراض الرحلات جميعها، فهي تستحق العرض

---

(١) وليد نويهض. «نهاية الاستشراق (٣ من ٣): الطبعة الثانية تتوجت بغلبة نظرية التفوق الحضاري».- صحيفة الحياة اليومية ع ١١٥٤٦ (٢٣-٤-١٤١٥هـ/ ٢٨-٩-١٩٩٤م).- ص ١٨.

(٢) انظر مقدمة "حمد الجاسر" في: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم.- مرجع سابق.- ص ٥-٧.

المستقل، ولكن الغرض أخذ عينات من إسهامات المستشرقين الرحالة، مع الاعتراف بما قاموا به من جهود علمية، وتقدير ما تعرضوا له من صعوبات.

ومع التأكيد على عدم التعميم في الانطباعات التي خرجت من بعضهم، بل إن رحلاتهم إلى جزيرة العرب وحدها قد أبرزت أسماء لامعة في أدب الرحلات قد جرى استعراضها في مصادر المعلومات عن الرحلات إلى جزيرة العرب، وقد جرى ذكر بعض من هذه المصادر في ثنايا هذه الدراسة.[1]

---

(١) تشمل الأسماء اللامعة في أدب الرحلات، لا سيما في الجزيرة العربية، كلاً من كريستيان سنوك هورخرونيه، وريتشارد بورتون، وكارستن نايبور، ولويس بوركهارت، ووليم غيفورد بالغريف، ومايكل كوهين، وتشارلز داوتي (خليل)، وتي.إي. لورانس، والكونتيسة ماليفواتي، وجورج أوغست والان (عبد الولي)، وشارل ديديه، ولويس بيلي، وبرترام توماس، وهاري سانت جون فيلبي (عبد الله)، وبيتر (بطرس) فورسكال، وكريستيان كارل كريمر، وغيورغ فيلهلم بورينفانيد، وكريستيان فون هافن، ولودفيكو دي فارتيما، وماثيو دي كاسترو، وماركو بولو، وأولريك ياسبر ستزن (موسي)، والميجور روك، وهيو كليفورن، وولف، وتي. جي. أرنو، وجوزف هاليفي، ووالتر هاريس، وشاتوبريان، واللورد بايرون، وويلفرد سكاوين بلانت وزوجته الليدي آن، ولويس فارتيما البولوني (يونس)، وفان دون بروكه، وديكسيتر، ودومينغو باديا أي ليبليخ (الحاج علي بك العباسي)، وفنسان لبلان، وشاربيه، وجون جوردان، وستزن، وتاميزيه، وغوارماني. وهؤلاء جزء ممن ورد ذكرهم في: سمير عطا الله. قافلة الحبر.- مرجع سابق.- ص ٥-٦٤، وفي: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم- مرجع سابق.- ٤٣٤ ص. وفي: James C. Simmons, ed.: **Passionate Pilgrims: English Travelers to the World of the Desert Arabs**.- New York: William Morrow and Company, Inc.,1987.-399 p.

والمهم هنا أن هؤلاء الرحالة قد رسموا صوراً عن المجتمع العربي كونتها الانطباعات التي مرت عليهم وهم في مهماتهم المختلفة، أرادوا منها أن يطلعوا قومهم على هذا المجتمع بنيات وأهداف وغايات مختلفة. وهناك من جمع هذه الانطباعات بغض النظر عن انتماءات أصحابها ومهماتهم التي عاشوا في المنطقة من أجلها.[1]

وهناك من قدم إلى الشرق بانطباعات مسبقة لم يتمكنوا من التخلص منها إلا بعد أن عايشوا الشرق وأهله، وتعرفوا عن كثب على الدين الذي يدينون به، فمنهم من قبله واعتنقه، ومنهم من احترمه وأكبر معتنقيه، ومنهم من زاد كرهه له وأهله، لأسباب منها عدم قدرة أهله على تمثله بحق، ومنهم من أراد استغلال الإسلام مطية لتحقيق أغراض جاء من أجلها، إلا أنهم لم يملكوا جميعًا إلا أن يعجبوا بالشرق وأهله. يقول "ريتشارد ترينش": «... أكثرية هؤلاء جاءوا وهم يحملون الكره للإسلام، وجاء آخرون يدّعون أنهم أبناء الإسلام، أما الباقون فجاءوا وفي نيتهم أن يستغلوا الإسلام. لكن أحداً

---

(1) انظر جملة من هذه الانطباعات في: James C. Simmon.
Passionate Pilgrims: English Travelers to the World the Desert Arabs.- ibid.

ويتضمن هذا الكتاب جملة من التحليلات لرحلات كلٍ من نابليون في مصر، والليدى هيستر ستانهوب، وأي. دبليو. كينغليك، والسير ريتشارد بورتون، والأب وليام بالغريف، والليدي جين دغبي المسراب(!)، والسير ولفريد سكاون بلانت، والليدي آن بلانت، وتشارلز إم. داوتي، وتي. إي. لورنس. كما يشتمل الكتاب على قائمة وراقية (ببليوجرافية) مختارة تفيد كثيرًا في متابعة

منهم لم يغادر هذه الأرض إلا وهو يكنُّ للإسلام احترامًا عميقًا إلى أبعد الحدود. والبعض أشهر إسلامه. أما أولئك الذين لم يتغيروا بعد هذه التجربة العميقة فقد ماتوا بأيديهم. على أن ما كان يجمعهم كلهم هو ذلك الهوس بالجزيرة العربية وبالبدو وبحياة البداوة وبأنفسهم».(١)

والمعروف أن للمستكشفين الجغرافيين أثرًا بارزًا في الكشف عن مواطن كثيرة تبنت الكشف عنها الحكومات الغربية ودعمت رحلاتها، وكانت بحق دليلا للحملات الاستعمارية والتنصيرية التي تلت هذه الاستكشافات، حتى عدت إحدى الوسائل المعينة على التنصير.(٢) ولجاكلين بيرين كتاب (اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم)،(٣) وأن تتصدر كلمة المغامرة عنوان الكتاب فهذا دليل على ما اكتنف هذه الرحلات من المخاطرة والرغبة في خوض عالم كان مجهولاً لدى الآخرين.

ولا يمكن أن يستبعد الدافع التنصيرى من رحلات المستشرقين والمستكشفين، ويُرجع هذا للسبب التاريخي الذي يزعم أن للمسيح -عليه السلام- « الحق في استرجاع الجزيرة العربية التي أكدت الدلائل التي

أدب الرحلات إلى الجزيرة العربية والبلاد العربية الأخرى.

(١) نقلاً عن: سمير عطا الله. قافلة الحبر.- مرجع سابق.- ص ٤٧.

(٢) علي بن إبراهيم النملة. التنصير في الأدبيات العربية.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.- ص ٤٤-٤٥.

(٣) جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم.-مرجع سابق-

تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها».[1] كما يقول المنصِّر والمستشرق الأمريكي "صموئيل زويمر."[2]

المعيار:

وإذا كان من حق أي إنسان أن يفد إلى أي مجتمع من مجتمعاتالمسلمين وغير المسلمين، ويكتب عنها، فإنه ليس من حقه أن يجعل من المجتمع الصغير، داخل المجتمع المسلم الكبير، الذي يكتب عنه مقياسًا للمجتمع المسلم كله، ناهيك عن أن يكون هذا المجتمع الصغير نمطًا أو نموذجًا يقاس به الإسلام نفسه، ذلك أننا نؤمن أن الإسلام نفسه حجة على الناس أفرادًا وجماعات، وليس العكس. وهنا تكمن الخطورة في الحكم على الإسلام من منظور ضيق وأخلاقيات أو عادات أو ممارسات اتسم بها مجتمع صغير، قد يكون مفرِّطًا في تعاليم الإسلام أو مفْرطًا فيها. وهذا يعني أنه ينبغي على من يسعى إلى جعل المجتمع مقياسًا لمدى تمسك أهله بدينهم ومبادئهم

---

٤٣٤ ص.

(١) نقلاً عن خالد البسام. القوافل:رحلات الإرسالية الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٦٢.- ترجمة وإعداد خالد البسام - البحرين: مؤسسة الأيام، ١٩٩٣م.- ص ٩.

(٢) صموئيل زويمر منصر و مستشرق أمريكي معروف في منطقة الخليج والمنطقة العربية، وأنشأ مجلة تعنى بالشئون الإسلامية من وجهة نظر استشراقية تنصيرية. ويعد زويمر مثالاً واقعيًا للترابط بين الاستشراق والتنصير. توفي سنة ١٩٥٢م. انظر: نجيب العقيقي.

ومثلهم أن يتعرف على الدين بمبادئه ومثله.

وقد يكون للناقد الحق في نقد المجتمع المسلم، إذا لم يربط هذا النقد بالدين ويعيد السلبيات التي يراها إلى ارتباط أهلها بالنظام الاجتماعي أو السياسي الإسلامي، وعندها يحتاج إلى معيار تقاس عليه ممارسات أي مجتمع يؤمن بالأساس الذي نبع منه المعيار، أو اشتق منه، مثل السلوكيات المحلية، أو ماتمليه أعراف القبيلة أو ما خلفته ثقافة دخيلة بحكم الاستعمار أو غيره.

ولا يحق للدارس، مستشرقًا أو غير مستشرق، أن يطبق معاييره هو المبنية على خلفية ثقافية دينية أخرى على مجتمع آخر له خلفيته الثقافية الدينية، التي لا يؤمن بها هذا الدارس ولا يتمثلها ولا يتبناها.

والمعيار الحق عندنا أن تقاس ممارسات المجتمع المسلم بالإسلام، بمبادئه ومثله وأخلاقه وعاداته. وفي هذا المنهج موضوعية وتجرد، قد لا تتحقق لبعض المستشرقين الذين رحلوا للمجتمعات المسلمة، وتنكروا بالاسم والزي العربي واللسان وغيرها قصداً إلى الولوج في أعماق المجتمع، والخروج منه بأسوأ الانطباعات، إن لم نقل تصيُّد أسوأ الممارسات، ذلك أن الممارسات الحقيقة الصادقة، أو القريبة من الصدق لا تكوِّن خبرًا يستحق النقل إلى مجتمعات أخرى تعاني من خلل في سلوكياتها، ولا يملك نقل هذه الصورة المثالية إلا الموضوعيون الذين يتمنون أن يروا هذه الممارسات في مجتمعهم هم، الأمر الذي لا يتناسب والشعور بالفوقية، التي أشار إليها المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣:١٣٨.

"وليد نويهض" في تحليله السابق ذكره، ولذا تأتى الانطباعات التي ينقلها بعض المستشرقين الرحالة لتعضد الشعور بالفوقية، وبالتالي إشعار المجتمع الآخر بالدونية، الأمر الذي تحقق شيء كثير منه لدى عدد غير قليل من أفراد المجتمع العربي والمسلم، وانعكس على موقف هؤلاء من خلفيتهم الثقافية ومن يحملونها في المجتمع وخارجه.

الانطباعية:

ومن المآخذ على بعض الدراسات الاستشراقية اعتمادها على الانطباعية في استصدار أحكام على المجتمع المسلم، أو على تعاليم إسلامية. وتكثر الانطباعية هذه لدى المستشرقين الرحالة الذين لم يكتفوا بالقبوع في مكاتبهم ومكتباتهم، بل قدموا إلى المجتمع المسلم في الجزيرة العربية أو في مصر أو في المغرب العربي، أو في المشرق الإسلامي عمومًا، ثم تتبعوا ممارسات المسلمين في أي وقت، وبنوا عليها أحكامًا لا على المسلمين فحسب، بل على الإسلام نفسه. وهنا مكمن الخطر؛ إذ إن دراسة مجتمع مسلم في أي وقت واردة من المسلمين ومن غيرهم، وواقع المسلمين مفتوح للدراسة من الجميع، فإن لم يدرسه المسلمون درسه غيرهم، إلا أن غيرهم سيعزو ما يراه وما يكوّنه من انطباعات على أنها تمثيل "حي وعملي" للخلفية الدينية أو الثقافية أو العادات والتقاليد، أو المبادئ التي يقوم عليها هذا المجتمع، لا سيما عندما يتسمى بالمجتمع المسلم. فتصدر الأحكام متخذة من ممارسات المجتمع حجة على الإسلام الذي نعتقد أنه صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يعمد المتتبع للمجتمع المسلم تتبع الناقد أن يطبق على هذا المجتمع معاييره هو التي يمكن له أن يطبقها على مجتمعه هو، بما يتصف به مجتمعه من مقومات قد لا تصدق جميعها على المجتمع المسلم الذي يتتبعه بالنقد. ولعل مما أسهم في إشاعة هذه الدراسات الانطباعية، وأعان على أن تلقى القبول لدى المفكرين المسلمين وغيرهم افتقار المنطقة إلى الدراسات "المحلية" التي تنبع من البيئة نفسها، فأقبل الناس على أية دراسة تصف مجتمعًا بعينه،[1] لا سيما أولئك الباحثون الذين يحتاجون في دراسة مجتمع بعينه إلى معلومات عن المجتمع الذي سيدرسونه، سواء أكانوا باحثين مسلمين أم غير مسلمين.

ومكمن الخطر هنا هو في قلب الموازين -كما نقول- فالمحقق عندنا، نحن المسلمين، أن تعاليم الدين حجة على مطبقيها، وليست ممارسات الأفراد أو المجتمعات حجة على التعاليم نفسها. أي إن المجتمع المسلم، أي مجتمع مسلم، يقاس بالإسلام، ولا يقاس الإسلام بالمجتمع أو بالفرد. وهذا خطأ لا يقع فيه المستشرقون وحدهم، بل يقع فيه بعض المفكرين الآخرين من العرب ومن غيرهم ممن يسعون إلى التقليل من شأن الدين في حياة الأفراد والجماعات.

وقد رحل جمع من المستشرقين إلى الشرق لأغراض شتى، منها

---

[1] فرد هاليداي. المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية.- ط٢.-تعريب وتعليق محمد الرميحي.- الكويت: شركة كاظمة، ١٩٧٧م- ص ٧.

الاقتصادي التجاري، والاستعماري، والسياسي، والتنصيري، والعلمي، وأسهموا في التنظيمات السياسية التي قامت آنذاك، مثل الجمعية الأفريقية، التي أنشئت عام ١٧٨٨م، وهيئة استكشاف فلسطين، التي أنشئت في القرن التاسع عشر الميلادي، وجمعية الهند الشرقية، التي أنشئت سنة ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م.[١] كما أسهموا في الحملات العسكرية التي احتلت البلاد العربية والإسلامية.[٢] ومعلوم أن "نابليون بونابرت"[٣] قد أحضر معه جمعًا من المستشرقين، كان لهم أثر في محاوراته مع علماء الأزهر.[٤]

والمهم هنا التعرض للرحلات العلمية التي قام بها المستشرقون الرحالة، وخرجوا منها بانطباعات زعموا أنها تعكس الواقع المسلم في الفترة التي سجلوا فيها انطباعاتهم، على الأقل، ثم سعوا إلى تعميمها على المجتمع المسلم بغض النظر عن الزمان والمكان.

---

[١] ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية.- جزآن.- مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م.- ص ٦٤.

[٢] محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٢م.- ص ١٣٠-١٤٢.- (سلسلة عالم المعرفة/١٦٧).

[٣] نابليون بونابرت الأول قائد فرنسي احتل مصر، وكان قد أحضر معه مجموعة من المستشرقين إليها ليجادلوا علماء المسلمين، ودخل الأزهر، وحاول احتلال الشام. حياته حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية، وقد نفي إلى سنت هيلانة حيث مات هناك بالسرطان سنة ١٨٣١م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة.- القاهرة: دار الشعب، د.ت.- ص ١٨١٢.

[٤] محمو د مقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا.- المرجع السابق.- ص ١٨٨.

على أن المجتمع المسلم بعامة، والجزيرة العربية بخاصة تمثل لغزًا لدى كثير من المهتمين من الغربيين، ومنهم المستشرقون، فهي تمثل مهبط الإسلام، وموطن الأماكن المقدسة التي يحظر على غير المسلمين الدخول إليها.[١]

ولذا لجأ بعض المستشرقين إلى تغيير أسمائهم بأسماء إسلامية عربية، وادعى بعضهم الإسلام ودخل الجزيرة العربية حاجًا، ثم انطلق إلى شرقها وجنوبها، ووسطها أحيانًا، لينال القبول من الولاة والأمراء الذين لم يكونوا يرحبون بالأجنبي في أرض القداسات، ويخشون أنه إنما جاء ليفسد. ومع هذا فلم يجدِ التنكّر وإخفاء الهوية مع بعضهم، فكان مصيرهم القتل على أيدٍ مجهولة، لعلها كانت تتبعهم بإيعاز من الوالي. فهذا "زيتسن"[٢] يتنكر

---

[١] من الآية {إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} الآية من سورة التوبة، وحديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- عن عبدالله بن زيد -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة». رواه البخاري ومسلم وعبد بن حميد وأبو عوانة والطحاوي والبيهقي. انظر: صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي.الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: جمعًا ودراسة.- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.- ص ٤٩.

[٢] أولريش جاسبر زيتسن مستشرق ورحالة ألماني تنقل بين مصر والحجاز واليمن والشام وفلسطين، وجمع مخطوطات وأودعها بالمكتبة الدوقية بجوتا، وكتب رسائل عن رحلاته إلى هامر-بروجشتال، وله آثار منها (أشعار في سوريا وفلسطين وبلاد ما وراء الأردن وبلاد العرب ومصر السفلى). توفي في اليمن سنة ١٨١١م. انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة

بهوية طبيب شرقي، ويتسمى بالحاج "موسى"، ويدخل مكة المكرمة سنة ١٨٠٩م، ثم يتجه إلى اليمن فيقتل بالقرب من تعز دون أن يعرف القاتل ولا سبب القتل.[1] وهذا المصير يذكي روح المغامرة لدى بعض المستشرقين الذين يرغبون في "استكشاف" الجزيرة العربية والشرق الإسلامي عموماً، ويغري بالوقوف على هذه المجتمعات ونقل الوصف عنها إلى الغرب،[2] الذي يعتمد في معرفته لها على انطباعات عن سحر الشرق، هي أقرب إلى الألغاز والشاعرية "الرومانطيقية" المأخوذة من الأساطير المختلقة "كألف ليلة وليلة"،[3] والاختلاقات المحاكة عن الخلفاء المسلمين، مثل ما حيك عن الخليفة

المستشرقين.- ط٣.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.- ص ٣٣١.

[1] محمد علي حشيشو. «الرحالة الألمان إلى البلاد العربية».- في: المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية.- دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجِّد.- ط٢.-بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.- ص ٧٩-٩٢.

[2] معن خليل عمر. «التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي».- في: الاستشراق ع١ (كانون الثاني ١٩٨٧م)، ص ٢٩-٣٤. (سلسلة كتب الثقافة العربية-١).

[3] ينقل محمود المقداد عن عفيف يهنسي في كتابه أثر العرب في الفن الحديث قوله إن "فولتير": «يعترف أنه لم يزاول فن القصص إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة. وأوضح لوبون G. Lebon أن هذا الكتاب ألقى نوراً ساطعًا على العرب والشرق، وعلى الناحية الإيجابية لخصائصهم، بل لقد أثار في نفوس الغربيين السعي للتعرف على الشعوب التي كانت وراء هذا الأثر العظيم. وقد لا يكون من المبالغة القول إن هذا الكتاب كان أول الطريق إلى الاستشراق وانتشار حركته في الغرب». انظر: محمود المقداد. تاريخ الدراسات العربية في فرنسا.- مرجع سابق.- ص ١٤٦-١٤٧.

العباسي "هارون الرشيد" -رحمه الله تعالى-.[1]

ومن ناحية أخرى يعتمد الغرب على المعلومات هذه في سبيل اتخاذ إجراءات نحو الشرق، إما بالاستعمار أو بتحديد نوع العلاقة السياسية أو الاقتصادية مع هذا العالم الموصوف بالنامي.

ولا يصدق تغييب الهوية والاختفاء بالملابس والأسماء العربية على الجميع، بل إن هناك رحالة جاسوا خلال الديار، دون أن يضطروا إلى إخفاء أنفسهم وراء اسم مستعار مثلاً، فهذا الطبيب "هاريسون"[2] يجوب الجنوب الشرقي من جزيرة العرب (عُمان)، ويصف مشاهداته في أكثر من كتاب، منها كتابه (رحلة طبيب في الجزيرة العربية). الذي يتهم فيه أهل رأس الخيمة بأنهم متطرفون حتى فيما يتعلق بالصلاة في المسجد![3]

---

(1) هارون الرشيد بن أبي جعفر المنصور، الخليفة العباسي المشهور، «كان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء ويعظم حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وُعِظ»، وقد توفي بإحدى غزواته بخراسان سنة ١٩٣هـ. انظر: محمد بن شاكر الكتبي. فوات الوفيات والذيل عليها.- ٥ مج.- تحقيق إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٤م.- ٤:٢٢٥-٢٢٧.

(2) بول هاريسون أحد الأطباء الأمريكيين الذين قدموا المنطقة في بعثة تنصيرية بدأت سنة ١٨٩٤م. انظر: روبن بدول. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية.- ترجمة عبد الله آدم نصيف.- الرياض: المترجم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ص ١٩٤.

(3) هاريسون. رحلة طبيب في الجزيرة العربية.- ترجمة محمد أمين عبد الله.- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.-١١٥ص.

ويصف "فرد هاليداي" في كتابه (المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية) حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" -رحمه الله تعالى- بأنها حركة إرهابية، تمخضت عنها ممارسات إرهابية كذلك، مثل ما يقوم به البوليس الديني (المطاوعة) من إرهاب الناس ودفعهم إلى الصلاة بالقوة، وعزل النساء، وإجبار السجناء على قراءة القرآن الكريم.[1] والمقصود هنا، على ماهو واضح، ما تقوم به "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" التي تمثل

وقد أحسنت وزارة التراث القومي والثقافة حينما سعت إلى ترجمة مجموعة من آثار الرحالة المستشرقين وغيرهم ممن تحدثوا عن سلطنة عُمان وغيرها مما له علاقة بها، ثم نشرها. ومن هذه الإصدارات الكتاب المذكور، ومنها في سلسلة تراثنا:

هجرات الحرث إلى أواسط القارة الأفريقية لكوليت جراند ميزون، ١٩٨٤م، وبنو الجلندي في عُمان لج. سي. ولكنسن، ١٩٨٢م، وحصن جبرين: تحفة رائعة من العمارة العُمانية في القرن السابع عشر، ١٩٨٣م. ودراسة لآثار عمان لبياتريس دي كاردي ودونالد س. وتكومب، ١٩٨٣م. والعمانيون: حكمهم وأمثالهم الشعبية جمعها أي. إس. جي. جايكار، ١٩٨٠م. وصُحار عبر التاريخ لأندرو ويليامسون، ١٩٨٢م، والصناعات الفضية في عُمان لروت هولي، ١٩٨٢م. والاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعُمان عبر التاريخ لتشانج يان، ط٢. ومن البيئة العمانية لتي. جي. ولكونسون وديفد ل. هاريسون، ١٩٨٣م، وصُحار: تاريخ وحضارة لجون ولكونسون، ط٢، ورحلة السندباد لتيم سفرن، ترجمة سامي عزيز،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. وفي أعقاب السندباد لتيم سيفيرين، ١٩٨٢م. ولمحة تاريخية عن المباني الأثرية في مسقط لروت هولي، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط٢، ورحلة إلى عمان لويندل فيليبس، ترجمة محمد أمين عبد الله، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، وتاريخ عمان لويندل فيليبس، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، وغيرها مما اهتمت وزارة التراث القومي والثقافة بإخراجه منقولاً إلى العربية.

[1] فرد هاليداي. المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية.- مرجع سابق.- ص ٦١.

في فكرتها مبدأ من مبادئ الحسبة في الإسلام. وهي ليست وليدة حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"؛ إذ إن هذه الحركة لم تأت بجديد على الدين، أو تدخل فيه ماليس منه.

وليس من الغريب أن يطلق المؤلف على هذه الحركة المذهب الوهابي، أو الحركة الوهابية، فهو لم يكن وحده في هذا الإطلاق، حتى شاعت هذه الكلمة في أوساط بعض الباحثين العرب.[1] كما أن اللفظ قد استخدم للذم في كتابات عربية وأجنبية متعددة.[2]

ويخطئ أيضًا من يعدُّ دعوة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" إيذانًا باندلاع

---

[1] انظر مثلاً: عبد الرحمن بن سليمان الرويشد. (الوهابية: حركة الفكر والدولة الإسلامية).- ١٣٩٨هـ. وللشيخ سليمان بن سحمان كتاب سماه (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية)، وألف عبد الله القصيمي في بداية عهده كتابًا تحت عنوان (الثورة الوهابية)، كما كتب أحمد الفقي كتابًا أطلق عليه عنوان (الوهابيون والحجاز)، ولعبدالله بن صالح العثيمين بحث بعنوان: «الحركة الوهابية ومحاولة توحيد جزيرة العرب»، ومع هذا يظل هذا الاصطلاح موحيًا بالذم لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي رميت بهذا قصدًا إلى الإساءة إليها، وإلصاق التهم بها، ومنها القرصنة في الخليج. انظر: ج. فورستر سادلير. رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م.- مرجع سابق.- ص ٧. وانظر الدفاع عن هذه النقطة من الناشر ص ١٨٧.

[2] لي ديفيد كوبر. كتابات الرحالة الأجانب كمرجع لدراسة الحركة الوهابية في القرن التاسع عشر الميلادى. ترجمة وتعليق عبدالله بن ناصر الوليعي.- الرياض: سهاج للإعلام والنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.- ص خ-د.

شرارة القومية العربية،[1] فالأسس التي قامت عليها الدعوة لا تتفق وحركة القومية العربية التي نادت بها بعض القيادات السياسية والفكرية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، بل إنها عدت من العقبات التي تحول دون قيام قومية عربية تؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع.

وعلى أي حال تحتاج وقفات الرحالة المستشرقين مع حركة الشيخ "محمد ابن عبد الوهاب" إلى دراسة مستقلة تبرز فيها انطباعاتهم عن هذه الحركة التجديدية.

كما أن القصد من هذه الوقفات لا يصل إلى حد استقراء مواقف الرحالة المستشرقين وغير المستشرقين وانطباعاتهم حول المجتمع المسلم، بل اقتصرت النظرة -هنا- على أولئك الذين حلّوا في البلاد العربية بعامة، بوصفهم يمثلون عينة لمن حلّوا في البلاد الإسلامية الأخرى. ولم تتعرض هذه الوقفات إلى الذين حلّوا في البلاد الإسلامية الأخرى؛ لأنى أرى أن ذلك من المتعذر في دراسة واحدة، نظرًا لتشتُّت المعلومات مكانًا ولغات وأوعية معلومات، وإنما ينطلق المرء غالبًا في دراسته مما هو متاح له من معلومات محدودة زمن إعداد الدراسة، بما في ذلك المعلومات المتوافرة عن مستشرقين قد لا يكونون من الرحالة.

وفي المقابل لم يكن جميع الرحالة، الذين جابوا البلاد الإسلامية، لا سيما

---

[1] لي ديفيد كوبر. كتابات الرحالة الأجانب...– المرجع السابق.– ص ٢٣.

البلاد العربية منها، والجزيرة العربية على وجه أخص، من المستشرقين، فقد كان من هؤلاء الرحالة العملاء والجنود والمغامرون. ومنهم من كان يجيد اللغة العربية، إلا أنهم لم يكونوا على قدر من الإحاطة والعلم بالإسلام الذي « يمكنهم من الملاحظة العلمية المتعمقة المتفهمة».[١]

وقد درس جمع آخر من المستشرقين الرحالة، وغيرهم من الرحالة، المجتمعات المسلمة، وخرجوا منها بانطباعات قد لا تكون بالضرورة ممثلة لممارسات حقيقية لما يمليه الدين عليها، فهذا "ريتشارد هرير دكمجيان"[٢] في كتابه (الأصولية في العالم العربي) يصنف المسلم "الأصولي" المعاصر على أساس ما يقوم به بعض الأفراد، أو أحيانًا فرد بعينه من بعض الممارسات الفردية التي لا تصدق بالضرورة على المجتمع المسلم جله، ناهيك عن أن تصدق عليه كله، كالعزلة والاكتمال قبل الأوان، والتعصب، والدونية–والاستعلاء، والحركة–والعدوانية، والفاشية، وعدم التسامح، والارتيابية–والإسقاط، والنظرة التآمرية، والمثالية، والإحساس بالواجب، والقسوة–والجرأة، والطاعة–والالتزام، وفي هذا كله تعميم لا يصدق

---

[١] لي ديفيد كوبر. كتابات الرحالة الأجانب....– المرجع السابق.– ص ٥٧.

[٢] ريتشارد هرير دكمجيان مستشرق أمريكي معاصر من أصل شامي، ومن مواليد حلب، وهو أستاذ في العلوم السياسية بجامعة نيو يورك، ومحاضر في شئون الشرق الأوسط في معهد الخدمات الخارجية بوزارة الخارجية، وله من الكتب (أنماط القيادة السياسية) و(مصر تحت حكم عبد الناصر). انظر: ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي.– ط٣.– ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد.– المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ص ٥.

بالضرورة على كل ملتزم بالدين التزامًا مبنيًا على العلم والفقه فيه، كما يحققه المترجم المعلق.[1] ومن هذا أيضًا تصنيفه الإسلام إلى "إسلامات"، فهناك إسلام رسمي، وأصولي، وصوفي، وتقليدي،[2] وإسلام الخاصة، وربما النخبة، وإسلام جماهيري "شعبي"، وعلماني، واشتراكي، ويساري، ويميني، ووسط ...وهكذا. وهناك الإسلام السياسي،[3] وربما الإسلام الشرقي، والإسلام الإقليمي، والإسلام الغربي... وغير ذلك من التصنيفات للدين الواحد الذي لا يقبل هذا النوع من الوصف والتصنيف، الذي لم يقع فيه جملة من المستشرقين الرحالة وغير الرحالة فحسب، بل وقع فيه بعض

---

(1) ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي.- المرجع السابق.- ص ٥٨-٦٣.

(2) ريتشارد هرير دكمجيان. الأصولية في العالم العربي.- المرجع السابق.- ص ٤٤-٤٧. ويعلق المترجم على هذا التصنيف بقوله: « إن الإسلام واحد لا يتعدد، وإنما الذي يتعدد هو أفهام الناس وما يكونونه من تصورات عن الإسلام، وما يحددونه لأنفسهم فيما يأخذونه منه وما يدعون». ص ٤٧. وانظر مناقشة هذه التصنيفات عند: مازن صلاح المطبقاني. الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة.- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤٠٩هـ.- ص ١٣-٢٤.

(3) ألقى المستشرق الألماني "راينهارد شولتز" أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بون بألمانيا محاضرة بجامعة "برنستون" بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٤٠٨هـ، بعنوان «الإسلام السياسي في القرن العشرين» تحدث فيها عن وجود إسلام سياسي وإسلام آخر يهتم بالسلوك اليومي للمسلم. انظر: مازن صلاح المطبقاني. من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر.- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، (١٤٠٩هـ).- ص ١٩

المفكرين العرب من باب الاندفاع نحو التجديد حتى في اختيار عنوانات الأبحاث والمحاضرات.[1]

وقد كتب الرحالة المستشرق الفرنسي "دي فولني"[2] كتاباً في مجلدين عنوانه (رحلة إلى مصر وسوريا) سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م، لم يعتمد فيه على المصادر والمراجع العلمية إلا في الجزء المتعلق بتاريخ مصر الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام، واستغرقت خمسين [٥٠] صفحة فقط من المجلدين،[3] «أما باقي كتابه فقد سلك فيه منهج المشاهدة الشخصية والمقابلات التي أجراها مع التجار المسيحيين والمسلمين، وكان يستنتج من تلك الحوادث والمشاهدات اليومية أنها ذات علاقة بالسياسة التي هي انعكاس صحيح لحالة الشعب المصري وعلاقته بحكامه المماليك».[4] وقد أظهر في كتابه هذا

---

[1] ألقى الأستاذ أحمد بن يوسف محاضرة في المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم العربي في إنديانا سنة ١٩٨٨م بعنوان «الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر». انظر: مازن صلاح المطبقاني.- من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر.- المرجع السابق.- ص ٤٣-٤٤.

[2] فولني مستشرق ورحالة فرنسي، عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، وله غير الكتاب المذكور كتاب آخر بعنوان (نظرات في الحرب الراهنة للأتراك) كتبه عام ١٧٨٨م. انظر: ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية.- مرجع سابق.- ص ٦٧-٦٩.

[3] ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية.- المرجع السابق.- ص ٦٨.

[4] يعيد فولني سبب الانحطاط في الحياة المصرية عامة إلى الأثر الذي خلفه الحكام المماليك

عداءً جارفًا للإسلام دينًا أو نظامًا سياسيًا، على حدٍّ تعبير "قاسم السامرائي".[1]

وقد اعتمد عليه "نابليون بونابرت" كثيرًا في حملته على مصر وسوريا، ورأى من خلاله أنه أمام ثلاث عقبات؛ إنجلترا، والباب العالي، والمسلمين.[2]

وفي كتاب "خوان غويتسولو"[3] (في الاستشراق الإسباني) ملحق عن رحلات "دومينغو باديا"[4] "علي بك العباسي" إلى أفريقيا وآسيا، وفيها وصف المغرب، ووصف مصر، ووصف الحج إلى مكة المكرمة، ووصف

في الحياة المصرية عامة، ويؤكد على أثرهم في تخلف الأقباط سلالة الفراعنة، بالإضافة إلى انتشار الإسلام نفسه في مصر. انظر: ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية.- المرجع السابق.- ص ٦٨.

[1] قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ.- ص ٥٢.

[2] ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية.- مرجع سابق.- ص ٦٩-٧٠.

[3] خوان غويتسولّو مستشرق إسباني معاصر، لم أعثر له على ترجمة في مظانه، وكان من المنتظر أن يترجم له من ترجم كتابه، لكنه فيما يبدو لم يفعل.

[4] دومينغو باديا رحالة إسباني انطلق إلى الشرق الإسلامي سنة ١٨٠٣م، وتسمى بعلي بك العباسي، واعتقد بعض المتابعين أنه جاسوس إسبانيا لنابليون، وقيل إنه أحد موظفي إمارة البحر الفرنسية، وقد قام بوصف دقيق للأماكن التي مر بها، وقام بنشر سفراته في باريس سنة ١٨١٤م، وفي لندن سنة ١٨١٦م، وغادر دمشق سنة ١٨١٨م ليعود ثانية إلى مكة المكرمة، حيث توفي بعد مغادرته دمشق بالزحار أو بالتسميم. انظر: جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب.- مرجع سابق.- ص ١٨٤-١٨٦.

فلسطين، ووصف تركيا، وكلها تقوم على جملة من الانطباعات، رصدها الرحالة "دومينغو باديا" في وصفه، وركز في وصف الحج على "الأغوات" وأشكالهم، وعدّهم من أهل مكة المكرمة، وخرج بوصف أهل مكة المكرمة من خلال وصفه للأغوات.[1]

وأصدر المستشرق الهولندي "كريستيان سنوك هورخرونيه"[2] كتابًا من جزأين عن مكة المكرمة والحج عندما دخلها باسم "عبد الغفار"، وأقام فيها ستة أشهر، يرصد انطباعاته عن الناس والحجاج وأهل مكة المكرمة.[3] وقد ترجم أستاذان من جامعة أم القرى بمكة المكرمة الجزأين، ونشر النادي الأدبي الثقافي بمكة المكرمة الجزء الثاني، ولا يزال الجزء الأول موضع نقاش في مسألة نشره، لأنه -على ما يظهر- مليء بالانطباعات التي لا تصدُق بالضرورة على أهل مكة المكرمة، وعلى الحجاج، حتى في الفترة التي

---

(1) ساسي سالم الحاج. الظاهرة الاستشراقية.- مرجع سابق.- ص ٦٣-٨١.

(2) كريستيان سنوك هورخرونيه مستشرق هولندي، رسالته العلمية كانت عن "موسم الحج في مكة" انتهى فيها إلى أن الحج في الإسلام من بقايا الوثنية العربية، سافر إلى مكة المكرمة، وأقام فيها ستة أشهر باسم "عبد الغفار"، حتى طرد منها، ثم عمل في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية في إندونيسيا. وتوفي سنة ١٩٣٦م، وكانت ولادته سنة ١٨٥٧م. انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين.- مرجع سابق.- ص ٣٥٣-٣٥٥.

(3) قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.- مرجع سابق.- ص ١١٤-١٣٧.

أقام فيها "هورخرونيه" في مكة المكرمة.[١]

ومن الوقفات التي تذكر له أنه انتقد بمرارة الرحالة الأوربيين الذين «... يقيمون في الشرق أيامًا معدودة ويصدرون أحكامًا سطحية وساذجة تعتمد لا على المشاهدة، وإنما على ما هو موجود في بطون كتب المستشرقين ممن سبقهم. وبهذا تتوالى الأخطاء باستمرار في كتب هؤلاء ».[٢]

و"لقاسم السامرائي" وقفة طويلة مع هذا المستشرق الرحالة الذي جاب البلاد الإسلامية، وركز على الجزيرة العربية وإندونيسيا، على اعتبار أنه كان يخدم الحكومة الهولندية في مسألة استعمارها لإندونيسيا، وشملت هذه الوقفة مناقشة إسلام "هورخرونيه."[٣]

وانظر، إن شئت، إلى صور "غوستاف فلوبير"[٤] عن المجتمع المصري في كتابه (فلوبير في مصر). وقد أورد "إدوارد سعيد" أمثلة مما ذكره "فلوبير"

---

[١] ك. سنوك هورخرونيه. صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري.- ج٢.- نقله إلى العربية وعلق عليه محمد بن محمود السرياني ومعراج ابن نواب مرزا، راجعه محمد إبراهيم أحمد علي.- مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.- ٥٦٤ ص.

[٢] ك. سنوك هورخرونيه. صفحات من تاريخ مكة المكرمة.- المرجع السابق.- ص ٣١.

[٣] قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.- مرجع سابق.- ص ١١٠-١٣٧.

[٤] غوستاف فلوبير لم أعثر له على ترجمة في مظانه.

من انطباعات عن المجتمع المصري، في نطاق ضيق منه، ثم عممه على العرب جميعًا.[1] وهي انطباعات تدور حول مشاهدات جنسية، وأخرى بذيئة تتعلق ببعض الرموز الدينية، أو ما كان يعتقد أنهم من الرموز الدينية، لا يليق ذكرها في هذا البحث؛ إذ إنها من الابتذال "المقرف" بحيث تسمح بالترفع عنها.

والمقصود هنا أن "فلوبير" يخرج من هذه الانطباعات وغيرها بأحكام سريعة تخرج على أنها أحكام عامة، ومنها قوله: « إن البقشيش والعصا ليشكلان الحقيقة العميقة للإنسان العربي، إنك لا تسمع (هنا) شيئًا آخر ولا ترى شيئًا آخر».[2] وقد تأثر "فلوبير" هذا بآرائه وانطباعاته التعميمية بآراء "إدوارد وليم لين".[3]

وقد كتب "إدوارد وليم لين" عن أخلاق المصريين المعاصرين وعاداتهم كتابًا مليئًا بالانطباعات، ومنها هذه الصورة المقززة الآتية: «حين زوّج نقيب

---

(1) إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص ١٢٦-١٢٧.

(2) خوان غويتسولو. في الاستشراق الإسباني.- مرجع سابق.- ص ١٢٠.

(3) إدوارد وليم لين مستشرق إنجليزي، برع في الرياضيات، ورحل إلى مصر، وأقام في القاهرة، وتزيّا بالزي العربي مصليًا بالجوامع متسميًا بمنصور أفندي. وكان قد عزم على دراسة قدماء المصريين، إلا أنه وجد في المعاصرين ما صرفه عن القدماء، فكتب عنهم كتابه المشهور (أخلاق وعادات المصريين المعاصرين)، في مجلدين. توفي سنة ١٨٧٦م. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢:٥٤-٥٥.

الأشراف، السيد عمر، إحدى بناته ... منذ خمسة وأربعين عامًا تقريبًا، مشى أمام الموكب شاب كان قد أحدث ثقبًا في بطنه، وسحب قسمًا كبيرًا من أمعائه، وحمله على صينية فضية، وبعد انتهاء الحفل أعاده إلى موضعه، وبقي في الفراش أيامًا قبل أن يشفى من آثار هذا العمل المقرف».[1]

والذي يظهر أن هذا العمل الوصفي قد نال حظًا من العناية، لا سيما من المفكرين المصريين الذين تتبعوه بالنقد والتمحيص والتدقيق فيما يتعلق بالمعلومات التي أوردها المؤلف عن طباع المجتمع المصري، الذي يعدُّ بحق من أبرز المجتمعات المسلمة، فيما يتعلق بالنهضة العلمية والفكرية الحديثة، والتأثير على المجتمعات العربية والإسلامية الأخرى. فقد تتبع "عدلي طاهر نور" هذا الكتاب بالنقد والتحليل. ونشر متابعاته هذه في مجلة (الرسالة) في ثلاث وخمسين وقفة، على مدى سنتين، من سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م إلى سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م.[2] كما وقف معه "إدوارد سعيد" وقفات تحليلية، ومنها قوله كاستنتاج على تعميم الانطباعات التي خرج بها "لين": «... وهكذا فإن "لين" يجعل ما يبدو وصفًا واقعيًا لما يفعله فرد مسلم غريب الأطوار يظهر وكأنه المركز المكشوف بصراحة لعقيدة المسلمين جميعًا. ولا

---

[1] إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص ١٣٥.

[2] عدلي طاهر نور. «المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين -١-».- الرسالة مج ٩، ع ٤٢٤ (٢٥-٧-١٣٦٠هـ/١٨-٨-١٩٤١م).- ص ١٠٤٢-١٠٤٥، إلى مج ١١، ع ٥٠٦ (٩-٣-١٣٦٢هـ/ -١٥-٣-١٩٤٣م).- ص ٢٥٤-٢٥٦.

يلقي "لين" بالاً للخيانة التي يمارسها لصداقته مع أحمد أو مع الآخرين الذين يزودونه بالمعلومات. وكل ما يعنيه هو أن يبدو تقريره دقيقًا، عامًا، ومتجردًا، وأن يقتنع القارئ الإنجليزي بأن "لين" لم يصب بعدوى الهرطقة أو الردة، ثم، أخيرًا، أن نص "لين" يلغي المضمون الإنساني لموضوعه في سبيل اكتسابه السريان والجدوى العلميين»،[1] ومع هذا فقد أثنى عليه "محمد عبد الغني حسن"، وبان عليه تأثره بما كتبه "لين" عن المجتمع المصري.[2]

ويكتب "بوركهارت"[3] عن الجزيرة العربية مركزًا على الحجاز، لا سيما الحج، ويصف المناسك، كما يصف الحياة الاجتماعية لأهل الحجاز، ومدنها ومنازلها وأهلها ودكاكينها وشوارعها ومقابرها، وصفَ من وقف عليها. وقد فعل ذلك بعد أن تسمى بالحاج "إبراهيم عبد الله". وقد تُرجِم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ولكن المترجمَين اضطرّا إلى التصرف الطفيف في النقل، كما حذفا سطورًا في ستة مواضع، لأنهما رأيا أنها غير صحيحة، أو مبالغ

---

(1) إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص ١٧٧.

(2) محمد عبد الغني حسن. . «إدوارد وليم لين صوّر المجتمع المصري في القرن التاسع عشر».- الهلال مج ٤، ع١ (المحرم-١٣٩٦هـ/يناير-١٩٧٦م).- ص ٣٢-٣٨.

(3) يوهان لودفيج (جون لويس) بوركهارت مستشرق سويسري، درس في ألمانيا، وسافر إلى إنجلترا، وعمل مع الجمعية الأفريقية البريطانية، وقضى بمكة المكرمة ثلاثة أشهر، وخرج من هذا بكتابه رحلات في شبه جزيرة العرب، بالإضافة إلى كتب أخرى في الرحلات في بلاد الشام وبلاد النوبة. وقد عده العقيقي من المستشرقين الإنجليز، لأنه حاز على الجنسية البريطانية. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٢:٥٢.

فيها، أو تسيء إلى بعض المواطنين.[1]

ويحقق مترجما كتاب "بوركهارت" (رحلات في شبه جزيرة العرب) أن الرحالة: «كان شديد النقد لسلوك المسلمين، ويبدي عواطف باردة تجاه المقدسات الإسلامية، فمشاعره نحوها أقرب إلى مشاعر الباحث والآثاري منها إلى مشاعر المؤمن المتعبد».[2] وقد حمل على العثمانيين والعسكر والتجار في مصر والشام والحجاز والمطوفين والمزورين، وهو بذلك يصدر «... أحكاماً عامة على جميع أفراد تلك الفئات تجعل الباحث المنصف يتردد في قبولها إن لم يرفضها».[3]

كما يكتب "كارستن نايبور"[4] عن شبه جزيرة العرب، بعد أن جالها في بعثة مات أصحابه أثناء تجوالهم فيها، وبقي هو يسجل مرئياته، ويصف ما

---

(1) جون لويس بوركهارت. رحلات في شبه جزيرة العرب.- ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي و عبد الرحمن عبد الله الشيخ.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. ص ١٠.

(2) جون لويس بوركهارت. رحلات في شبه جزيرة العرب.- المرجع السابق.- ص ١٠.

(3) جون لويس بوركهارت. رحلات في شبه جزيرة العرب.- المرجع السابق.- ص ١٠.

(4) كارستن نايبور دانمركي من مواليد ألمانيا، ينحدر من عائلة فقيرة تعمل بالفلاحة في فريسلاند، تخرج نايبور مساحاً وأحب الرياضيات والهندسة ، وتعلم شيئًا من العربية، وتوفي سنة ١٨١٥م. ويعد أول رحالة غربي وصل إلى الجزيرة العربية. انظر: روبن بدول. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية.- مرجع سابق.- ص ٣٥-٤٣. وانظر أيضًا: سمير عطا الله. قافلة الحبر.- مرجع سابق.- ص ١٩.

تقع عليه عيناه. ويذكر أن ما يميز كتابه رحلات خلال جزيرة العرب عن أمثاله من كتب الرحلات في عصره «أن الصفة الغالبة في أسلوبه هي روح البحث العلمي المجرد عن التحيز والحكم المسبق، فعقله المتزن، وتفكيره الهادئ الذي لا يعرف التغرض، لم يؤديا به إلى التسرع في إصدار أحكام سطحية حول البلاد وسكانها».[١]

ويصدر المستشرق الفرنسي "إرنست رينان"[٢] أحكامًا انطباعية كثيرة على الشرق وأهله، لا سيما المسلمون منهم، وهو ممن عاش في الشرق، ومن ذلك موقفه من العرق السامي الذي يرجع إليه العنصر العربي، الذي كان منطلق انتشار الإسلام؛ إذ يقول: «إن الإنسان ليرى في كل شيء أن العرق السامي يبدو عرقًا غير مكتمل بسبب بساطته، وهذا، بالقياس إلى العائلة الهندو-أوروبية، مثل تخطيط بقلم رصاص -إذا جرؤت على استخدام هذا القياس- بالنسبة إلى لوحة فنية، فهو يفتقر إلى ذلك التنوع، وذلك الثراء، وتلك الوفرة الفائضة من الحياة التي تشكل شرط الاكتمال. والأمم السامية، مثل أولئك الأفراد الذين لا يمتلكون إلا درجة ضئيلة من الإبداع المخصب،

---

(١) محمد علي حشيشو. «الرحالة الألمان إلى البلاد العربية».- مرجع سابق.- ص ٧٩-٩٢.

(٢) إرنست رينان مستشرق فرنسي، برز في المدارس اللاهوتية، وتضلع من اللغات الشرقية، ونزل لبنان، وعني بالعقائد الإسلامية، ومن آثاره الكثيرة (تاريخ اللغات السامية)، ومقالة «طابع الشعوب السامية»، وتوفي سنة ١٨٩٢م. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١:١٩١.

ولذلك فإنهم بعد طفولتهم المباركة لا ينالون إلا الدرجة الأكثر عادية من الخصب، عرفت ازدهارها وتفتحها الأكمل في عمرها الأول، ولم تستطع بعدها على الإطلاق أن تصل درجة البلوغ الحق».(١)

ومما يمكن أن يعد نتيجة من نتائج هذا الموقف من العرب المسلمين، والساميين بعامة ما صرح به "رينان" نفسه في محاضرة ألقاها في "الكوليج دي فرانس" سنة ١٨٦٢م من أن « الإسلام هو احتقار العلم وإلغاء المجتمع المدني، إنه البساطة المروعة للعقل السامي، التي تحد من الدماغ الإنساني، وتحول بينه وبين كل فكرة مرهفة، وكل إحساس رقيق، وكل بحث عقلاني، ولتجعله في خدمة توتولوجة أزلية: "الله هو الله"».(٢) وبعبارة أخرى لترجمة أخرى: «الإسلام هو النفي الكامل لأوروبا، الإسلام هو التعصب، الإسلام هو احتقار العلم، القضاء على المجتمع المدني، إنه سذاجة الفكر السامي

---

(١) إدوارد سعيد. الاستشراق.– مرجع سابق.– ص ١٦٧.

(٢) نقلاً عن: لوي غارديه ومحمد أركون. الإسلام الأمس والغد.– بيروت: دار التنوير، ١٩٨٢م.– ص ٧٦، ونقلاه عن فانسان مونتاي. مفاتيح الفكر العربي. ونقله عنهما محسن جاسم الموسوي. الاستشراق في الفكر العربي.– مرجع سابق.– ص ٣٢.

وقد وقف مع هذه الآراء مجموعة من المفكرين، ومنهم محمد إبراهيم الفيومي في: الاستشراق: رسالة الاستعمار.– القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.– ص ٢٣٨-٢٤٤. وانظر أيضًا: أحمد حسن عبد الرحيم. «المستشرق الفرنسي إرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة».– في: الاستشراق.– ع ٢(شباط ١٩٨٧م).– ص ٣٩-٤٢.– (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

المرعبة، يضيّق الفكر الإنساني، يغلقه دون كل فكرة دقيقة، دون عاطفة لطيفة، دون كل بحث عقلاني، ليضعه أمام حشو سرمدي: الله هو الله».[1]

ونحن المسلمين لا نؤيد "رينان" فيما ذهب إليه؛ لأن المعيار عندنا يناقض تماما هذه الآراء التي جمعت بين النقص العرقي والنقص الديني في انطباعاته عن العرب، لكونهم يكوِّنون عنصرًا رئيسًا في السامية.

ويستفيد "كارل ماركس"[2] من انطباعات "رينان"، حيث يقرر أن « على إنجلترة أن تحقق في الهند رسالة مزدوجة: الأولى تدميرية، والثانية إحيائية تجديدية- إفناء المجتمعات الآسيوية، وإرساء الأسس المادية للمجتمع الغربي في آسيا».[3] مع أن "ماركس" كان في البداية ضد فكرة الاستعمار البريطاني. ويتساءل "إدوارد سعيد"، هنا، « أين ضاع التعاطف الإنساني، وفي أي عالم من الفكر تلاشى لتحل محله الرؤيا الاستشراقية؟ ويعيدنا الأمر إلى إدراك أن المستشرقين، مثل كثير من مفكري القرن التاسع عشر،

---

(1) من كلمة للحبيب الشطي في: مارسيل بوازار. الإسلام اليوم.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.- ص ٣٥.

(2) كارل ماركس من مواليد ترير بألمانيا سنة ١٨١٨م، ومؤسس الفكر الاشتراكي مع فريدريخ إنجلز، ورئيس الجمعية العالمية للعمال، وتنقل بين المدن الأوربية، وقد أدت أفكاره الاشتراكية إلى قيام الشيوعية المعاصرة. وتوفي سنة ١٨٨٣م. انظر:
Funk and Wagnals New Encyclopedia.- 27 vols.- New york: Funk .and Wagnals, 1975.-16:56-57

(3) إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص ١٧١.

يتصورون الإنسانية إما ضمن معطيات جمعية كبيرة أو في إطار عموميات مجردة. والمستشرقون ليسوا بقادرين على، أو براغبين في، مناقشة الأفراد، وبدلاً من ذلك تطغى في أعمالهم كيانات مصطنعة، ربما كانت جذورها ضاربة في مفاهيم هردر الشعبوية».[1]

وينقل المستشرق "جاك بيرك"[2] عن (باحث محلي) قوله: «لقد قام باحث عراقي بإجراء بحث في منطقة الأهوار المجاورة لشط العرب مازالت هناك عادات تعكس الأوضاع البدائية كتبادل الزوجات الذي حرمه الإسلام كل التحريم أو كالتنازل عن الزوجة فدية "عن جريمة قتل"».[3] وفي هذا النص أمران يستحقان الوقوف والتحليل:

الأمر الأول: هو أن "جاك بيرك" يطبق المعيار هنا على ما يذكره، حينما يؤكد على أن الإسلام يحرم هذا الأسلوب من الممارسات.

الأمر الثاني: أنه لم يكن موفقًا في النقل عن الباحث العراقي، وهو

---

(1) إدوارد سعيد. الاستشراق.- المرجع السابق.- ص ١٧١

(2) جاك بيرك تخرج في باريس، وعمل في المغرب ومصر ولبنان، ثم عمل أستاذًا في التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا فمديرًا لمعهد الدراسات العليا. وله عدة آثار في الأدب والتاريخ والاجتماع. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ١:٣٣٦- ٣٣٨.

(3) معن خليل عمر. «التباين الثقافي بين المستشرقين والمجتمع العربي».- مرجع سابق.- ص ٣٢-٣٣.

"شاكر مصطفى سليم"، الذي لم يذكر هذه المعلومات في الكتاب الذي رجع إليه المستشرق "جاك بيرك"، مع أنه ذكر البيانات المعتادة عن المرجع المذكور وهو كتاب (الجبايش). وهذا خطأ منهجي يعتقد أن المستشرق وقع فيه عمداً، لأن الكاتب العربي تطرق لموضوع تعدد الزوجات في الأهوار طبق ما هو مقرر شرعًا في حدود المعيار، لا ما هو محرّم في الإسلام.[1]

وهذا المستشرق الإنجليزي "سارجنت"[115] يقيم مدة في جنوب الجزيرة العربية، ويخرج بمقالة « مبنية على الظن والافتراض إضافة إلى أن أفكارها غير مقنعة».[115]

وهذه المنصرة "إليانور تيلور" تروي انطباعاتها عن رحلتها التنصيرية في البحرين، وتتردد على البيوت التي تزعم أنها تدخلها دون الحاجة إلى

---

[1] معن خليل عمر. «التباين «الثقافي بين المستشرقين والمجتمع العربي».– المرجع السابق.– ص ٣٣.

[115] ر. ب. سارجنت مستشرق إنجليزي، وتعلم في أدنبره وكمبريدج، وانتدب باحثًا لشئون جنوب الجزيرة العربية بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، ومنقبًا في جنوب الجزيرة العربية، وله في هذا عدة آثار. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.– مرجع سابق.– ٢:١٤١–١٤٢.

[115] عبد اللطيف الطيباوي. المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية.– ترجمة وتقديم قاسم السامرائي.– الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.– ص ١١٣.

استئذان؛ لأن العرب عندها لا يقرون الاستئذان؛ إذ تقول: «... وعند بوابة البيت الخشبية الضخمة لم نقم بقرع الباب على اعتبار أن العرب لا يقرعون الباب عند دخولهم البيت، بل إنهم سيضحكون علينا إذا فعلنا ذلك!».[1] والعرب والمسلمون لا يرحبون بالقادم إذا لم يستأذن بالدخول. وإذا فرض أن أهل ذلك الحي قد تنازلوا عن حقهم في الاستئذان عليهم، وهو أمر مستبعد، فإن العرب بهذا التعميم لم يتعودوا ذلك. والمعيار الذي يستنيرون به يحثهم على الاستئذان والسلام قبل الدخول.[2]

وعلى أي حال لا تقتصر الانطباعات على مجرد كونها كذلك، تعبر عن آراء أصحابها فحسب، بل تتحول هذه الانطباعات الناجمة عن الرحلات، أو عن الاقتباس من كتب الرحلات، إلى أحكام رسمية، «ويعتمد إسهام المرء في إغناء مكتبة الاستشراق وتدعيمها على الطريقة التي تتحول بها التجربة والشهادة من وثيقة شخصية محض إلى نظام الترميزات المقوِّي الذي امتلكه علم الاستشراق، وبكلمات أخرى، ينبغي أن يحدث، في نص ما تقمص وتحول من التقدير الشخصي إلى التقدير الرسمي. وينبغي على السجل

---

(1) خالد البسام. القوافل.– مرجع سابق.– ص ٨٣.

(2) وهذا المعيار مستقًى من قوله تعالى: {ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم}. الآيتان ٢٧–٢٨ من سورة النور.

الذي يقدمه أوروبي ما لإقامته في الشرق وتجربته فيه أن يخلع أوصافه الشخصية والمستلذة المحض، أو يخفف منها إلى الأدنى الممكن، من أجل أن يكتسب أوصافًا يستطيع الاستشراق بصورة عامة، والمستشرقون اللاحقون بصورة خاصة أن يستقوا منها، ويبنوا عليها، مزيدًا من الملاحظات والأوصاف العلمية. وهكذا، فإن أحد الأشياء التي يمكن لنا أن نترصدها هو تحويل أكثر صراحة مما حدث لدى ماركس للمشاعر الشخصية تجاه الشرق إلى تقريرات استشراقية رسمية»، كما يقرر "إدوارد سعيد" في الاستشراق.(١)

وينبني على هذه الآراء الانطباعية القديمة آراء حديثة مؤداها أن الشرق لا يستحق أن ينعم بما ينعم به الآن من ثروات طبيعية وبشرية وعلمية وثقافية، ومن رغبته في أخذ مقعد في مسيرة الحضارة الحديثة، بل ينظر إلى هذا الشرق على أنه لا بد أن يظل "عالة" على الغرب في العلم والثقافة والخبرة وغيرها من مقومات حضارة اليوم، ذلك أن الشرق بعامة، والعرب بخاصة، في تركيبتهم "الفسيولوجية" لا يملكون مقوّمات السير في هذا المضمار، كما يحلو "لإرنست رينان" أن يقرر! « فتطغى هذه الآراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي. فالعرب، مثلاً، يتصورون راكبي جمال، إرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين، شرهين، تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية. وثمة، دائما، افتراض متربص بأن

---

(١) إدوارد سعيد. الاستشراق.- مرجع سابق.- ص ١٧٣.

المستهلك الغربي، رغم كونه ينتمي إلى أقلية عددية، ذو حق شرعي إما في امتلاك معظم الموارد الطبيعية في العالم، أو في استهلاكها (أو في كليهما). لماذا؟ لأنه بخلاف الشرقي إنسان حق، وليس ثمة مثل أفضل اليوم ... من الحالة التالية: إن غربيًا أبيض ينتمي إلى الطبقة الوسطى يؤمن بأنه امتياز طبيعي له لا أن يدير شؤون العالم غير الأبيض وحسب، بل أن يمتلكه كذلك، لمجرد أن العالم الأخير، تحديداً، ليس بالضبط إنسانًا تمامًا بقدر ما "نحن" كذلك. ليس ثمة مثل أصفى من ذلك على الفكر المفرغ من الإنسانية»، كما يقرر "إدوارد سعيد" كذلك.[1]

وقد يقال إن الرحلات وما تمخض عنها من إنتاج علمي قد أسهمت في إزالة سوء الفهم الذي تركه المستشرقون من غير الرحالة الذين اعتمدوا على آثار من سبقهم من المستشرقين، هذه الآثار التي لم تسهم إيجابًا في الموضوعات التي تحدثت عنها، فأزال المستشرقون الرحالة كثيراً من سوء الفهم والتغرض والتعصب، ذلك أنهم عايشوا المجتمعات المسلمة وعرفوها معرفة صحيحة أزالت الخوف والعداء، وأقامت أسسًا جديدة للتفاهم، وقنوات حديثة للحوار.[2] وإني أظن أن هذا حق، إذا ما توافرت النية الصادقة لدى الدارسين للمجتمع المسلم من المسلمين وغير المسلمين، واتخذ الدارسون معيارًا متعارفًا عليه، متفقًا عليه في قياس أي مجتمع مسلم، وإن

---

(١) إدوارد سعيد. الاستشراق.- المرجع السابق.- ص ١٣١.

(٢) محمد على حشيشو. «الرحالون الألمان إلى البلاد العربية».- مرجع سابق.- ص ٩٢.

لم يؤمنوا به عقيدة وأسلوب حياة، كما فعل "جاك بيرك" في مناقشته للخطأ الذي وقع فيه في استشهاداته المرجعية.

الخاتمة: الخلاصة والنتيجة:

الاستشراق ميدان عريض متعدد الوجهات، وذو فئات ومدارس. وهو قديم وحديث، وذو أهداف متعددة، ومنطلقات مختلفة، والتعميم في الأحكام على الاستشراق ليس مطلوباً، ولا مرغوباً فيه. والتخصصية هي التي تبين الغث من السمين. وهناك ما يربو على مئة وعشرين ألف عمل استشراقي قديم وحديث. «ومن ذا الذي يستطيع استقراء الآراء في هذه الأعمال الاستشراقية، كتباً كانت أم بحوثاً ومقالات».[1]

إن أدبيات الاستشراق وفرقه وتنوعه وتعدد اللغات التي كتب فيها والاتجاهات التي سارت على منوالها لا تزال في حاجة أكيدة إلى غربلة وتقويم. «وبعض المحاولات التي قام بها بعض الباحثين سواء أكانوا من المسلمين أم من المستشرقين أنفسهم بقيت إلى هذه الساعة دون الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع ... فواجب علينا إذن أن نقوم بعملية مراجعة طويلة النفس لننصف حضارتنا، وهو ما يتطلب منا نقداً علمياً لمناهج بعض المستشرقين، وتفكيكاً لطرق تحليلهم، وكشف القناع عن ملابسات مواقفهم،

---

[1] انظر في مناقشة فكرة التتبع هذه: نديم البيطار. حدود الهوية القومية.- مرجع سابق.- ص ١٥٧-١٥٨.

وإثبات مواطن الخطأ في كتبهم ومصادرهم ».[1]

ولقد تتبعت ما كتب عن الاستشراق باللغة العربية، رغم ما تعانيه المكتبة العربية من نقص في الضبط الوراقي "الببليوجرافي"، ورغم مضي ثماني سنين على المتابعة. فوقفت على أكثر من ألف وتسع مئة وخمسين عملاً عربيًا يناقش الاستشراق بعمومياته وخصوصياته، بسلبياته وإيجابياته، فتأكد عندي صعوبة الصدور بحكم "عام" على دراسات المستشرقين.

ولذا فضلت الوقوف على جزئية صغيرة من هذه الدراسات تتعلق بالانطباعات والآراء القائمة على المشاهدات، ومن ثم الخروج منها بأحكام عامة دون إخضاع هذه الأحكام إلى معيار موضوعي تقاس عليه الممارسات التي تصدر عن الأفراد أو عن جماعات محدودة في مجتمعات صغيرة. ومع هذا فإن هذا الموضوع على جزئيته يحتاج إلى خدمة أكثر، ودراسة أعمق، ووقفات أطول مما اتسمت به هذه العجالة. ولعلها تفتح المجال لذلك، فإني أزعم أن الموضوع أوسع من أن يحصر في دراسة قصيرة، بل ربما ذهبت إلى القول: إن الأمر يستدعي الوقوف عند حالات فردية من المستشرقين الرحالة لمناقشة أفكارهم وانطباعاتهم التي خرجوا بها من رحلاتهم، ومن ثَمَّ مقابلتها بالمعيار الذي نؤمن به، ونتخذه مقياسًا لوزن المعلومات والأفكار

---

[1] عبد الوهاب أبو حديبة. «الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين».- في: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية.- مجلدان.- الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ٢: ١٤٠.

والانطباعات التي تردنا من المستشرقين وغيرهم.

وسيظل الاستشراق معنا مادام هذا الدين بيننا، وما دمنا شرقيين نصر على أننا متميّزون بديننا. ومتى ما تحققت رغبة "ماركس" في إبادة الشرق وتغريبه، فإن الاستشراق حينها سيتوقف، الأمر الذي لا يبدو أنه سيتحقق بقدر ما يمكن أن يتحقق عكسه، ولكن ليس عن طريق الإبادة، بل عن طريق إحياء هذا الشرق بما يحمله من رسالة هي للناس كافة.[1]

والذي لا بد من التأكيد عليه في هذا المجال المهم عدم الوقوع فيما وقع فيه بعض المستشرقين من بناء نظرية حول موقف ما، ثم النزوع إلى التراث أو الواقع لتثبيتها، ولو بالتعسف وليّ أعناق النصوص. ولذا فإنه ليس من الموضوعية المطلوبة والمنتظرة من كل باحث أن يزعم سلفًا، ولو افتراضًا، أن المستشرقين الرحالة جميعهم قد جنوا على المجتمع العربي والمسلم بمعلومات غير موثقة أو علمية، وإنما المطلوب الوقوف على المعلومات نفسها وتحليلها ونقدها بمقابلتها بمعيار النقد الدقيق، فما وافقه قُبِل وأخذ به، وما لم يوافقه أعيد على أصحابه، وعُدَّ من هناتهم التي تؤخذ عليهم.

ويتبع هذا عدم قبول هذه المعلومات على علاتها دون عرضها على المعيار بحجة أنها جاءت من المستشرقين، وأنهم كانوا حريصين على المجتمع الذي

---

[1] من الآية ١٥٨ في قوله تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا} من سورة الأعراف.

يتحدثون عنه، وأنهم خدموا التراث والواقع خدمة لم يصل إليها أبناء المجتمع نفسه.

والذي ظهر من هذا الاستعراض العاجل لهذا الموضوع أن المستشرقين الرحالة، والرحالة من غير المستشرقين، قد أسهموا في رسم صورة لم تكن دقيقة دائمًا عن الشرق، وسجلوا انطباعاتهم التي كانت مبنية على مجرد مشاهدات شخصية دون الاحتكام إلى معيار تنطلق منه ممارسات أهل الشرق، لا سيما المسلمون منهم. واعتمد غير المستشرقين، ممن لهم اهتمامات بالشرق، على هذه المعلومات المبنية على الانطباعات والمشاهدات في الحكم على المجتمع المسلم، وفي اتخاذ القرارات المصيرية أحيانًا. بل إني أزعم أن هذه المعلومات قد أثرت في مسألة فهم الإسلام وأهله، ومن ثم أثرت في اتخاذ المواقف حياله، بما في ذلك مسألة الإقبال عليه وانتشاره، والإسهام باتهامه بما يتهم به الآن.

وقد لا يتوقف الاعتماد على هذه المعلومات، المبنية على الانطباعات والمشاهدات عن المجتمع المسلم على المستشرقين، ومن يستأنس بإسهاماتهم، في اتخاذ القرارات المصيرية تجاه الشرق، كالقيادات السياسية والاقتصادية والعلمية، بل إن هذه المعلومات قد تسربت إلى الشرق نفسه واستأنس بها كُتّاب ومؤلفون شرقيون مسلمون، وأزعم أنها أثرت على فهمهم هم لدينهم ومجتمعهم، بل ربما تسربت إلى قيادات سياسية مسلمة، فنظرت إلى الإسلام بتأثير من المعلومات التي أشاعها المستشرقون، لا سيما الرحالة منهم. ومن ثم قامت مواقف غير دقيقة، وقد

تكون غير معلنة، تجاه الإسلام ومن يلتزمون به.

ومما يستنتج هنا أن المستشرقين قد خدموا المنطقة العربية والإسلامية بالوصف الدقيق الذي لم يكن المؤلفون العرب المتأخرون يلقون له بالًا كبيرًا. وهذا مما يذكر للمستشرقين، حيث أفاد منهم، كثيراً، علماء وباحثون في الجغرافيا والتاريخ الحديث والاجتماع والأنثروبولوجيا، وربما في علوم أخرى كالسياسة والاقتصاد والآداب، بل إن الفن التشكيلي يستفيد من وقفات المستشرقين الرحالة.[1] وكان من شغفهم بالمغامرة والدخول إلى مواطن لم يكن ليدخلها الآخرون أن تنبهوا إلى تفصيلات دقيقة، ربماعدها الوصافون العرب من الأمور التي لا تستحق الذكر، ولكنها كانت تشكل شيئًا جديدًا لدى المستشرقين الذين قابلوها بغرابة وعجب.

والذي يتتبع انطباعات الرحالة المستشرقين والمنصرين[2] سيجد أوصافًا دقيقة للناس والحياة التي مروا عليها، بما في ذلك طرق الأكل واللباس والمشي والركوب والجلوس، وكل دقيق في حياة الناس. وقد تكون النساء في

---

[1] «أدب الرحلات.» في: الاستشراق ع ٢.(شباط ١٩٨٧م).- ص ٩٨-١٠٠.- (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

[2] هناك افتراض يقول: إن كل منصر مستشرق، وليس كل مستشرق منصرًا، إذ إن المنصر يطالب بالتعرف على البيئة التي يرسل إليها، ومن ذلك تعرفه على الثقافات والخلفيات التي يتصرف المجتمع بموجبها، وغالبًا ما يسجل المنصر انطباعاته عن هذا المجتمع أو غيره بمعزل عن التطويع للمعيار الذي يسير المجتمع بموجبه. انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير في الأدبيات العربية.- مرجع سابق.- ص ٥١-٥٢.

هذا المجال أكثر دقة من الرجال في الوصف وتتبع عادات الناس وتقاليدهم، والخروج بانطباعات اجتماعية عديدة عن المجتمعات التي عشن بها وعايشنها وعاشرن نساءها. وفي هذا تقول المنصرة "ستانلي ميلري": «... ومع تجربة العمل لأشهر قليلة في الكويت وجدت أننا استطعنا كنساء الإرسالية الدخول إلى الكثير من البيوت ومعرفة الكثير عن حياتهم وأحوالهم [هكذا]، وتمكنا من الاختلاط بأناس من نوعيات وأجناس مختلفة أكثر مما استطاع رجال الإرسالية تحقيقه مع رجال الكويت. وفي يوم سفري من الكويت ودعت النساء الكثيرات اللواتي أصبحن صديقاتي وأنا أضحك على انطباعاتي الخاطئة عنهن في أيامي الأولى».[1]

ومثل هذا كثير من الانطباعات المبثوثة، وجمعت في أعمال حديثة، مثل تلك التي تضمنها كتاب (القوافل)،[2] وغيره من الكتب التي عالجت موضوع الرحلات إلى المنطقة العربية والإسلامية التي ورد ذكرها في ثنايا هذه الدراسة.

---

[1] خالد البسام. القوافل- مرجع سابق- ص ١١٣.

[2] خالد البسام. القوافل.- المرجع السابق.- وفيه جمع من الانطباعات عن منطقة الخليج العربية سطّر أصلها باللغة الإنجليزية كل من المنصرين الآتية أسماؤهم: جيمس مويرديك، وشارون توماس، وجيمس كانتين، وصموئيل زويمر، وإليزابيث كانتين، وستانلي ميلري، وتايرا جوسلين، وآرثر بينيت، وإليانور تيلور، وجي. بينينجس، وهول فان، وإدوين كالفيري، وفان بويرسم، وبول هاريس، ولويس ديم، وكورنيلاد ألينبيرج، وقد غطت هذه الانطباعات من سنة ١٩٠١ إلى سنة ١٩٢٦م.

ومن الإنصـــاف أن تذكـــر هذه الجــــهـــود، مما ينتج عنه أن رحـــلات المستشرقين إلى الشرق العربي والإسلامي لا يمكن أن تكون شراً كلها، وأنه يطلب من الباحثين العرب والمسلمين الاهتمام بتحليل المعلومات الواردة في هذا الإنتـاج الاسـتـشـراقي، وعـرضـهـا على المعـيـار الذي يؤمن به هؤلاء الباحثون، فما لم يتعارض معه أخذ منه وبه، وما تعارض مع المعيار يرفض وينبّه إليه. وهذا الأسلوب يعين كثيراً على معرفة الأهداف التي من أجلها خاض المستشرقون الرحالة هذه المغامرات، ليفرّق بين من كان غرضه علمياً، ومن جاء للتجسّس وخدمة أغراض سياسية استعمارية وتنصيرية.

وقد وجدت من خلال إسهامات المؤلفين العرب والمسلمين في مجال الرحلات وقفات علمية تستحق التنويه، فيها تحليل ومناقشات لمواقف ذكرها المستشرقون الرحالة. وقد بان هذا بوضوح من خلال التعليقات الهامشية على كتب الرحالة التي نقلت إلى العربية بخاصة.[1]

ولم يكن القصد من هذه الدراسة استقراء الآراء والإسهامات في مجال الرحلات إلى الشرق، وتحليل معلوماتها وعرضها على المعيار الإسلامي، فإن

---

(1) انظر، مثلاً، إلى تعليقات عبد العزيز الهلابي وعبد الرحمن الشيخ على كتاب بوركهارت رحلات في شبه جزيرة العرب.- مرجع سابق، وتعليقات سعود بن غانم العجمي على كتاب رحلة عبر الجزيرة العربية.- مرجع سابق، ففيها وقفات مفيدة في التعامل مع المعلومات التي أوردها المستشرقون الرحالة.

هذا العمل متعذر على باحث واحد، لما تتسم به هذه المعلومات من التشتُّت في المكان واللغة والأوعية والزمان كذلك، حتى لو اقتصر الأمر على لغة واحدة، هي العربية هنا، فإن الاستقصاء يظل متعذراً في وقفة قصيرة في المدة والمساحة، وذلك نظراً لما تعانيه المكتبة العربية من قصور في خدمة المعلومة وتهيئتها للباحث من حيث الضبط الوراقي [الببليوجرافي]، وتنظيم المعلومة من حيث استخلاصها وتكشيفها ونحو ذلك.

وليس هذا عذراً يضعه الباحث بين يديه لتسويغ التقصير، إذ إن المتوافر من المعلومات في مكتبات البلد الواحد، وباللغة العربية، قد يكون كافيًا للتغطية المطلوبة، إلا أنه لا يغفل بحال هذا العجز الذي تعانيه المكتبة العربية، مما يؤثر بوضوح على مسيرة البحث العلمي العربي، ومما يعد إحدى العقبات التي يواجهها الباحث في طريقه لإعداد البحث، لا سيما في مرحلة جمع المعلومات.

الفصل الرابع

مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف(*)

(*) نشر هذا الفصل كتاباً مستقلاً عن مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.- ٥٥ ص.

تمهيد:

الاستشراق ظاهرة صاحبت الصحوة الفكرية التي عاشتها أوروبا منذ أن شعرت بالتهديد الإسلامي عن طريق الأندلس غرباً وعن طريق تركيا شرقاً بعد ذلك.[1] فكان أن اهتم الغرب بالاستشراق لغايتين كبيرتين هما:

١- الحد من انتشار الإسلام في الغرب، "وحماية" الإنسان الغربي من الإسلام.

٢- التعرف على بلاد المسلمين وثقافتهم ومعتقدهم وآدابهم وأساطيرهم تمهيداً للتأثير على هذه البلاد وأهلها.[2]

وقد مرت على البلاد العربية والإسلامية محن عظيمة مهدت في النهاية إلى احتلالها على أيدي الغربيين من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين وهولنديين، ولم يتمكن الألمان من الاحتلال المباشر، وإن كانوا قدأسهموا في الاحتلال

---

[1] هناك نقاش حول مكانة الاستشراق بين فنون المعرفة، فهناك من يراه ظاهرة فحسب، وهناك من يراه علمًا من العلوم التي تقوم على نظرية، وله مقدماته ونتائجه. وقد سارت هذه الدراسات على أن الاستشراق ظاهرة. ولذا تكرر هذا التوجه في مقدمات الدراسات التي رأيت بقاءها تأكيداً على هذا التوجه. وانظر في مناقشة الظاهرة: هاشم صالح، مترجم ومعد. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه.- بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ص ٥-١٨.

[2] عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي.- الدوحة (قطر): رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ.- ص ٣٨-٣٩.- (سلسلة كتاب الأمة/٢٧).

الفكري في القرن الميلادي المنصرم (التاسع عشر).[1]

وصاحب الاحتلال الفعلي للبلاد الإسلامية تصدير لتراث المسلمين من كتب ومخطوطات حتى شغلت حيزاً كبيراً في المكتبات الغربية والمتاحف، ولا تزال تغص بها رغم هذه النهضة العلمية التي تعيشها معظم بلاد المسلمين. وقد سبق الاحتلال دراسة لأوضاع المسلمين، بل إن الدراسات هذه تعود إلى ما قبل الحروب الصليبية على أيدي رجال ونساء من الغرب كانت دوافعهم غير صافية من حيث المنهجية في دراسة تراث الأمة الإسلامية. وما صاحب الحروب الصليبية لم يكن يتوقع منه الموضوعية في الحكم العام على بلاد المسلمين. ولذا يمكن أن يقال إن الاستشراق قد قام على خلفية فكرية اتكأت على الصراع الحضاري بين الإسلام والنصرانية من جهة وبين الإسلام واليهودية من جهة أخرى.[2] ويصعب التخلص من هذه النشأة للاستشراق. ويؤيد هذه الخلفية أن الاستشراق قد انطلق من الأديرة والكنائس وقام به في البدء رهبان وقسس.[3] حتى الذين حاولوا

---

(1) صلاح الدين المنجِّد. "الاستشراق الألماني: ماضيه ومستقبله".- الهلال مج ٨٢ ع ١١ (١٠/١٣٩٤هـ- ١١/١٩٧٤م).- ص ٢٢-٢٧.

(2) محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- الدوحة(قطر): رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٤هـ.- ص ١٢٣-١٣٠.- (سلسلة كتاب الأمة/٥)

(3) نجيب العقيقي. المستشرقون.- ط٤.- ٣مج.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.- ٣/ ٢٤٢-٣١٦.

التجرد في دراستهم للإسلام ديناً وثقافة وتراثاً للمسلمين لم يسعهم إلا الاعتماد على الدراسات الاستشراقية السابقة التي وقعت في مشكلة هذا الصراع الحضاري، والذين أرادوا دراسة الإسلام ديناً وثقافة وتراثاً فدرسوا اللغة العربية ليأخذوا الإسلام من لغته، وبلغته وقعوا في مشكلة محدودية الفهم للنصوص التي اقتبسوها من كتب التراث، وعجزوا عن فهمها على ما أريد لها من الفهم.(١)

مشكلة البحث :

لم يكن العرب والمسلمون، من علماء ومفكرين ومثقفين، يلقون بالاً في البدء للدراسات الاستشراقية حول الإسلام والمسلمين ، حتى بدأت النهضة العلمية في مصر والشام مع بداية الربع الثاني من هذا القرن الميلادي (العشرين)، أو قبل ذلك مع دخول "نابليون بونابرت"(٢) إلى مصر غازياً سنة ١٧٩٨م، «ذلك أن احتلال نابليون لمصر أدى إلى تحريك عمليات بين الشرق والغرب ماتزال تسيطر على منظوراتنا الثقافية والسياسية المعاصرة. وقد

---

(١) محمود الغول. "الاستشراق اليوم: المستشرقون أقلُّ دراية بأسرار اللغة العربية".- العربي ع٤ (٣/١٩٥٩م).- ص ١١٨-١٢٢.

(٢) نابليون بونابرت الأول (١٧٧٩-١٨٢١م). ضرب الإنجليز باحتلاله مصر. وكان قد أحضر معه مجموعة من المستشرقين الفرنسيين. ودخل الأزهر آنذاك، ثم حاول احتلال الشام، ولكنه أخفق أمام حصون (عكّا). وحياته حافلة بالأحداث العسكرية والثورية. وقد نفي إلى (سنت هيلانة) ومات بالسرطان هناك. انظر: الموسوعة العربية الميسّرة.- بإشراف محمد شفيق غربال.- القاهرة: دار الشعب، (١٩٥٩م).- ص ١٨١٢.

قدمت الحملة النابليونية بمأثرتها البلاغية الجماعية العظيمة (وصف مصر) منظراً أو وضعية للاستشراق، لأن مصر أولاً ثم البلدان الإسلامية الأخرى اعتُبرت المجال الحي والمختبر والمسرح للمعرفة الفعالة بالشرق».[1]

وكان من مشكلات هذه النهضة أنها قامت في مجملها على التأثر بالفكر الغربي مع محاولات من بعض قادة الفكر في هذه المرحلة للتقليل من شأن الانتماء الثقافي والفكري، والدعوة إلى توخي الثقافة والفكر من المصادر الغربية.[2] ولذا كان الترحيب بالدراسات الاستشراقية التي أعطت تفسيراً جديداً للإسلام يختلف عن الفهم الذي توارثته الأجيال وقام على مصادر التشريع الإسلامي المعروفة من كتاب كريم وسنة شريفة وإجماع وقياس وغيرها، وجاء في هذا التفسير "الجديد" أن الدين الإسلامي على ثلاثة أنواع: دين القرآن ودين العلماء ودين الدهماء، كما يشير "ولفرد كانتول سميث"،[3] وجاء أن الأمة يمكن أن تجتمع على مسألة فتكون تشريعاً وإن

---

(1) إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء.– نقله إلى العربية كمال أبو ديب.– ط٢.– بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م.– ص ٧٣.

(2) أنور الجندي. طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام.– القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧م.– ص

(3) ولفرد كانتول سميث (مولود سنة ١٩١٦م)، وهو مستشرق كندي تخرج في جامعة (برنستون) بالولايات المتحدة الأمريكية، ودرّس في كندا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. وكتابه (الإسلام في التاريخ الحديث) من منشورات جامعة (برنستون) سنة ١٩٥٧م. ونشرته بالعربية الدار القومية بالقاهرة. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.– مرجع سابق.– ١٨٢/٣.

خالفت نصاً من الكتاب أو السنة . كما يقول "دنكن بلاك ماكدونالد"،[1] وجاء أن الدين خاضع للبيئة، فما صلح منه في الماضي لا يصلح اليوم، وما يصلح منه اليوم ليس بالضرورة صالحاً في الماضي، كما ينظر "مورو بيرجر".[2]

وهذه المواقف المتباينة أحدثت مشكلة فكرية، وعلمية في آن واحد، حول مدى قبول مجمل هذه الإسهامات، ومدى الثقة العلمية بها. .وهذه المشكلة تمثلت في عدم الاحتكام إلى معيار واضح للقبول أو الرفض يمكن أن تقاس عليه المعلومات التي جاء بها المستشرقون ، وذلك للحكم العلمي على

---

(1) دنكن بلاك ماكدونالد (١٨٦٣-١٩٤٣م) مستشرق أمريكي، أسهم في إنشاء المعاهد والدوريات الاستشراقية بمعاونة "السموأل زويمر" و"سارتون". انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣/١٣٦-١٣٧. وانظر: مادة (إجماع) في: دائرة المعارف الإسلامية.- إعداد نخبة من المستشرقين.- أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس.- ١٥مج.- بيروت: دار المعرفة، د.ت.- ١/٤٣٨-٤٤٠.

(2) مورو بيرجر (معاصر) وأستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة (برنستون)، وقد عمل مستشاراً في مؤسسة براند التجسسية في الولايات المتحدة الأمريكية، ورحل إلى العالم العربي بين عامي ٧٣-١٩٧٤م، وألّف فيها كتابه (البيروقراطية والمجتمع في مصر الحديثة)، ومن أعماله أيضاً كتابه (المساواة بحكم القانون) و(الحريّة والأشراف في المجتمع الحديث)،انظر: البيروقراطيّة والمجتمع في مصر الحديثة.- ترجمة محمد توفيق رمزي.- القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، ١٩٥٩م.- ص ز. كما حاول التنظير للإسلام في كتابه (العالم العربي اليوم)، وقد نقله إلى العربية محيي الدين محمد، ونشرته في بيروت دار مجلة الشعر.

المعلومات من حيث القبول أو الرفض.

ولم تقف مشكلة القبول أو الرفض عند المنطلق الإسلامي في تقبل المعلومات من أن كلاً يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم محمداً- صلى الله عليه وسلم -،[1] بل إن المشكلة تعود إلى أن مدى القبول أو الرفض كان مرهوناً بتلقي معلومات عن الإسلام والمسلمين هي ذات علاقة مباشرة وقوية بالمعتقد والمسار الذي التزمت به دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم - من أشخاص لا ينتمون إلى هذه الدعوة وإلى هذا المسار. فكان لابد أن يقعوا في أخطاء جوهرية تمس المعتقد والمسار، ويعتقد أنها مقصودة تسعى إلى نسف المعتقد تماماً من خلال مجموعة من الوسائل التى لا تخرج عن إطار الإسهامات العلمية من نشر وتحقيق وترجمة ومحاضرات وندوات ومؤتمرات ومقالات وكتب ومجامع وغيرها.

أسئلة البحث :

هذه المواقف المتباينة في النظرة إلى المعلومات التي جاء بها

---

(1) وهذا مقتضى ما يؤثر عن الإمام "مالك بن أنس" -رحمه الله تعالى-، وهو مشهور عنه، ونصُّه: "ليس أحد بعد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إلا يؤخذ من قوله ويُترك إلا النبي - صلّى الله عليه وسلّم-". وتؤثر هذه العبارة عن "ابن عبّاس -رضي الله عنهما- وأخذها عنه "مجاهد" -رحمه الله-، وأخذها عن "مجاهد" "مالك" -رحمه الله-، ثم أخذها عنهم "أحمد بن حنبل" -رحمه الله-. انظر: محمد ناصر الدين الألباني. صفة صلاة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- من التكبير إلى التسليم كأنك تراها.- ط١٣.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.- ص ٢٦-٢٧.

المستشرقون في العلوم الإسلامية والعربية أبرزت مجموعة من الأسئلة، حاولت إسهامات بعض المؤلفين العرب المنثورة بين الكتب والدوريات الإجابة عليها، ومنها :

- ما مدى الثقة بالمعلومات الواردة عن طريق المستشرقين فيما يتعلق بعلوم المسلمين؟

- هل هناك موقف أمثل لقبول هذه المعلومات أو رفضها ؟ وماالمعيار لهذا الموقف ؟

- مع عدم وضوح المعيار لدى البعض ما مبررات رفض المعلومات ؟ وما مبررات قبولها؟

منهج البحـــث :

وفي سبيل الوصول إلى إجابات على هذه الأسئلة كان لابد من استقراء مواقف المتلقين من علماء المسلمين ومفكريهم ومثقفيهم لإسهامات المستشرقين وتأثيرهم على اتجاه المعلومات عن الإسلام والمسلمين ، والتعرف على المعيار الذي قيست به هذه المواقف .

ويصعب الخروج بمعيار متفق عليه تقاس به أي إسهامة أو معلومة واردة من مستشرق أو غير مستشرق ما لم يكن هناك اتفاق مسبق على أن المعيار هو كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وهذان المصدران هما الأصل في تلقي المعلومات عن الإسلام عقيدة وعبادة ومعاملات. ولا يخالف في هذا عالم أو مفكر أو مثقف. ولكن هذا الإطلاق فيه شمولية، وداخل المصدرين نصوص صريحة وواضحة تتعلق بالقبول

والرفض. وهناك آراء تتعلق بالفروع من حيث الممارسات في مجال العبادات والمعاملات تُستقى من هذين المصدرين أصلا، ولكنها تخضع لمدى فهم النصوص أو حضورها عند تكوين الرأي.

والقابلون لإسهامات المستشرقين لا يزعمون أنهم يخرجون عن المعيار، والرافضون يصرون على أنهم استقوا الرفض من مصادر التشريع ،ولم يأت رفضهم عن هوىً أو ذاتية، بل يجدون الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء الموثوقين على عدم قبول هذه المعلومات لما تحدثه في الثقافة الإسلامية من "شروخ" تخرج بها عن إمكانية التطبيق والممارسة ، وتهز الثقة بمدى مصداقيتها، وتدعو إلى البحث عن بديل عنها .

وكان من منهج البحث الوقوف على أقوال بعض المستشرقين أنفسهم حول إسهامات بعضهم قصداً إلى تأكيد أنهم أنفسهم لم يكونوا - جميعاً - على مستوىً واحد في قبول إسهامات زملائهم في مجال الدراسات الإسلامية ، فلم يكن الموقف من هذه الإسهامات موقوفاً على علماء المسلمين ومفكري العربية.

مواقف المستشرقين :

وهذه أدلة متناثرة على مواقف المستشرقين من إسهامات أترابهم، فيها ردود عليهم وطعن لهم بأنهم أساؤوا الفهم، فأساؤوا مع سوء الفهم العرض والمنهج والاستدلال. وفي هذا الصدد يؤكد "توملين" على عجز المستشرقين عن فهم الثقافة الشرقية ، وذلك لأنهم لم يتمثلوها ولم يعيشوها فتعذر عليهم التعبير عنها بموضوعية وتجرد . يقول :«اعترف رجال شديدو الذكاء بعد أن كرسوا الكثير من وقتهم للأبحاث الشرقية أنهم لو كان عليهم أن يصلوا إلى

فهم تام للفلسفة (الأفكار) الشرقية لاستلزم الأمر أن يعتزلوا أوروبا كلها، ولبدأوا الحياة من جديد كشرقيين...».[1] ونحن هنا نتفق مع عموم العبارة، ولكننا ندرك أن المقصود هو تمثل الثقافة الإسلامية هنا، وليس المقصود الجهات الجغرافية بحال؛ إلا أن المدلول لها هو المراد هنا. ويذكر "إشتيفان فيلد "[2] أنه «توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخّروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة».[3] ولم يحدد " إشتيفان فيلد " رسالة المستشرقين.

كما يذكر المستشرق الألماني "أولريش هارمان"[4] أن «الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقل براءة وصفاء نية، فقد كان "كارل

---

[1] أ.ر.ف. توملين. فلاسفة الشرق.- ترجمة عبد الحليم سليم.- القاهرة: دار المعارف، .- ص ١٦٨.- نقلاً عن: محمد عبد الله مليباري. المستشرقون والدراسات الإسلامية.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.- ص ١٨.

[2] إشتيفان فيلد، أو إصطفان، (معاصر)، مستشرق ألماني ورئيس معهد الدراسات العربية بجامعة (بون) بألمانيا. ويعرف بمواقفه المعتدلة. انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- ط٢.- القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.- ص ٧.

[3] انظر: محمود حمدي زقزوق. الإسلام في الفكر الغربي.- الكويت: دار القلم، ١٩٨١م.- ص ٦٠.

[4] أولريش هارمان (مولود سنة ١٩٤٢م) وتعلم في الولايات المتحدة، جامعة برنستون ثم في فريبورج. ركز على تاريخ مصر الإسلامية.وحاضر في الولايات المتحدة ومصر وكندا وألمانيا. انظر نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٤٨٢/٢ - ٤٨٣ .

هينرش بيكر"[1] –وهو من كبار مستشرقينا – منغمساً في النشاطات السياسية، حتى أصبح في عام ١٩١٤م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين».[2]

ويقول المستشرق البريطاني " مونتغمري وات "[3]: « جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوربا عن الإسلام. وعلى الرغم من الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسطة في أوروبا لا تزال قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر بعد على اجتنابها».[4] وقريب من هذا ما صرح به المستشرق نفسه في محاضرة أخرى حيث يذكر « أن الأوربيين في عصر النهضة كان لا يزال لديهم إحساس بالنقص بالنسبة للمسلمين؛ ولذلك عمد مفكروهم إلى تشويه حقائق

---

[1] كارل هنريش بيكر (١٨٦٧ – ١٩٣٣م) ولد في أمستردام ، عين أستاذاً للغات الشرقية في هامبورج، وبون. ركز على العلاقات النصرانية مع المسلمين. له آثار عديدة. انظرنجيب العقيقي. المستشرقون.– مرجع سابق.– ٤١٨/٢ – ٤١٩.

[2] انظر: رودي بارت . الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية. – ترجمة مصطفي ماهر. – القاهرة : دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م–.

[3] مونتغمري وات. مستشرق بريطاني معاصر. له عدة كتابات عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – منها (محمد في مكة) و(محمد في المدينة) و(محمد الرسول القائد). وقد قام شعبان بركات بتعريبها وصدرت عن المكتبة العصرية .

[4] انظر: إبراهيم اللبان . المستشرقون والإسلام. – القاهرة: الأزهر، ١٣٩٠هـ –١٩٧٠م. – ص ٣٦ – ٣٧.(ملحق مجلّة الأزهر).

الإسلام، فعرضوا الإسلام وتاريخ المسلمين في صورة منفرة. ولكننا معشر الغربيين في القرن العشرين لم تعد تسيطر علينا عقدة النقص كما كان الحال في عصر النهضة ، وذلك بعد أن انتقل زمام السيادة إلى أوروبا وأصبحت لها السيطرة والغلبة، ولذا أصبحنا الآن لا نجد حرجاً في ذكر الحقائق دون تحريف، وبالتالي ظهر الإنصاف والموضوعية فيما نكتب عن الإسلام والمسلمين »،[1] وضرب مثلاً لذلك بكتابيه (محمد في مكة) و(محمد في المدينة).[2]

والمتتبِّع لهذين الكتابين وكتابه الثالث (محمد الرسول ورجل الدولة)[3] لا يجد الإنصاف الذي يذكره "مونتغمري وات"، فقد اتكأ فيها على معلومات سابقيه، وفسر بعض الأحداث التي مرت بالرسول – عليه الصلاة والسلام – تفسيراً مادياً، اعتمد فيه على الإسقاط مثلاً.[4] وقد مر في مجال آخر

---

(١) انظر: محمد عبد الفتاح عليان. أضواءعلى الاستشراق .– الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .– ص ١١ .

(٢) W. Montgomery Watt. Muhammad at Mecca.- Oxford: Oxford University Press, 1953. & Mohammad at Madina.- Oxford: Oxford University Press, 1956.

(٣) W. Montgomery Watt. Muhammad: Prophet and Statesman.- Oxford: Oxford University Press, 1961.- 250 pp

(٤) عبد العظيم محمود الديب. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي . – مرجع سابق.– ص ٩٩ – ١٠٣ .

تمثيل لبعض الهنات التي وقع بها "مونتغمري وات" نفسه.

ويقول"برنارد لويس"[١]: «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية».[٢]

كما يذكر "نورمان دانيل"[٣] أنه «على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب النصارى من الإسلام فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجرداً تاماً كما كانوا يتوهمون».[٤]

وينتقد "مكسيم رودنسون"[٥] بعض المستشرقين بقوله: «ولم ير

---

[١] برنارد لويس (م ١٩١٦م) تخرج في جامعتي لندن وباريس، ودرس في جامعتي لندن وكاليفورنيا، ويدرِّس الآن في جامعة برنستون بنيوجرسي بالولايات المتحدة الأمركية، لا يخفي تعصبه للصهيونية، وله مجموعة آثار حول الحشاشين والفرق عموماً. انظر: مازن بن صلاح المطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.- ص ٦٩-٧١.

[٢] إبراهيم اللبان . المستشرقون والإسلام . مرجع سابق - ص ٦.

[٣] نورمان دانيال مستشرق (معاصر) مؤرخ، سكن القاهرة، ومن آثاره (العرب وأوروبا في القرون الوسطى) و (الإسلام والغرب).

[٤] انظر: محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق. - القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - ص ٤٥ - ٤٦ . وانظر أيضاً قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.- الرياض : دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . - ص ٦٩ .

[٥] مكسيم رودنسون ولد في باريس سنة ١٩١٥م، وعمل في بيروت ودمشق أعمالاً علمية وتراثية، عضو في جمعيات علمية ودينية عديدة، له آثار عديدة ومتنوعة الموضوعات، انظر:

المستشرقون في الشرق إلاما كانوا يريدون رؤيته ، فاهتموا كثيراً بالأشياء الصغيرة والغريبة. ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوروبا. ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه»،[١] ومثل هذا القول ما ذكره المستشرق نفسه «مكسيم رودنسون» في موضع آخر حيث يقول: «وحين كان الغربيون يذهبون إلى الشرق كانت تلك الصورة التي يبحثون عنها، فينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كوّنوها سابقاً».[٢]

وقريب من هذا ما يذكر عن «بريستيد»[٣] قوله عن المستشرقين إنهم «يريدون قتل حضارة الشرق عمداً لأنهم يريدون إخفاء الحقيقة».[٤]ومثله قول مستشرق آخر هو(السير)«إدوارد دينسون روس»[٥] :«إن المعرفة بالمحمدية

نجيب العقيقي. المستشرقون .- مرجع سابق.- ١/٣٥٩ - ٣٦١ .

[١] انظر: محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. - مرجع سابق.- ص ١١٦ .

[٢] انظر: تراث الإسلام تأليف يوسف (جوزف) شاخت وبوزورث. ترجمة محمد زهير السمهوري. - الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٧٨م. - ١/٨٠.

[٣] بريستيد، لم أعثر على ترجمة له في مظانه.

[٤] بريستيد. انتصار الحضارة. - ترجمة أحمد فخري.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.- ٣٠٨ ص.

[٥] (السير) إدوارد دينسون روس (١٨٧١ - ١٩٤٠م) مستشرق إنجليزي تخرج على "تيودور نولدكة" وعُين أستاذاً للفارسية في جامعة لندن ومديراً لجامعة كلكتا بالهند. واهتم

التي تملكها أوروبا منذ قرون قائمة على أساس التقارير المشبوهة والمغلوطة كلياً التي أعدها المسيحيون.[1] وهذا هو الأمر الذي أدى إلى نشر الأكاذيب والافتراءات المتنوعة حول المحمدية . فكل خير وجدوه في المحمدية أخفوه تماماً، وكل شيء لم يكن محموداً في عين أوروبا كبّروه وبالغوا في بيانه، أو شوّهوا صورته في التعبير عنه».[2]

ولا يقتصر الأمر في تحديد موقف المستشرقين على أقوال ضمن إسهامات حول علوم المسلمين، بل ربما وجدنا الكتب أو المقالات التي خصصت لتحديد الموقف والتشنيع على مواقف بعض المستشرقين من الإسلام. وهذه المواقف هي التي أسهمت إسهاماً فاعلاً في تحديد الموقف الغربي بعامة من الإسلام، إذ استقى الغرب معلوماته عن الإسلام من المستشرقين. فهذا «ريتشارد دبليو سذرن»[3] يخرج بكتاب كامل حول (النظرات الغربية

بفهرسة المخطوطات، له آثار أخرى. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.– مرجع سابق.– ٢ : ٩٦.

[1] من أجل تحديد المصطلحات والفرق بين المسيحية والنصرانية، انظر: محمد عثمان صالح. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات. – المدينة المنورة :مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

[2] من مقدمة لترجمة معاني القرآن الكريم لجورج سيل (طبعة نيويورك ١٩٥٦م) نقلاً عن: محمد عبد الفتاح عليان. أضواء على الاستشراق. – مرجع سابق.– ص ٦٢ .

[3] ريتشارد دبليو سذرن (معاصر)، أستاذ التاريخ في جامعة "أكسفورد".

للإسلام في القرون الوسطى)،[1] يؤكد فيه على أن سوء الفهم الذي عاشه الغرب إنما قام على سوء الفهم الذي نقله المستشرقون عن الإسلام للغرب. وقال : «إن أكثر الأشياء جلاءً لنا الآن هو عجز أي من أنظمة الفكر هذه عن تقديم إيضاح مقنع إقناعاً تاماً للظاهرة التي انطلقت هذه الأنظمة لإيضاحها، وعجزها إلى حد أبعد أن تؤثر في مجرى الأحداث العلمية بشكل حاسم. وعلى مستوى علمي لم تكن الأحداث في النهاية كما تكهن بها أكثر المراقبين ذكاءً : لا بالقدر نفسه من الخير، ولا بالقدر نفسه من السوء.

وقد يكون جديراً بالملاحظة أن الأحداث لم تأت بصورة أفضل مما أتت عليه حين توقع خير الحكام بثقة أن تنتهي نهاية سعيدة. هل حدث أي تقدم في معرفة المسيحيين للإسلام ؟ لابد لي أن أعبر عن اقتناعي بأنه كان ثمة تقدم، حتى إذا كان حل المشكلة قد ظل غائباً عن الأبصار بعناد، فقد أصبح التعبير عن المشكلة وتقريرها أكثر تعقيداً أو أكثر عقلانية، وأكثر اتصالاً بالتجربة».[2] ويقول : «لقد أخفق الباحثون الذين أجهدوا أنفسهم في دراسة مشكلة الإسلام في العصور الوسطى في إيجاد الحل الذي بحثوا عنه وتمنوه، بيد أنهم طوّروا عادات للعقل وقوىً للإدراك قد تستحق في رجال

---

[1] ظهرت ترجمة الكتاب بتعريب علي فهمي خشيم وصلاح الدين حسن عن دار مكتبة الفكر بطرابلس الغرب سنة ١٩٧٠م. وترجمه أيضاً رضوان السيد تحت عنوان (صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى).- بيروت: معهد الإنماء العربي،١٩٨٤م.

[2] نقلاً عن: إدوارد سعيد الاستشراق .- مرجع سابق.- ص ٩١.

آخرين وفي حقول دراسة أخرى النجاح».[1]

وتكثر في الآونة الأخيرة المؤلفات حول نظرة الغرب للإسلام والمسلمين، وهي تنوح باللائمة على «الشرخ» الذي أحدثه المستشرقون حول هذه النظرة. وقد أصدرت اليونسكو كتاباً حول الإسلام اليوم "لمارسيل بوازار"،[2] ومما قال فيه: «أسباب عدم تفهم الغرب للإسلام عديدة ومعقدة. إنها تستند أساساً على دوافع دينية، تاريخية نفسية، ثقافية وتثقيفية، ومجدداً الآن، على اعتبارات سياسية واجتماعية - اقتصادية.

على الصعيد الديني أولاً، نظرة المسيحية لم تتغير، أولم تتغير إلا قليلاً منذ ١٥ قرناً. إنها مطابقة للموقف المألوف لكل دين منزل، مظهرة لشيء من التسامح العقائدي إزاء الأديان السابقة (أنبياء اليهودية في هذه الحالة)، لكنها قابلت بالرفض المطلق ديناً لاحقاً: الإسلام. ظهور الإسلام اللاحق تاريخياً شوّه حقيقة النهائية في نظر النصارى. بدا الإسلام منذ البيزنطيين كانحراف للنصرانية. فقد ألصقت بالنبي محمد أوصاف وقحة، وفي النهاية عبثية. فقد صور في صورة راهب مرتد أو في صورة مشابهة. فقد كان النصارى آنذاك يظنون أن بوسعهم تشويه الإسلام بتشويه رسوله محمد،

---

(١) إدوارد سعيد. الاستشراق.- المرجع السابق.-ص ٩١.

(٢) مارسيل بوازار مفكر وقانوني فرنسي معاصر، مكلف بالبرامج الخاصة بمعهد الأمم المتحدة للتأهيل والبحث، ويشغل منصب الأمين العام للجمعية الثقافية الدولية (الإسلام والغرب)، وله من المؤلفات (إنسانية الإسلام) و(الإسلام اليوم).

بمقارنة ساذجة مع المسيحية. وهكذا فالإسلام غدا يدعى بالمحمدية».[1]

ويقول : «قام بعض الاختصاصيين بدراسات علمية وشكّلوا تدريجياً ما تواضع الناس على تسميته بالاستشراق . كان الباحث في القرن السادس عشر تبشيرياً. فقد كان لابد من معرفة الإسلام معرفة جيدة لمحاربته محاربة جيدة على مستوى العقيدة ».[2] ويقول أيضاً تحت عنوان «الخطاب الاستشراقي» :«كتابات المستشرقين، عدا بعض الاستثناءات النادرة، لم تساهم كثيراً في تحسين تفهم الإسلام أو إعادة دقة الصورة التي كانت لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح. أولاً لأن أشغالهم كانت غالباً تقدم إلى الجمهور بلغة متخصصة جدا، صعبة المنال بالنسبة لجمهور غير عارف بالموضوع، وخصوصاً من جهة أخرى؛ لأن الاستشراق كان في الأصل أحد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية في فرنسا وفي بريطانيا العظمى وفي البلاد الواطئة. فقد كان المطلوب اجمالاً فهم العقلية الإسلامية فهماً جيداً لتسهيل الإدارة للشعوب الإسلامية».[3] ويشير إلى أن الاستشراق قد «نجح في رسم صورة للشرق مشوّهة كلياً مظهرة ما هو مضاد لرموز الغرب : العقلاني، المعتدل والتقدمي. إن ثقة - بل غطرسة - المستشرقين بأنفسهم بلغت درجة من شأنها أن تحدث اغتراباً ثقافياً

---

(1) مارسيل بوازار. الإسلام اليوم .- بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م. - ص ١٦ - ١٧.

(2) مارسيل بوازار. الإسلام اليوم.- المرجع السابق. - ص ١٨.

(3) مارسيل بوازار. الإسلام اليوم.- المرجع السابق. - ص ١٩ - ٢٠.

(Acculturation) لدى بعض المثقفين، بحيث إن العربي يتصور نفسه كما يصفه الأخصائيون الغربيون».[1] ويقول أيضاً :«وفي نهاية المطاف يبدو أن للاستشراق، بمراكمته المعارف المتبحرة التي لا تنتشر نشراً واسعاً خارج حلقات العارفين والتي تواصل التفوق على دراسة الظاهرات الاجتماعية الشاملة التي تولد من التأكيد المشروع لهوية أصيلة، تأثيراً على الرأى العام الغربي أقل من تأثير هذا الرأي عليه فهو يقوده أحياناً ويفرض عليه آراءه غالباً».[2] وأظن هذا خاصاً برسم الصورة، وإلا فالرأي العام الغربي يفرض أحياناً على المستشرق مساره العام ويترك له رسم الصورة حول هذا المسار.

ويُذكر في هذا الصدد كتب ودراسات مثل كتاب (الإسلام في مرآة الغرب)،[3] وكتاب (مراجعة عالمية لكتب التاريخ المدرسية وإعداد مادة تربوية ملائمة للاسهام في تحقيق تفهم أفضل بين الإسلام والغرب)،[4] ورسالة (صورة الإسلام في القرون الوسطى عبر الكتب المدرسية من ١٩٤٥م –

---

(١) مارسيل بوازار. الإسلام اليوم.-المرجع السابق. – ص ٢١.

(٢) مارسيل بوازار. الإسلام اليوم.- المرجع السابق . – ص ٢٢.

(٣) ج. ج . وارد بنورج. الإسلام في مرآة الغرب. – باريس: موتون، ١٩٦٣م. – (بالفرنسية) .

(٤) مارسيل بوازار. مراجعة عالمية لكتب التاريخ المدرسية وإعداد مادة تربوية ملائمة للإسهام في تحقيق تفهم أفضل بين الإسلام والغرب.- جنيف: الإسلام والغرب، ١٩٨٠م . – ٢٨ ص

١٩٧١م)،[١] وغيرها.

وكانت هذه الأمثلة إشارات سريعة إلى موقف المستشرقين، وليس القصد إبراز مواقف المستشرقين من الإسلام، فهذا مجال آخر، إما أن يكون دافعه الرد على ما قيل عن الإسلام كما فعل «عباس محمود العقاد»[٢] و«أحمد فؤاد الأهواني»،[٣] أو أن يكون دافعه إبراز بعض اللفتات الحسنة التي ظهر بها المستشرقون في موقفهم من الإسلام كما فعل «عماد الدين خليل»[٤] عندما أورد اقتباسات لمائة وثلاثين مستشرقاً أو من هم في حكم المستشرقين كلها نظرت -في رأي المؤلِّف- نظرة حسنة إلى الإسلام وإلى المسلمين.

وليس المجال إيضاً مجال إيراد الأقوال الإطرائية عن المستشرقين من المستشرقين، فالأصل أن يكون هذا الإطراء والمديح والثناء بينهم على طريقة المثل الغربي: «حك ظهري وأحك ظهرك»! وليس لي أن أخرج من هذه

---

[١] جنيفياف فيشي. صورة الإسلام في القرون الوسطى عبر الكتب المدرسية من ١٩٨٠م إلى ١٩٧١م.- رسالة ماجستير من جامعة تولون ١٩٨٠م.- ١٨٠ ص.

[٢] عباس محمود العقاد. ما يقال عن الإسلام. - القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م. - ص ٢٢٥.- (سلسلة كتاب الهلال / ١٨٩).

[٣] أحمد فؤاد الأهواني. «ما يقال عن الإسلام».- سلسلة مقالات ظهرت في مجلة الأزهر، المجلدات من ٣٤ - ٣٨ (١٣٨٥هـ - ١٣٨٨هـ /١٩٦٥م - ١٩٦٨م).

[٤] عماد الدين خليل. قالوا عن الإسلام. - الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. - ٥٠٤ ص.

الفقرة دون أن أشير إلى العمل الذي قام به المستشرق الألماني المعاصر «رودولف إكهارد» حول موقف المسلمين من الاستشراق، في رسالة أعدها لإكمال متطلبات درجة الدكتوراه بإشراف الأستاذ «إشتيفان فيلد». ولم أقف على هذه الرسالة، ولكنني علمت بها من الطبعة الثانية من كتاب «محمود حمدي زقزوق» (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري).[1]

مواقف العلماء المسلمين ومفكرى العربية :

وتكاد مواقف علماء المسلمين ومفكري العربية من المعلومات التي ظهر بها المستشرقون قديماً وحديثاً تنحصر في ثلاثة مواقف : القبول المطلق والموقف الرافض وموقف المواجهة. وكل موقف من المواقف الثلاثة له مبرراته وأدلته وبراهينه.[2] وليس بالضرورة أن هذه المواقف تنطلق من منطلق واحد في التعامل مع المعلومات الناتجة عن أولئك الذين لا ينتمون إلى الإسلام.

أولاً: القبول المطلق:

وهذا التوجه نحو قبول إسهامات المستشرقين يعد أول المواقف الثلاثة بروزاً، إذ إن بداية النهضة في مصر وسوريا قد اتكأت على مجموعة من

---

[1] محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- ط٢.- مرجع سابق.- ص ٧.

[2] علي بن إبراهيم النملة. «المستشرقون : مواقف ومواقف». - مجلة الحرس الوطني مج٧ ع ٤٤ (١٠/٦/١٤٠٦هـ - ٦/١٩٨٦م).- ص ٤٤ - ٤٥.

المفكرين والأدباء الذين تلقوا علومهم عن الغرب إما بالابتعاث أو بالمتابعة،[1] ويتسم هذا الموقف بالتأثر المباشر والقوي بالمعلومات الواردة عن المستشرقين حول التفسيرات الجديدة للإسلام من حيث كونه فكرة دينية عامة ، أو من حيث النظر إلى أحداث فرعية في حياة المسلمين بدءاً بحياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم الصحابة وقادة المسلمين وعلمائهم،[2] حتى أصبح الاستشهاد بإنتاج المستشرقين في قضية إسلامية مدعاة أو مقياساً لمدى اطلاع المؤلف وسعة أفقه وكسبه من الآخرين. وكان من أسباب هذا القبول المطلق هو الانبهار بإسهامات المستشرقين الذين يتحدثون عن دين لا يدينون به، ويظهر عليهم الحديث الإيجابي عنه، ولكنه بتفسير جديد، ويقدمون للإسلام والعروبة أجل الخدمات.[3]

وأظن أن هذا الموقف كان -مع الانبهار- ناتجاً أيضاً عن تزعزع الثقة بالإسلام والمسلمين الأوائل في الوقت الذي لا يستطيع فيه المتأثر الانسلاخ الكامل عن الإسلام في بلد المسلمين، فكان البحث عن تفسير جديد للإسلام

---

(1) محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.- القاهرة : دار الهلال ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.- ص ٢٠٨ - ٢٢١.- (سلسلة كتابات الهلال/٤٤٢).

(2) انظر مثلاً: جوستاف بفانمولر. سيرة الرسول في تصورات الغربيين.- ترجمة محمود حمدي زقزوق.- المحرق (البحرين): مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.- ٥٥ ص.

(3) عبد الوارث كبير. «المستشرقون ليسوا كلهم أعداء للعروبة والإسلام فمنهم من أدى للعروبة والإسلام أجل الخدمات» العربي ع ١٠٢ (٥/١٩٦٧م).- ص ١٤٤ - ١٤٥.

يرضى عنه الغرب ويكون مقبولاً عندهم،[1] ولذا يلاحظ عند انتقاد أي سلوك داخل في المنطلقات الإسلامية أن المنتقد قد يقول :« وماذا يقول عنا الغرب؟!»، وكأن الغرب هو الذي سيتولى حسابنا [يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم].[2] هذا في وقت ظهرت فيه هذه الأصوات والمسلمون على وجه العموم قد ابتعدوا عن الممارسات الفعلية الصحيحة لتعاليم الإسلام في شتى المجالات، وحلت بعض الممارسات البعيدة عن الروح الإسلامية الحقة ، وفي الوقت نفسه تظهر آراء عقدية تتعلق بالقومية العربية في مجالات الانتماء والأنظمة الاقتصادية الغريبة عن المجتمع المسلم.[3]

ووجهة نظر هؤلاء المنبهرين الذين قبلوا إسهامات المستشرقين قبولاً غير مشروط أنه في الوقت الذي نتقبل فيه التقنية الغربية في مجال الاتصال والمواصلات وغيرهما ينبغي أن نتقبل أيضاً ما يقوله الغرب عنا وعن ما يريده لنا. «وهو على أي حال أكثر معرفة منا بأنفسنا، إنه يملك التسهيلات والمنهج فلماذا لا يملك حصيلتهما، أو قل إنه يملك القوة والسلطة التي يمارسها بشكل أو بآخر في هذا الوجه أو ذاك من الحياة العربية المعاصرة

---

(1) عبد الوارث كبير. «المستشرقون لم يفتروا، ولكن هذا ما قاله المفسرون».– العربي ع ٦٨ (١٩٦٤/٧م). – ص ١٤٦ .

(2) الآية رقم ٨٩ من سورة الشعراء .

(3) محمد محمد حسين. الإسلام والحضارة الغربية.– ط ٥.– بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.– ص ١٥.

فلماذا لا يملك المعرفة؟ وهو يملكها حقاً.

وأكثر من هذا فإننا بذلك نوفر على أنفسنا المال والوقت. إن إنتاج كتاب عربي بحاجة إلى عدة سنوات من التفرغ نتيحها للباحث العربي، وإلى تسهيلات كثيرة، وإلى أموال طائلة ننفقها عليه، وترجمة كتاب لا تقتضي أياً من هذا. صحيح أننا قد نقع على آراء لا تسرنا ولكن هذا متوقع، فنحن أمة متخلفة ومن الصعب أن نجد في أوضاعنا الراهنة كبير راحة واطمئنان ورضى لأنفسنا بله نفوس الخارجيين من المستشرقين. فلنتحلل إذا من المشاعر القومية الشوفينية وعن العاطفة والذاتية، فما ينتجه الغرب إنتاج على قدر كبير من الموضوعية ، والحكمة ضالة المؤمن، . وإضافة إلى ذلك أليس تراثنا نفسه ينصحنا بأن نطلب العلم ولو في الصين؟،[1] والحقيقة في نهاية الأمر لا ترضي، ومن يحب الحقيقة على أي حال؟».[2]

ويقول "نجيب العقيقي": « ولو وازنا بين عناية المستشرقين بتراثنا

---

[1] ينسب هذا الأثر إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقال "ابن حبان": لا أصل له، وقال "البيهقي": متنه مشهور وإسناده ضعيف. انظر الغماز على اللماز لنور الدين أبي الحسن السمهودي. – تحقيق محمد عبد القادر عطا. – بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.– ص ٤٣. وقد ضعّفه "ناصر الدين الألباني" في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة.– ٥ مج.– ط ٥.– بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٦م.– ٤١٣/١، (الحديث رقم ٤٦١) .

[2] عبد النبي أصطيف. «نحن والاستشراق: ملاحظات حول مواجهة إيجابية». – المستقبل العربي مج ٦ ع ٥٦ (١٠/١٩٨٣م).– ص ٢٠ – ٣٩، والنص من ص ٣٢.

واكتشافه وتحقيقه وما قمنا نحن به في سبيله لرأيناها تكاد تكون متساوية، ولو وازنا كذلك بين ترجمة أحد المستشرقين وآثاره وبين ترجمة أحد أعلامنا وآثاره لوجدناه يضاهيه خلقاً علمياً وعدد كتب. وأن لا غنى لنا عن معظمها في علومنا وآدابنا وفنوننا ، ولا سبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون المستشرقين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء، ثم على نهضتنا الحديثة التي كانوا من دعائمها، ولو سعينا إلى تحقيق تراثنا وترجمته والتصنيف فيه ونشره بشتى اللغات، منذ ألف عام، وفي كل مكان لاحتجنا إلى استئجار مواهب مئات العلماء ومناهجهم ومعارفهم ودقتهم وجلدهم طوال حياتهم، وفي ذلك من العسر علينا ما فيه ومن النفقات عليه - وقد سعّرتُ الكلمة المترجمة بما فيها حروف الجر والعطف والنفي بستة قروش ومراجعتها بقرشين - ما يستنفذ طائل الثروات.

أما ونحن لم نفعل، وعرفنا الجزاء الذي لقيه ويلقاه المستشرقون في بلدانهم فكيف جزيناهم عليه؟».[1]

ويبدو أن في هذه النظرة استسلاماً لواقع مؤلم وخروج منه باستعارة إسهامات الآخرين الذين يطلق عليهم "عبد النبي أصطيف" (الخارجيين) في مقابل أهل المعتقد والدين وهم (الداخليون) - في خدمة تراثنا في الوقت الذي نجد فيه على المستوى العربي فقط - وناهيك عن المستوى الإسلامي مجموعة كبيرة من أصحاب « المواهب البحثية » أغلقت أمامهم الأبواب

---

[1] نجيب العقيقي. المستشرقون.- مرجع سابق.- ٣ : ٦٠٥ - ٦٠٦.

بسبب عدم توفير الوقت لهم بالتفريغ أو توفير المادة العلمية من الكتاب والدورية ، وأوعية المعلومات الأخرى ومنها المخطوطة، وبعضهم -أي أصحاب «المواهب البحثية»- أقحموا بقوة ؛ ولكنها مؤدبة، في أعمال إدارية قاتلة فصار همهم متابعة "المعاملات" ومحاولة إقناع مسؤوليهم الذين أقحموهم بقوة مؤدبة بما يريدونه هم من تطوير إداري للمراكز التي يعملون بها. وربما كان السبب في الإقحام هو ظهور بوادر من الإخلاص والتفاني في الأداء أو بعض السمات الأخرى المطلوبة أصلاً من كل شخص وصل إلى حدود العلمية (الأكاديمية) أو دخل داخل هذه الحدود. هذا مع التسارع - في الوقت نفسه - في الاهتمام بالشكل والمظهر في البناء والأثاث ونحوه مما هو مطلوب، ولكن ليس على حساب المادة والنوعية وتوفير مصادر المعلومات والمكتبات ومراكز البحث.

ومع هذا فإن هذا الخطأ الحضاري الثقافي لا يبرر - بحال - الاستعانة بالآخرين لخدمة ثراثِ الأمة كما يستعان بالآخرين في «دفع» عجلة التنمية المادية من مقومات. هذا إذا ما وجد في الأمة من يخدمها ويخدم تراثها، وهم موجودون.

ولا علاقة لهذا الرأي بالموقف الثاني الآتي، لأنه هنا لا يتحدث عن رفض المسهمين من (الخارجيين) أكثر من تركيزه على عدم استعارة الباحثين والاتكال عليهم في خدمة التراث والثقافة.

ثانياً: الموقف الرافض:

ووقف مجموعة من المفكرين المسلمين موقف الرفض المطلق؛ فلم يقبلوا أي إسهام في الثقافة الإسلامية من أناس لا يدينون بالإسلام. لم يقبلوه على

أنه حجة وعلى أنه يقدم جديداً في المفهوم ، حتى ما جاء من باب الإطراء والمديح التي تلفظ بها بعض المستشرقين أو بعض الشخصيات الغربية والتي جمع منها "عماد الدين خليل"مجموعة من الأقوال، فكان هذا الفريق يقف منها موقف المتحفظ ويحاول أن يقرأ ما بين السطور.

وينظر هذا الفريق إلى الاستشراق على أنه علم أوروبي، وهو صورة لما توصلت إليه أوروبا في معرفة الشرق، وهو يعكس موقفاً أوروبياً وعقلية أوروبية. ومنطلق هذا الفريق هو قول أحد المفكرين : " لم نضيع الوقت والمال والجهد والطاقة في سبيل ما لا جدوى منه ولا عائد؟ وماذا يفيدنا أن نتتبع أخبار الاستشراق أو أن نترجم كتبه ، ونناقش ما فيها، وننقدها، ونفند ما نراه غير صحيح مما تضمه ممن آراء، ونغضب فيما لا طائل منـــه؟ هل كان الاستشراق غير نتاج خارجي كتبه خارجيون لا يكاد معظمهم يحسن اللغة التي نتكلم بها؟، فكيف بهم عندما يناقشون ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا وتاريخنا وثقافتنا وآدابنا واقتصادنا وسياستنا؟. إنهم بالتأكيد لن يصلوا إلى حقيقة ذات قيمة تتصل بها، وبالتالي فلا ضرر علينا إن أغضينا طرفنا عما يعملون».[1]

ومن أقوى مبررات الرفض أن الاستشراق بدراستة لعلوم المسلمين

---

[1] عبد النبي أصطيف. «مقدمات في الاستعراب الجديد (١): نحن والاستشراق: ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (١)».- مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) مج ٥٧ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م).- ص ٦٤٨ - ٦٦٥.

واسهامه في الدراسات لم ينطلق من قاعدة علمية مجردة وموضوعية، بل إن هناك دوافع وأهدافاً غير علمية ساقت المستشرقين إلى هذا المجال خدمة لأغراض استعمارية وتنصيرية ودينية عامة وتجارية اقتصادية وسياسية، وعليه فان الثقة منزوعة من إسهامات هؤلاء. يقول "صلاح الدين المنجد" في ضرب من المستشرقين إنهم «أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للدين فوجهوا الحقائق وفسروها بما يوافق أغراضهم أو ما يسعون إليه. ولعل هذا الضرب هو الذي دفع الشرقيين من المسلمين العرب أن يرتابوا من المستشرقين جميعاً، لأن من المؤسف أن يسخّر هؤلاء العلم الذي يسمو به الإنسان لإذلال الإنسان أو استعباده أو الطعن على تراثه وعقيدته بغير الحق».(1) ولا يعني هذا تصنيف قائل هذه العبارة مع مجموعة من الرافضين لإسهامات المستشرقين، فله إسهامات متعددة فيها ميل واضح لإطراء المستشرقين وجهودهم في نشر التراث وتحقيقه.(2)

وفي رسالة «محمود شاكر» في الطريق إلى ثقافتنا محاولة لنسف أعمال

---

(1) صلاح الدين المنجد. المنتقى من دراسات المستشرقين :دراسات مختلفة في الثقافة العربي.- ج ١.- ط ٢.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.- ص ج - ع .

(2) انظر مثلاً :المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية: دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجد.- ج ١.- ط ٢.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.- وانظر أيضاً: «جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي».- المنهل مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ - ١٠ /١٤٠٩هـ - ٤ - ٥ /١٩٨٩م).- ص ٢١٠ - ٢١٧. وانظر له أيضاً: «الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله».- الهلال.- مرجع سابق.- ص ٢٢-٢٧.

المستشرقين جميعها، وأنها موجهة للأوروبيين لحمايتهم ولا توصف بالعلمية، ويبدأ في هذه المحاولة مع الفقرة [١٦] إلى الفقرة رقم [٢٣]. واسمع إليه يشخص المستشرق بأنه «فتىً أعجمي ناشيء في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها (ألماني، أو إنجليزي، أو فرنسي)، حتى استوى في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين، فهو قادر، أو مفترض أنه قادر، تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهل أو مفترض أنه مؤهل، أن ينزل في ثقافة ميدان "المنهج" و "ما قبل المنهج" بقدم ثابتة. نعم، هذا ممكن أن يكون كذلك؛ ولكن هذا الفتى يتحول فجأة عن سلوك هذا الطريق ليبدأ في تعلُّم لغة أخرى، (هي العربية هنا)، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيراً، ولثقافته التي ارتضع لبانه يافعاً، يدخل قسم «اللغات الشرقية» في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدىء تعلم ألف، باء، تاء أو أبجد هوّز، في العربية، ويتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرج لنا «مستشرقاً» يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي، والدين العربي! عجب وفوق العجب!».[١]

وفي دراسة نقدية للمستشرقين الناطقين بالإنجليزية نجد "عبداللطيف

---

[١] محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا.- مرجع سابق.- ص ٩٩ - ١٠٠ .

الطيباوي" يخرج لنا بنتيجتين فيهما دعوة ضمنية لتحديد موقف رافض من دراسات المستشرقين، وهما أن المستشرقين المحترفين - باستثناء قلة شريفة منهم - «مازالوا يصرون على تشويه الإسلام وتزييف حقائقه، بيد أن التسامح الذي أظهره بعض كهنة النصارى يدعو إلى التفاؤل على الرغم من أن موقفهم المتسامح لم يكن -بصورة مباشرة - من وحي هؤلاء المستعربين أو من خبراء الإسلام».[1]

والنتيجة الثانية هي أن «هناك دلائلَ تثير القلق تشير إلى تزايد العداء والكراهية ضد العرب، ويتبع هذا بالتالي عداء ضد الإسلام، وهذا العداء في جذوره من صنع المستشرقين، إلا أن المستشرقين وأدعياء الاستشراق الجدد قد زادوه الآن حدة وشمولاً، وهم بذلك قد أعادوا فعلاً أحقاد وعصبيات القرون الوسطى النصرانية ضد «الرسالة» من جديد».

ويستنتج "مالك بن نبي" في تحليله القصير جداً لإنتاج المستشرقين أن الإنتاج الاستشراقي «كان شراً على المجتمع الإسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والإطراء، التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والإقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحدين، بينما كان من واجبنا أن

---

[1] عبد اللطيف الطيباوي. المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية.- ترجمة وتقديم قاسم السامرائي.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.- ص ١٥٩ - ١٦٠.

نقف منه عن بصيرة طبعاً ولكن دون هوادة، ولا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ دون أن نسلم لغيرنا حق الإصداع بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب».[1]

وسوء الظن – على ما يبدو – واضح في هذه النقول، ويقوم سوء الظن هذا على مواقف الغربيين أنفسهم من الثقافة الإسلامية ومن المسلمين؛ فما يتوقع منهم أن يقفوا من الإسلام وأهله موقف الناصح الصادق في نصحه الساعي إلى تطوير المفهوم إلى الأفضل.[2] ولذا ينبغي إغفال هذه الفئة من المستشرقين وعدم إعطائها الاهتمام، وعدم الانشغال بها في وقت نحن فيه بحاجة إلى التركيز على قضايا تعصف بالأمة من كل جانب في مجالات شتى، وفي المجالين الفكري والثقافي بخاصة، وإعطاء الاهتمام لهؤلاء يشعرهم بأهميتهم ويفتح لهم المجال للخوض فيما لا يعنيهم أكثر مما خاضوا، عندما يدركون أن لإنتاجهم تأثيراً على علماء المسلمين ومفكريهم ومثقفيهم ،وتركهم فيه صد لهم وتثبيط لجهودهم.[3]

أما الذين نظروا إلى إسهامات المستشرقين من منطلق الرفض، ولكن

---

[1] مالك بن نبي . إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث . – بيروت : دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .– ص ٢٥.

[2] شاكر محمود عبد المنعم. "نموذج من تهافت الاستدلال في دراسات المستشرقين".– المؤرخ العربي مج ٣٠ (١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م).– ص ٢٩١ – ٣٠٢ .

[3] شكري النجار. "لِمَ الاهتمام بالاستشراق؟!".– الفكر العربي مج ٥ ع ٣١ (٣/١٩٨٣م).– ص ٦٠ – ٦٩.

بدون هذه النظرة اليائسة فقالوا: إن ما أسهم به المستشرقون إنما هو ضرر كله ولا خير فيه.[1] وإن الاستشراق إنما هو جناح من أجنحة المكر الثلاثة يستوي في هذا مع الاستعمار والتنصير، بل إنه هو المغذي للاستعمار والتنصير على حد سواء، ويعد مركز المعلومات لهذين التيارين وهو الممهد لهما لدخول الشرق على شيء من العلم والبصيرة،[2] وما جاء به المستشرقون لا يعدو كونه سموماً زرعوها في العلوم الإسلامية وفي الفكر والثقافة.[3]

وهناك - ولا شك - علاقة وطيدة بين الاستشراق والاستعمار من جهة، وبين الاستشراق والتنصير من جهة أخرى،[4] وقد حاولت مناقشة هذه العلاقة في مواضع أخرى فيرجع إليها لمن أراد الاستزادة،[5] وقد خدم

---

(1) حسين الهراوي. "ضررهم أكثر من نفعهم".- الهلال مج ٤٢ ع ٢ (١٢/١٩٣٣م -٨/ ١٣٥٢هـ).- ص ٣٢٤.

(2) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير والاستشراق والاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه.- ط ٤.- دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.- ٦٩٨ ص.

(3) أنور الجندي. سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية.- ط ٢.- بيروت: دار الجيل، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.- ٢١٣ ص.

(4) علي بن إبراهيم النملة. "العلاقة بين الاستشراق والاستعمار".- التوباد مج ١ ع٤ (١٠/ ١٤٠٨هـ - ٦/١٩٨٨م).- ص ٣٨ - ٤٢.

(5) علي بن إبراهيم النملة. "الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية".- مجلة جامعة الإمام

الاستشراق اليهودية وأعان على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة، وبخاصة أن هناك مستشرقين يهوداً أخفوا هويتهم اليهودية في الغالب، وأقحموا أنفسهم ضمن مفهوم الاستشراق، ولكنهم بانوا من خلال اهتماماتهم باليهود بالجزيرة العربية وبالسامية وبالسبأية وغيرها من أنماط الثقافة اليهودية في المجتمع المسلم.(١)

وقد يقال تبعاً لهذا ولكن بعد إثبات وبراهين وأدلة، أن هناك علاقة بين الاستشراق والصهيونية لمجرد قيام علاقة بين الاستشراق واليهودية، وأن هناك علاقة بين الاستشراق والماسونية كذلك.(٢) ولا يستغرب هذا الادعاء من الفريق الرافض رفضاً مطلقا. ولكنه متى ما اعتمد على الأدلة والبراهين والتمس الموضوعية والتجرد، فإنه –ولا شك– سيضيف جديداً فيه رد على أصحاب الموقف الأول القابل لإسهامات المستشرقين بدون قيد أو شرط، كما أنه سيقوي من حدة الرفض وتجديد الدعو ة إلى الاهتمام الذاتي بالقضايا التي تعصف بالأمة، العلمي والفكري منها بخاصة.(٣)

محمد بن سعود الإسلامية. ع ٣ (٧ / ١٤١٠هـ – ٢ / ١٩٩٠م). ص ٢٣٧ – ٢٧٢.

(١) علي بن إبراهيم النملة. "الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية.– الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م . ٣٣٦ ص.

(٢) أحمد سمايلوفتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. – القاهرة: (مطابع دار المعارف)، ١٩٨٠م.– ص ١٣٩ – ١٥٢.

(٣) انظر مناقشة هذه العلاقة أيضاً في: رضوان السيِّد. "اليهودية والصهيونية في الاستشراق".– في: ندوة الدين والتدافع الحضاري.– مالطا: رسالة الجهاد، ١٩٨٩م.– ص

ويصبح الاستشراق إحدى هذه القضايا التي تعصف بالأمة علمياً وفكرياً مثلها في هذا التنصير والمذاهب الفكرية الأخرى المستوردة. ويكفي أن أشير هنا إلى قضية "سلمان رشدي" عندما أصدر كتابه (آيات شيطانية)، وما واجهه من ردرد فعل تفاوتت في الحدة ولكنها في معظمها، وبخاصة في المجتمع العربي والمسلم، كانت ضد الكاتب والكتاب.(١)

ويبدو أن "سلمان رشدي" قد اتكأ في روايته هذه على المعلومات التي أوردها المستشرقون عن الإسلام والمسلمين، حتى في عنوان الرواية نجده استعاره من المستشرق "وليام مونتجومري وات" في كتابه (محمد في مكة)، وأظنه قد قرأ كتابات هذا المستشرق المعاصر حول الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – وغيره من المستشرقين واستقى منهم ومنها معلوماته.(٢)

٣٥٩-٣٨٣.

(١) انظر مثلاً: فهمي الشناوي. من وراء سلمان رشدي؟ : أسرار المؤامرة على الإسلام.- القاهرة: المختار الإسلامي، د . ت.- ٦٣ ص، ومحمد يحي. الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير. - القاهرة: المختار الإسلامي، د . ت.-١٠١ ص، ورفعت سيد أحمد. آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب. - القاهرة: الدار الشرقية، ١٤٠٩هـ.- ١٩٦ ص، وأحمد ديدات. شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدي الغرب.- نقله إلى العربية وقدم له علي الجوهري.- القاهرة: دار الفضيلة، (١٩٩٠م).- ١١٢ ص. ونبيل السمان. همزات شيطانية وسلمان رشدي . - القاهرة: دار الإسراء، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ١١٦ ص.

(٢) W. Montgomery Watt. Muhammad at Mecca.- Karchi: Oxford UniversityPress,1979.-P.100-109

والملحوظ أن الفريق الرافض لإسهامات المستشرقين لم يستطع إلا الحديث عن هذه الإسهامات والدفاع عن الإسلام في عقيدته وحضارته وثقافته وفكره، وهم بهذا قد ولجوا محيط الردود في الوقت الذي دعوا فيه إلى نبذ هذه الظاهرة. وأظن أن هذا الإجراء علمي ومتوقع، لأنه لا بد عند الدعوة إلى رفض شيء أن تبين مسوغات الرفض وأن يعرف ما هو المرفرض ليرفض وإلا لما قبلت الدعوة على أي حال.[1] وكثيراً ما وقف جزء من أصحاب هذا التوجه مدافعين عن كل صغيرة وكبيرة خاض المستشرقون فيها، ربما كان منطلق سوء الظن هو الذي أعان على مجموعة من التراكمات التي يظن أنها داخلة جميعها في تعمُّد الخطأ.

ولا بد من تقدير هذا الموقف وليس بالضرورة الاتفاق معه، ولابد من احترامه؛ لانه إنما يصدر عن الخوف على الإسلام بالسعي إلى حمايته من عبث العابثين – وهم هنا المستشرقون – وتحصين أبناء الإسلام بالتنبيه على خطورة قبول هذه الظاهرة ، وقبول ما جاءت به مهما بدا في بعض ما جاءت به شيء من المواقف الحسنة مع الإسلام.

وقد عربه شعبان بركات . وصدر عن المكتبة العصرية بصيدا بدون تاريخ .

(1) ينقل محمود حمدي زقزوق عن أبي حامد الغزالي قوله في (المنقذ من الضلال): «إنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم من أهل ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غرره وغائله، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً». انظر الإسلام والمستشرقون. – القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.– ص ٢٧. وانظر نص الإمام الغزالي هذا في المنقذ من الضلال.– لحجة الإسلام الغزالي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي.–

والإسلام منذ أن ظهر بمكة المكرمة وهو يتعرض لهجوم قوي من قبل أعدائه، ولم يضره الهجوم شيئاً فقد أراد الله له القوة والانتشار والحفظ. [إنَا نحن نزَّلنا الذِّكرَ وإنّاَ لهُ لحافظون].[1] وقد تصدى للإسلام ولنبيه – عليه الصلاة والسلام – صناديد قريش، ووقفوا من القرآن وقفات معروفة في مصادر السيرة النبوية، ومع هذا لم يمنعهم التجرد من أن يقولوا في القرآن الكريم وفي الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – أقوالاً لا تزال تُردد إلى اليوم، ولكنهم كانوا مصرين على عداوته لأغراض لم تكن من الموضوعية في شيء.[2]

واستمر الحال إلى اليوم ، يعادي الإسلام والمسلمين أقوام يسعون إلى إطفاء نور الإسلام [ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون].[3] وعليه فلا بد من طريقة للتصدي لهذه الفئات التي لا تريد أن تقوم للإسلام قائمة.

أما الوقفة السلبية الرافضة القائمة على رفض واقع موجود فموقف لا يخدم القضية، ولا يفرض نفسه أو احترامه على الآخرين، وفي الوقت نفسه يترك المجال مفتوحاً لمزيد من التمكين للواقع الاستشراقي المفروض دون أن يقف في وجهه ويسد الثغرات التي يدخل منها.

بقلم عبد الحليم محمود.– القاهرة: دار الكتب الحديثة، د . ت.– ص ١٠٣.

(١) الآية (٩) من سورة الحجر.

(٢) أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.– ط ٢.– لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.– ص ١١ – ٢٢.

وأزعم أن أصحاب هذا الفريق لم يطبقوا نظرية الإمام "الغزالي" في الوقوف على منتهى ما جاء به المستشرقون حتى يساوي ما وقف عليه أعلم المستشرقين، ثم يزيدون عليهم ويجاوزون درجتهم، فيطلعون على ما لم يطلع عليه المستشرقون، ليمكن أن يكون ما يدعونه فساداً لا خير فيه، بل إني أزعم أن فئة غير قليلة من أصحاب هذا الفريق لم يدرسوا الاستشراق -من حيث كونه ظاهرة- دراسة مستفيضة ومتعمقة، وإنما اكتفوا بالعموميات والنقل من الآخرين عندما شعروا أن هذه الظاهرة تهدد الإسلام والمسلمين، ومثل هذا الموقف لا يكفي - فيما يبدو لي - بل إن آثاره السيئة تفوق الآثار الحسنة المرادة منه.

وأظن أن آثار هذا الموقف لم تصل إلى المستشرقين إلا بالقدر الذي يجعلهم يصرون على المضي في طريقهم وهم ينظرون إلى أصحاب هذا الموقف نظرة الإشفاق عندما لم يوفقوا في فهم ما جاء به المستشرقون ولم يكلفوا أنفسهم عناء الغوص في التحليل واقتصروا - ربما - على تبيان الجوانب السيئة في جهود المستشرقين فعمدوا إلى التعميم في الأحكام واتخاذ الحالات الفردية وسيلة إلى إطلاق أحكام عامة على الجميع. وهذا ما لا تقتضيه الموضوعية والتجرد؛ فوقوع الآخرين في الأخطاء لا يبرر وقوع المسلمين في المنهج نفسه.

وعلى أي حال فقد وصل الحال إلى تحريم التعاون مع المستشرقين

---

[٣] الآية (٣٢) من سورة التوبة.

تحريماً شرعياً مدللاً عليه من الكتاب والسنة؛[1] إذ إن التعاون معهم قد يدخل في موالاتهم وعدم البراءة منهم، وهم كفرة تحرم موالاتهم، والتعاون معهم يتيح لهم المجال أكثر للنيل من الإسلام والمسلمين، حينما يستغلون بعض الضعفاء ممن تهتز عندهم الثقة بالإسلام وتعاليمه فيكونون امتداداً لتلامذة المستشرقين الذين يغلب عليهم طابع الانبهار وقبول ما جاء به المستشرقون قبولاً غير مشروط. يقول "أحمد عبد الحميد غراب": «أما التعاون معهم (أي المستشرقين) في تلك المؤسسات الاستشراقية فقد حرمه الله تعالى على المسلمين تحريماً قاطعاً، لأنه نوع واضح من موالاة اليهود والنصارى،[1] والموالاة هي التناصر المعنوي أو المادي. ولا شك أن التعاون مع المستشرقين ينطوي على كثير من صور التناصح المعنوي والمادي».[1] ثم يعدد المؤلف ثلاث صور ينطوي عليها التعاون مع المستشرقين؛ فهو ينطوي على الاشتراك معهم في نشاطاتهم والانتماء إلى مؤسساتهم والخضوع لقوانينها وقراراتها والمشاركة في خططها وأهدافها الخفية والمعلنة، وينطوي على تشجيع معنوي ومادي لهم، وينطوي على الإقرار لهم بالأهلية لتدريس

---

[1] أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.- فصل في التعاون مع المستشرقين.- ص ١٧٢ - ١٨٠.

[1] ويعلق في الهامش بقوله: «هذا الولاء المحرم على المسلمين يختلف عن التسامح الواجب عليهم في معاملة أهل الكتاب بالحسنى، وبالقسط والبر، وإعطائهم حقوقهم المنصوص عليها في القرآن والسنة ... » ص ١٧٥.

[1] أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.- مرجع سابق . - ص ١٧٥ .

الإسلام، وإضفاء الشرعية، بل الحجية على تلقي الإسلام منهم وأخذه عنهم، ثم يورد من الآيات والأحاديث ما يعضّد به رأيه في تحريم التعاون معهم ومناصرتهم وموالاتهم.[1]

ثالثاً: موقف المواجهة :

والموقف الثالث هو ذلك الموقف القائم على الدراسة والبحث والغوص في إسهامات المستشرقين والتعرف على مواطن الضعف في هذه الإسهامات مع معرفة تامة بمواطن القوة في الإسلام، والانطلاق بأن كل ما جاء به الإسلام، فهو حق لا تزعزعه الأهواء ولا الآراء الشاذة التي لم يخل منها المجتمع المسلم سواء جاءت هذه الآراء من أبناء المسلمين أو جاءت من أولئك (الخارجيين). وهذا هو موقف المواجهة الإيجابية كما يسميه أحد الباحثين.[1] وهذا يعني، فيما يعني، أن هناك مواجهة، والمواجهة تعني أن هناك اختلافاً في أمر من الأمور التي تحتاج إلى مواجهة، مما يدل على أن هذا الفريق لا يقر المستشرقين إقراراً تاماً، فيقبل ما يجيئون به قبولاً غير مشروط كأصحاب الموقف الأول، ولا هو يرفض جميع ما جاء به المستشرقون رفضاً تاماً دون عناء النظر في هذه الإسهامات مثل معظم أصحاب الموقف الثاني.

---

[1] أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق.- مرجع سابق.- ص ١٧٥-١٧٦.

[1] عبد النبي أصطيف. "نحن والاستشراق : ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (٢)".- مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) مج ٥٩ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م). ص ١١٦ - ١٣٥.

والمواجهة الإيجابية تعترف بوجود ظاهرة الاستشراق كما تعترف بتأثيرها على المتلقين من المسلمين على المستويات العقدية والفكرية والثقافية. وتحسب لهذه الظاهرة الاستشراقية حسابا؛ لكنها في حسابها هذا لا تقتصر على مجرد إملاء وجهة النظر بأن أصحاب هذه الظاهرة (المستشرقين) جميعاً هم من النوع الذي يريد للإسلام والمسلمين كيداً، ولكنها تقر بأن فيهم النزيهين المتجردين الذين حصلت منهم أخطاء كما تحصل من أي بشر، وعندما ينبهون إلى هذه الأخطاء يرجعون عنها.[1] وهؤلاء النزيهون هم من الفئة التي لم تحاول الخروج بنظريات حول الإسلام ورسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم- إدعاءً منها بأنها ستأتي بما لم تأت به الأوائل في مجالات المعتقد وأصول الإسلام .

ويسعى أصحاب المواجهة الإيجابية إلى الاعتراف بفضل بعض المستشرقين على تراث المسلمين وبخاصة المخطوطات من حيث حفظهاوصيانتها وتكشيفها ورصدها في قوائم تعين على الوصول إليها أينما كانت،[1] هذا بالإضافة إلى فضل بعض المستشرقين في تحقيق بعض المخطوطات ونشرها، وبخاصة منها تلك التي تثري المكتبة العربية الإسلامية، لا تلك التي تزيد الهوة بين المسلم ودينه، وتسهم في نزع ثقته

---

[1] زكي مبارك. «نفعهم أكثر من ضررهم».- الهلال مج ٤٢ ع ٢ (١٢/١٩٣٣م - : ٨/١٩٥٢م).- ص ٣٢٥ - ٣٢٨.

[1] صلاح الدين المنجد."جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي". - المنهل مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩-١٠/١٤٠٩هـ-٤-٥/١٩٨٩م).- ص٢١٠-٢١٧.

بهذا الدين، وتعين على إقراره بما يسعى بعض المستشرقين إلى تثبيته حول الإسلام والمسلمين.[1]

وفي هذا الصدد يؤكد أحد المسهمين في الدراسة حول دراسات المستشرقين على أنه «من الخير للدارسين العرب والمسلمين أن يقفوا على هذا النمط من العلم (علم المستشرقين) ليكونوا على بينة من آثارهم فيطلعوا على نظر جديد، ولن يفيد العلم أن تكون هذه الفوائد بين أيدي الدارسين. فأما أن يحكم باديء ذي بدء على أن ما كتبه المستشرقون شر يتجافى وكذب وافتراء وإلحاد فذاك أمر ضرره عظيم، ذلك أن العلم بهذه المواد خير ألف مرة من الجهل بها».[1]

كما تعترف هذه الفئة من علماء المسلمين ومفكري العربية بإسهامات المستشرقين التي أريد منها أن تسد فراغاً في المكتبة الإسلامية من دراسات وأعمال موسوعية كدائرة المعارف الإسلامية والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مثلاً؛ وإن كانت هذه الفئة تقر بأن هذه الأعمال إنما قامت على أيدي مجموعة من المستشرقين ممن لم تعرف عنهم جميعاً النزاهة، فوقعوا في

---

(1) سامي الصقار. "دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي".- المنهل مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ - ١٠/١٤٠٩هـ - ٤ - ٥/١٩٨٩م).- ص ١٤٢ - ١٦٧، وانظر له أيضاً: «الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين».- مجلة كلية الآداب (جامعة الملك سعود).- مج ٩ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).- ص ١٥٩ - ٢٢٨.

(1) إبراهيم السامرائي. من دراسات المستشرقين: ترجمة وتعليق.- عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع ١٩٨٥م.- ص ٥.

أخطـــــاء فاحشة عند حديثهم عن مـــواد هذه الأعمال.

وفي سبيل هذه المواجهة (الإيجابية) نجد أن فرسان هذا التوجه يطرحون مجموعة عملية من البدائل التي تملأ الفراغ القائم في المكتبة الإسلامية وتسد الثغرات التي ولج منها المستشرقون، ومن أبرز هذه البدائل :

١- المعرفة بالنتاج الاستشراقي لاستنباط السمين والغث فيه، وهذا يقتضي إعداد الدراسات والمسوح والتقارير عن وضع الدراسات الاستشراقية في الدول الأجنبية المختلفة، وتخصيص جزء من الدوريات العربية المعنية لمتابعة آخر تطوراته ومواجهة آخر ما يصدر عنه من كتب ومجلات ونشرات وأنشطة علمية أخرى كالزيارات المباشرة لمراكز الاستشراق وغيرها من الوسائل.

٢- المشاركة في مختلف فعاليات الاستشراق ونشاطاته قصداً إلى لفت نظر العاملين في ميدانه إلى ما يقوم به المسلمون من نشاطات وأبحاث لا يحسنها غيرهم ولا يستغني غيرهم عنها. والقصد من هذه المشاركة في النهاية خلخلة معاييرالاستشراق ومقاييسه الداخلية حيث تنبثق مفهومات جديدة ومعايير ومستويات مختلفة عما هو سائد في ميدان الاستشراق، ويمكن أن تتم هذه المشاركة بوسائل مناسبة شتى كالنشر في الدوريات الاستشراقية، ونشر الكتب العلمية والترجمات باللغات الأجنبية، والمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تقام حول الشؤون العربية والإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

٣- النقد الواعي المنبعث من المسلمين من خلال المشاركات، ويكون نقداً موضوعياً علمياً بعيداً عن التهجم الشخصي أو الطعن في الأشخاص،

والمنبعث، أيضاً، من المستشرقين أنفسهم الذين ينقدون أترابهم ويوقفونهم عند أخطائهم عندما يلحظون الوجود الإسلامي بينهم، ويلمسون الرغبة في فتح مجالات للحوار والوصول إلى الحق.

٤- تشجيع الإسهامات "الإيجابية" في النتاج الاستشراقي الجديد نترجمته إلى العربية ودعوة المستشرقين "الإيجابيين" إلى مؤتمرات عربية إسلامية، والمساعدة بشتى الوسائل لهذه الأصوات المنصفة لئلا تصبح صوتاً وحيداً لا يجد من يتبناه فلا يلبث أن يخفت، فيضطر صاحبه إلى مجاراة الآخرين رغبة في وجود مكانة بينهم.[١]

٥- إيجاد - أو العمل على إيجاد - موسوعة عربية يرد فيها على المستشرقين الذين أجحفوا في حق الإسلام وأهله؛ قصداً إلى الوقوف على الإسهامات الخاطئة وبيان وجه الخطأ فيها، وتكون الردود موضوعية مدعّمة بالحقائق العلمية التي لايفتقر إليها الكتاب العرب والمسلمون، والشواهد التاريخية والبراهين العقلية المتوافرة في التراث الإسلامي، وفي مصادر التشريع الإسلامي قبل ذلك، وتكون الردود بعيدة عن النزعات الهجومية؛ قصداً إلى الوصول إلى الأثر "الإيجابي". مع الاقتصار على الموضوعات التي أثارت جدلاً لدى المستشرقين، وبخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. ولا ازدواجية بين هذه النقطة والنقطة السابعة الآتية

---

[١] عبد النبي أصطيف "نحن والاستشراق: نحو مواجهة إيجابية".- المستقبل العربي .- ص ٣٤ - ٣٩ .

لاختلاف الغرض في كلٍّ.

٦ - العمل على إيجاد صلة مع المستشرقين الذين أخطأوا في حق الإسلام والمسلمين قصداً إلى بيان الجوانب التي أخطأوا في فهمها فأخطأوا في عرضها.[1] ولا بأس من إقامة حوار مع هذه الفئة إذا كانت الأطراف المتحاورة تقف جنباً إلى جنب من حيث المكانة العلمية والتقدير والرغبة في الوصول إلى الحق، بعيداً عن الفوقية الحضارية؛ وذلك لأن بعضاً من المستشرقين يعتريه شيء من الزهو والتعاظم، فالمستشرق يكتب وهو يشعر بالفوقية الحضارية مفترضاً في المتلقي الدونية المطلقة. وتعاملنا مع أولئك ينبثق من تلك المواصفات، الأمر الذي فصل بعض مفكرينا عن ماضيهم وأسرع في تشكيلهم على عين المستشرقين. وقابلية الاستجابة والدونية كرّست إمامة أولئك وطردت الغربة عن الشواذ منهم.[1]

٧- العمل على إيجاد دائرة معارف إسلامية جديدة تحل محل دائرة المعارف الإسلامية التي سطرها المستشرقون. وتكون جهودها موحدة بعيدة عن التنافس بين الدول والتسابق وتبديد الجهود بين الدول العربية والإسلامية؛ إذ إن كل فراغ فكري لدينا لا نشغله بأفكار من عندنا يكون عرضة لأفكار، أو

---

[1] أحمد سعد حمدان الغامدي. «الاستشراق والجهود المطلوبة».- المنهل مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ - ١٤٠٩/١٠هـ - ٤ - ١٩٨٩/٥م).- ص ٢٧٢ - ٢٧٥.

[1] حسن بن فهد الهويمل في: «محاور حول الاستشراق».- المنهل مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ - ١٤٠٩/١٠هـ - ٤ - ١٩٨٩/٥م).- ص ٢٨٣.

للاستجابة لأفكار، غريبة عنا منافية لمبادئنا، وربما معادية لأنفسنا كمايشير (محمود حمدي زقزوق).[1]

٨- ترجمة إسلامية دقيقة لمعاني القرآن الكريم، وعدم ترك المجال للأجنبي لترجمة المعاني كما هو الحال منذ أكثر من قرن من الزمان. ويتبع هذا اختيار مجموعة مناسبة وكافية من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وترجمتها إلى اللغات (الحية) لتكون في متناول المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية، وفي متناول غير المسلمين الذين يريدون التعرف على الإسلام. فتحل هذه الترجمات الموثوقة محل الترجمات الأجنبية لمعاني القرآن الكريم وأحاديث الرسول - عليه السلام -، فيكون لها أثرها الحسن بديلاً للآثار السيئة التي خلفتها الترجمات الأجنبية.[1]

ولا بد من الإشادة هنا بجهود الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية التي أصدرت نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، والجهود القطرية في ترجمة أحاديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وبجهود الأزهر الذي سبق أن وافق على ترجمة "صحيحة " لمعاني القرآن الكريم سنة ١٣٥٥هـ /

---

[1] محمود حمدي زقزوق.-الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.- مرجع سابق.- ص ١٣٠.

[1] محمد محمد الدهان. قوى الشر المتحالفة: الاستشراق، التبشير، الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين.- ط ٢.- المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . - ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

١٩٣٦م.

٩- العمل على تنقية تراث المسلمين؛ فتراث المسلمين فيه السمين والغث وبخاصة إذا ما أدركنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا يدخلان في هذا المفهوم، والغث من التراث هو أرض خصبة للمستشرقين للنيل من المسلمين، والمطلوب إزالة الغث بالتركيز على أنه غث لا يمثل بالضرورة الإسلام ولا يمثل بالضرورة النمط السائد بين المسلمين من خلال تطبيقهم للإسلام، ولكنه يمثل مراحل مر بها المسلمون كانت مراحل ضعف في الفكر وفي الفهم، لجأ فيها بعضهم إلى الترف واللهو، وشجعوا أهلها ومواطنيها. ولذا فإن هذا الغث إنما يمثل الدخيل على التراث الإسلامي أسهم به بعض من يقصد الإساءة ممن هم موجودون في كل زمان ومكان.

١٠- تقوية المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وإخراجها من النطاق المحلي للبلاد العربية والإسلامية وإكسابها عالمية في قراراتها، والتقليص من ولائها لأي بلد بعينه ولأي توجه سياسي معين. بل يكون ولاؤها لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - فتسد فراغات علمية كبيرة وكثيرة تعاني منها الثقافة الإسلامية فتستعير لسد هذه الفراغات من ثقافات أخرى.

١١- إقامة مركز عالمي للدعوة الإسلامية يغطي النقص الذي لا يتوقع تغطيته من المنظمة الإسلامية، إذ إن طبيعتها علمية بحتة، وطبيعة المركز العالمي دعوية بحتة، لا تستغني عن العلمية في دعوتها، ولكنها لا تقوم بمشروعات علمية، وإنما تستقي معلوماتها العلمية من المنظمة الإسلامية، فتنطلق إلى العالم داخل الإطار الإسلامي وخارجه، وتبين للناس الوجه الحق

للإسلام، لا ذلك الوجه الذي شوهته إسهامات أغلب المستشرقين.[1]

وهناك مجموعة يسيرة من الوسائل للمواجهة الإيجابية. ويذكر أصحاب الموقف الإيجابي وسائل أخرى متعددة تعتمد على صحة تصوير الإسلام من الداخل تحصيناً للمسلمين والمسلمات من القابلية للأفكار الدخيلة، كمراقبة «جميع » وسائل الإعلام وإخضاعها لتوجيهات سليمة، وتنقية الحياة الإسلامية المعاصرة من (جميع) رواسب ما خلفه الاستشراق والتنصير والاستعمار والتيارات الأخرى في المدارس والمناهج والثقافة، وإبعاد (جميع) العناصر المشبوهة عن المراكز القيادية في التوجيه والتربية والثقافة والإعلام والتخطيط وغيرها.[2]

الخاتمة والنتيجـــــة :

لقد قمت بمحاولة حصر الإسهامات العربية (المكتوبة باللغة العربية) التي تعالج قضية الاستشراق والمستشرقين،[3] ووجدت أن هذه الإسهامات لا تكاد تخرج عن هذه المواقف الثلاثة بغض النظر عن زمان المنشور ومكانه وموضوعه من حيث سعة المعالجة وضيقها. كما وجدت أن البلاد العربية

---

(1) محمد محمد الدهّان. قوى الشر المتحالفة.- مرجع سابق.- ص ١٣٠.

(2) عدنان محمد وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.- مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.- ص ٢٢١.- (سلسلة دعوة الحق / ٢٤).

(3) علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق والمستشرقون في الأدبيات العربية.- القسم الثاني: الحصر الوراقي.- مرجع سابق.-

(جميعها) قد أسهمت في الحديث عن المستشرقين، ولكن بنسب متفاوتة ولا شك. كما وجدت جزءاً غير قليل من مثقفي العالم العربي والإسلامي قد تعرضوا للاستشراق، إما باسهامات مستقلة أو داخل إسهامات فكرية وثقافية، ولكنني إلى الآن لم أجد من تخصص في الاستشراق تخصصاً مباشراً وقوياً،[1] ولم أجد المؤسسة التي عنيت بالاستشراق عناية خاصة، فوفرت له المصادر والمراجع وكثّفت من الأبحاث والدراسات والتمست الموضوعية في تحليلها لهذه الظاهرة،[1] ولم أجد الدورية التي تخصصت بنشر ما يكتب عن الاستشراق والمستشرقين، فيجد الباحثون في هذه الظاهرة «الوعاء المعلوماتي »الذي ينشرون فيه، وينهلون منه بدلاً من أن تكون الإسهامات متناثرة بين الجرائد السيارة والمجلات الثقافية والدوريات العلمية. ولعل هذا كله يعد سبباً من مجموعة من أسباب أدت - إلى الآن -

---

[1] هناك طلبة دراسات عليا خصصوا أبحاثهم في قضية من قضايا الاستشراق، ولكن معظمهم توقفوا عند هذا الحد، حتى رسائلهم لم تر- في معظمها- النور، ولم يتح لهم المجال للاستمرار، أو أنهم هم لم يرغبوا في الاستمرار في مجال الدراسات الاستشراقية.

[1] هناك أقسام في بعض الجامعات كأقسام الثقافة الإسلامية، وقسم الاستشراق بكلية الدعوة الإسلاميـة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة النبوية يُعدُّ أحد هذه النماذج. ولكنها أقسام تحتاج إلى دعم قوي بالمتخصصين وبالمادة العلمية، كما تحتاج الجامعات العربية والإسلامية إلى أمثال هذا القسم. أنظر إسماعيل أحمد عمايرة. «الدراسات الاستشراقية وحتمية التخصصية».- المنهل مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩ - ١٤٠٩/١٠هـ - ٤ - ٥/ ١٩٨٩م).- ص ٣٤٠ - ٣٤٦. وهو حوار أجرته معه المجلة عندما كان رئيساً لقسم الاستشراق بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً، كلية الدعوة الإسلامية حالياً .

إلى الإخفاق في المواجهة الإيجابية لظاهرة الاستشراق.

ومن خلال الاستقراء وملاحقة عنوانات الإسهامات أستطيع الخروج بالنتائج التالية:

١- أن القابلين لإسهامات المستشرقين في مجال الثقافة الإسلامية والأدب العربي والشرقي عموماً إنما صدروا عن انبهار بانشغال الآخرين بثقافة لم يكوّنوا لها الثقة الكافية، فكان القبول منهم ممثلاً للنظرة التبريرية/ الاعتذارية التي يصدر عنها بعض المعتذرين عن الثقافة الإسلامية أمام الغربيين الذين تفوقوا في مجالات الحضارة المادية، وكان من أسرار تفوقهم تخليهم عن تعليمات أديانهم المنحرفة، وهذا في الوقت الذي كان يمر فيه المسلمون بوقت حرج رضخوا فيه تحت نير الاحتلال الذي أعان على تخلف المسلمين، وعمل على فصلهم عن دينهم الحق.

٢- أن الرافضين لإسهامات المستشرقين رفضاً مطلقاً إنما صدروا عن ردود فعل منشؤها القابلون لها قبولاً مطلقاً، فأحس هذا الفريق بالتهديد القادم من بعيد ويتبناه بعض أبناء الأمة، مما أدى إلى الخوف على الإسلام والمسلمين، وعدم تصور أن يُنصَفَ الإسلام والمسلمون ممن لا يدين بالإسلام، وممن عرف عن قومه عداؤهم للإسلام وللمسلمين، وممن حصل من قومه اضطهاد للمسلمين بالغزو العسكري والاقتصادي والسياسي والثقافي، فكان لابد أن ينبري فريق من ذوي الغيرة على دينهم وثقافتهم ويكشفوا شيئاً من الزيوف التي يختبيء وراءها بعض المستشرقين. إلا أن هذا الفريق قد لجأ إلى التعميم في أحكامه وخلط بين المستشرقين على اختلاف أخطائهم في الدرجة وفي الكثرة. وقد لحظت أن معظم أصحاب هذا الفريق

ممن لم يتعمقوا في دراسة المستشرقين وإسهاماتهم، ولكنهم اكتفوا بترديد ما قاله أسلافهم أو اكتفوا بالوقوف على أقوال بعض المستشرقين المغرضين في الكتاب الكريم وفي سنة المصطفي - صلى الله عليه وسلم -، وفي سيرته -عليه السلام - وسيرة الصحابة وفي الإسلام بشكل عام. ولا يعني هذا سطحية هذه الفئة من المفكرين كما يحلو لبعض الباحثين أن يرميهم بها لحاجة في نفس يعقوب.[1]

٣- أن الغالب على أصحاب الفريق الثالث (المواجهة الإيجابية) أنهم درسوا الاستشراق وتعمقوا فيه، وسيطروا على بعض لغاته، وكانت لهم حوارات ولقاءات مع المستشرقين، وبعضهم أخذ عن بعضهم، وبعضهم ناقش بعضهم وحضروا مؤتمراتهم، وترجموا بعض أعمالهم ووثقوا الصلة معهم.

وهذه الأساليب، وإن بدت قريبة إلى أن يُصنّفوا من أصحاب الفريق الأول (القبول غير المشروط)، إلاّ أن هذه النشاطات أطلعتهم على حقيقة المستشرقين، فرأوا منهم المنصف ورأوا منهم المتحامل الموصوف بالخبيث.[2]

---

(١) انظر وقفات صادق جلال العظم. الاستشراق والاستشراق معكوساً.- بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١م.- وفؤاد زكريا. «نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة».-

(٢) يقول "عبد الرحمن بدوي" عن "لامانس": «وأبشع ما فعله خصوصاً في كتابه: (فاطمة وبنات محمد)، هو أنه كان يشير في الهوامش إلى مراجع بصفحاتها. وقد راجعت معظم هذه الإشارات في الكتب التي أحال إليها، فوجدت أنه إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقاً في هذه الكتب، أو يفهم النص فهماً ملتوياً خبيثاً، أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد

ونظرتهم إلى المنصفين كانت على أنهم مستشرقون اعتراهم سوء الفهم فكان منهم سوء العرض، كما أن أحكامهم عن إسهامات المستشرقين لم تكن أحكام القضاة العالمين علماً تاماً بدقائق الأمور فاكتفوامنهم بالمسحة الإيضاحية، وتركوا لهم مجالاً للخطأ والوقوع في الزلل مع افتراض حسن النية وصفاء الطوية. فالاستشراق عند هذه الفئة غير معصوم من الخطأ، ولكنه من ناحية أخرى ليس «كله» شراً على الإسلام والمسلمين.[1]

وتظل ظاهرة الاستشراق بين أخذ ورد، وقبول ورفض. ولكني أتوقع على مر الأيام، ومع مزيد من التعمق أن يكثر أصحاب المواجهة الإيجابية، ويقل الفريقان الآخران، مع تفاوت في درجة القلة؛إذ إن الانبهار كظاهرة صاحبت إسهامات المستشرقين هي التي ستخفُّ حدَّتها بعد أن بدأت الثقة تعود إلى النفس، وبعد أن تفتحت آفاق المعرفة لدى الباحثين وكثر العائدون إلى الأصالة الإسلامية، وتبع هذه العودة عودة للوعي، ونتج عن الوعي اللجوء إلى الموضوعية والتجرد والتحليل والتمحيص في تقبل الآراء والتعامل معها، ومن ثم وضوح المعيار الذي تقاس عليه جميع الإسهامات الواردة عن

يدل على فساد الذهن وخبث النية. ولهذا ينبغي ألا يعتمد القارئ على إشاراته إلى مراجع، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف في فهم النصوص. ولا أعرف باحثاً من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية». انظر: عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين . – ط ٢ – بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩م.– ص ٣٤٨ – ٣٤٩.

[1] محمود حمدي زقزوق. الإسلام في تصوُّرات الغرب.– القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. ص٨.

الإسلام والمسلمين، من المستشرقين وغير المستشرقين، ممن يطلقون - أحياناً - أحكاماً سريعة في مناسبات خاصة، فيتلقفها البعض وتكتب بالخطوط العريضة.

وقد وردت الإجابات على أسئلة البحث في ثنايا العرض للمواقف الثلاثة، فكان هناك عرض لمدى الثقة بالمعلومات الواردة عن المستشرقين. وكان هناك نقاش حول المعيار الذي لم يُتَّفق عليه بعد اتفاقاً مطمئناً، وكان هناك عرض لمبررات الرفض المطلق والقبول غير المشروط والمواجهة الإيجابية.

وتظل هذه كلها آراء يقبل منها ما يقبل ويرد منها ما يرد ما دام جوهر الإسلام وأصوله واضحة في أذهان القابلين والرادين، وما دام القبول أو الرد مبنياً على المعيار الشرعي في القبول والرد. أمّا أولئك الذين لا يؤمنون بالمعيار الشرعي فإن الحاجة ملحة معهم إلى الاتفاق معهم على معيار مشترك باسم العربية أو باسم التراث، أو بأي اسم قابل للاتفاق. وهذا الأمر يبدو متعذراً في مجتمع قام أصلاً على المعيار الشرعي، وقاس عليه «جميع» حركاته وسكناته، ومما يقاس عليه في موضوعنا هذا هو مدى قبول إسهامات المستشرقين في العلوم الإسلامية وما لها علاقة بها.

قائمة وراقية بالمراجع الأساس

أ.ر.ف. توملين.

فلاسفة الشرق.- ترجمة عبد الحليم سليم.- القاهرة: دار المعارف،

إبراهيم خليل أحمد.

الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية.- القاهرة: مكتبة الوعي العربي، (١٩٧٣م).-

إبراهيم السامرائي .

من دراسات المستشرقين.- ترجمة وتعليق. - عمان: دارالفكر، ١٩٨٥م . - ٩٦ ص .

إبراهيم عبد الكريم.

الاستشراق وأبحاث الصراع لدي إسرائيل.-عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٩٣م.- ٥٩٨ ص.

إبراهيم اللبان.

المستشرقون والإسلام.- القاهرة: الأزهر: ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.- (ملحق مجلة الأزهر)

أبو الحسن علي الحسني الندوي.

الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين: تقييم لكتابات المستشرقين، واستعراض لبحوث المؤلفين المسلمين فى الموضوعات الإسلامية.- ط٣.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.- ٨٢ ص .

أحمد حسن عبد الرحيم. «المستشرق الفرنسي إرنست رينان ونظرته إلى اللغة والفلسفة».- في: **الاستشراق**.- ع ٢(شباط ١٩٨٧م).- ص ٣٩-٤٢ .- (سلسلة كتب الثقافة المقارنة).

أحمد ديدات.

شيطانية الآيات الشيطانية وكيف خدع سلمان رشدى الغرب.- نقله إلى العربية وقدم له علي الجوهري.- القاهرة: دار الفضيلة، (١٩٩٠م).- ١١٢ ص

أحمد سعد حمدان الغامدي. «الاستشراق والجهود المطلوبة ».- **المنهل** ج ٥٥ ع ٤٧١ (٩/١٠/١٤٠٩هـ - ٤ - ٥/١٩٨٩م) .- ص ٢٧٢-٢٧٥.

أحمد سمايلوفتش.

فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر.- القاهرة: دار المعارف. {١٩٨٠م}. ٧٨٠ ص.

أحمد عبدالحميد غراب . **رؤية إسلامية للاستشراق** .- ط٢.- لندن : المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.- ١٩٧ ص .

إدوارد سعيد.

الاستشراق: المعرفة. السلطة. الإنشاء.- نقله إلى العربية كمال أبو ديب.- ط٢.- قم (إيران): دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٤م.- ٣٦٧ ص.

إسماعيل أحمد عمايرة. « الدراسات الاستشراقية وحتمية التخصصية ».- **المنهل** مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩-١٠/١٤٠٩هـ ـ ٤ - ٥ /١٩٨٩م) .- ص ٣٤٠ـ٣٤٦ .

Lady Anne Blunt. **Pilgrimage to Nejd: a Visit to the Court of the Arab Amir and our persian campaign**.- 2vols.-2nd. ed.-London: John Murray,188

أنور الجندي .

سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية .- ط٢.- بيروت : دار الجيل، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م . -٢١٣ ص .

أنور الجندي.

طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام.- القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧م.- ص

بريستيد.

انتصار الحضارة. - ترجمة أحمد فخري.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.- ٣٠٨ ص.

تشارلز بلجريف، [السير].

مذكرات بلجريف مستشار حكومة البحرين سابقًا.- ترجمة مهدى عبدالله.- بيروت: دار البلاغة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.- ٣٩١ ص.

ج. فورستر سادلير.

رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م.- ترجمها أنس الرفاعي.- الكويت: سعود بن غانم الجمران العجمي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.- ٣٠٠ ص.

جاكلين بيرين.

اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من المغامرة والعلم.- نقله إلى العربية قدري قلعجي.- قدم له الشيخ حمد الجاسر.- بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.- ٤٣٤ ص.

جوستاف بفانمللر.

سيرة الرسول -صلي الله عليه وسلم- فى تصورات المستشرقين.- ترجمة محمود حمدي زقزوق.- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.- ٥٦ ص.

جون لويس بوركهارت.

رحلات فى شبه جزيرة العرب.- ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي وعبد الرحمن عبد الله الشيخ.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/

١٩٩٢م. ٤٤٨ ص.

:James C. Simmons, ed. **Passionate Pilgrims: English Travelers to the World of the Desert Arabs.**- New York: William Morrow and Company, Inc.,1987.-399 p.

.John L Esposito. **Islam: The Straight Path.**- Oxford: Oxford University Press, 1994.

حسن بن فهد الهويمل. في: «محاور حول الاستشراق».- **المنهل** مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩-١٠/٩/١٤٠٩هـ - ٤-٥/ ٥/ ١٩٨٩م).- ص ٢٨٣ .

حسين الهراوي. « ضررهم أكثر من نفعهم».- **الهلال** مج ٤٢ ع ٢ (٨/ ١٣٥٢هـ -١٢/١٩٣٣م).- ص ٣٢٤.

حسين مؤنس. «كتاب (مجد الإسلام) لجاستون فييت».- في: محمد البهي. **الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى**.- مرجع سابق.- ص ٤٥٧-٤٧١ .

خالد البسام، مترجم ومعد.

القوافل: رحلات الإرسالية الأمريكية فى مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١-١٩٢٦م.- البحرين: [مؤسسة الأيام للصحافة والنشر]، ١٩٩٣م.- ٢٠٦ ص.

خوان غويتسولو.

في الاستشراق الإسباني.- تعريب كاظم جهاد.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.- ٢٥٦ ص.

رضوان السيِّد. « اليهودية والصهيونية في الاستشراق».- في: **ندوة الدين والتدافع الحضاري**.- مالطا: رسالة الجهاد، ١٩٨٩م.- ص ٣٥٩-٣٨٣.

رفعت سيد أحمد.

آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب. - القاهرة: الدار الشرقية، ١٤٠٩هـ.- ١٩٦ ص

روبن بدول.

الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية.- ترجمة عبد الله آدم نصيف.- الرياض: المترجم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.- ٢٠٣ص.

رودي بارت.

الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية.- ترجمة مصطفى ماهر.- القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م. ١١٠ص.

ريتشارد هرير دكمجيان.

الأصولية في العالم العربي.- ط٣.- ترجمة وتعليق عبد الوارث سعيد.- المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ٣٠٨ ص.

زاهر بن عوّاض الألمعي.

مع المفسرين والمستشرقين فى زواج النبى -صلي الله عليه وسلم- من زينب بنت جحش: دراسة تحليلية.- الرياض: المؤلف، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.- ٥٦ ص.

زكي مبارك. « نفعهم أكثر من ضررهم».- **الهلال** مج ٤٢ ع ٢ (٨/ ١٣٥٢هـ-١٢/١٩٣٣م).- ص ٣٢٥- ٣٢٨.

زيد بن أحمد بن زيد العبلان.

الدراسات الاستشراقية فى ضوء العقيدة الإسلامية: دراسة ومناقشة وتحليل.- رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.- ١٤٠٦هـ.- ٦١٣ ص.

ساسي سالم الحاج.

الظاهرة الاستشراقية وأثرها علي الدراسات الإسلامية.- جزآن.- مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١م.- ٦٧٢ ص.

سامي الصقار. « الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين».- **مجلة كلية الآداب** (جامعة الملك سعود).- مج ٩ (١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).- ص ١٥٩-٢٢٨.

سامي الصقار. « دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي».- **المنهل** مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩-١٠/١٤٠٩هـ - ٤-٥/ ١٩٨٩م).- ص ١٤٢-١٦٧.

سعد المصرفي.

أضـواء علي أخطاء المسـتـشـرقـين فى المعـجـم المفـهـرس لألـفـاظ الـحـديـث الـنـبـوى.- الكويت: دار القلم، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.- ٢١٠ ص.

سعيد عبدالفتاح عاشور.

الحـركة الصليـبيـة.- ٢مج.- القـاهرة: مكتـبـة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.-

سمير عطا الله.

قافلة الحـبر: الرحالة الغربيـون إلي الجزيرة والخليج (١٧٦٢-١٩٥٠م).- بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ٣٤٨ ص.

شـاكـر مـحـمـود عـبـذ المنعم. «نموذج من تهـافت الاسـتـدلال فـي دراسـات المسـتـشـرقين».- **المؤرخ العـربى** مج٣٠ (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .- ص ٢٩١- ٣٠٢.

شكري النجـاًر. «لِمَ الاهتـمـام بالاسـتـشـراق؟».- **الفكر العـربى** مج٥ ع٣١.- (٣/١٩٨٣م).- ص٦٠-٦٩.

شوقي أبو خليل.

مـوضـوعـيـة فـيـليب حـتى فى كـتـابة تاريخ العـرب المطوّل.- دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.- ٢٢٣ ص.

صادق جلال العظم.

الاستشراق والاستشراق معكوساً.- بيروت: دار الحداثة، ١٩٨١م.-

صلاح الدين المنجِّد. «الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله».- **الهلال**.مج٨٢، ع١١ (١٠/١٣٩٤هـ-١١/١٩٧٤م). ص ٢٢-٢٧.

صلاح الدين المنجِّد. « جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي» .- **المنهل** مج ٥٥ ع ٤٧١ (٩-١٠/١٤٠٩هـ - ٤-٥/ ١٩٨٩م).- ص ٢١٠-٢١٧.

صلاح الدين المنجد.

المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية.- ج١.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.١٩٢ ص .

صلاح الدين المنجِّد.

المنتقي من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية.- ج ١.- ط ٢.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.- ٢٤٨ص.

عابد بن محمد السفياني.

المستشرقون ومن تابعهم وموافقهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسةً وتطبيقًا.- مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٨هـ.-

عباس محمود العقاد.

ما يقال عن الإسلام.- القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.- ٢٢٥ ص .- (سلسلة كتاب الهلال/١٨٩).

عبد الجليل شلبي.

صور استشراقية.- القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ.- ٢٢٤ ص.

عبد الحميد متولي.

الإسلام وموقف علماء المستشرقين: اتهامهم الشريعة بالجمود وعلمائها الأقدمين بالتأثر بالقانون الرومانى.- جدة: شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.- ٨٠ ص.

عبد الرحمن بدوي.

موسوعة المستشرقين.- ط٣.- بيروت: دار العلم للملايين،١٩٩٣م.- ٦٤٠ ص.

عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني.

أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير والاستشراق والاستعمار: دراسةوتحليل وتوجيه.- ط ٤.- دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.- ٦٩٨ ص.

عبدالستار الحلوجي. «جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي».- **مجلة كلية اللغة العربية**، جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية. ع ٦ (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م).- ص ٧٢٣-٧٤٩.

عبدالستار الحلوجي. «المستشرقون والعمل الببليوجرافي».- في: **دراسات فى الكتب والمكتبات**.- جدة: مكتبة الصباح، ١٤٠٨هـ.- ص ١٢١-١٢٩.

عبد اللطيف الطيباوي.

المستشرقون الناطقون بالإنجليزية: دراسة نقدية.- ترجمة وتقديم قاسم السامرّائي.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.- ٢١٤ ص.

عبد العظيم محمود الديب.

المستشرقون والتراث.- المحرق: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.- ٤٥ ص.

عبد العظيم محمود الديب.

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامى.- الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ.-١٣٣ ص.- (سلسلة كتاب الأمة/٢٧).

عبد الفتاح أبو علية.

الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠-١٨٩١م.- الرياض: مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، د.ت.-

عبدالكريم علي الباز.

افتراءات فيليب حتّى وكارل بروكلمان علي التاريخ الإسلامى.- جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ.- ١٧٤ ص.

عبد النبي أصطيف. « مقدمات في الاستعراب الجديد (١)نحن والاستشراق، ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (١)».- **مجلة مجمع اللغة العربية** (دمشق).- مج ٥٧ (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).- ص ٦٤٨- ٦٦٥.

عبد النبي أصطيف. « نحن والاستشراق، ملاحظات نحو مواجهة إيجابية (٢)».- م**جلة مجمع اللغة العربية** (دمشق).- مج ٥٩ (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م).- ص ١١٦-١٣٥.

عبد النبي أصطيف. « نحن والاستشراق: ملاحظات نحو مواجهة إيجابية».-**المستقبل العربى** مج ٦ ع ٥٦ (١٠/١٩٨٣م).- ص ٢٠- ٢٩.

عبد الوارث كبير. « المستشرقون لم يفتَروا، ولكن هذا ما قاله المفسرون».- **العربى** ع ٦٨ (٧/١٩٦٤م).- ص ١٤٦.

عبد الوارث كبير. «المستشرقون ليسوا كلهم أعداء للعروبة والإسلام فمنهم من أدَّى للعروبة والإسلام أجلَّ الخدمات».- **العربى** ع ١٠٢ (٥/ ١٩٦٧م).- ص ١٤٤- ١٤٥.

عبد الوهاب أبو حديبة. «الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين».- في: **مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية**.- مجلدان.- الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج،

١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.- ٢: ١٤٠.

عجيل جاسم النشمي.

المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.- ٢٥٦ ص.

عدلي طاهر نور. «المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم، تأليف المستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين -١-».- **الرسالة**.- مج ٩، ع٤٢٤ (١٣٦٠/٧/٢٥هـ-١٩٤١/٨/١٨م).- ص ١٠٤٢- ١٠٤٥. إلى مج١١، ع٥٠٦ (١٣٦٢/٣/٩هـ-١٩٤٣/٣/١٥م).- ص ٢٥٣-٢٥٦..

عدنان محمد الوزان.

الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر.- مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.- ٢١٢ ص .- (سلسلة دعوة الحق/ ٢٤).

علي بن إبراهيم النملة.

الاستشراق فى الأدبيات العربية: عرض للنظرات، وحصر وراقى للمكتوب.- الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م. ٣٩٠ ص.

علي بن إبراهيم النملة. « الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية».- **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**. ع ٣ (٧/ ١٤١٠هـ- ٢/ ١٩٩٠م).- ص ٢٣٧- ٢٧٢.

علي بن إبراهيم النملة.

التنصير فى الأدبيات العربية.- الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.- ٢٧٢ ص.

علي بن إبراهيم النملة. « العلاقة بين الاستشراق والاستعمار».- **التوباد** مج ١ ع ٤ (١٤٠٨/١٠هـ- ١٩٨٨/٦م).- ص ٣٨- ٤٢.

علي بن إبراهيم النملة. «كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة

والدوافع والأهداف».- في: **دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دورى محكم**.- ع١.- المدينة المنورة: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.- ص ١٩-٦٠.

علي بن إبراهيم النملة. « المستشرقون: مواقف ومواقف».- **مجلة الحرس الوطنى**. مج ٧ ع ٤٤ (١٤٠٦/١٠هـ- ١٩٨٦/٦م).- ص ٤٤- ٤٥.

علي حسني الخربوطلي.

المستشرقون والتاريخ الإسلامى.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.- ١٣٧ ص.- (سلسلة تاريخ المصريين/١٥).

عماد الدين خليل.

قالوا عن الإسلام.- الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ٥٠٤ ص.

عمادالدين خليل. «المستشرقون والسيرة النبوية».- في: **الإسلام والمستشرقون**.- تأليف نخبة من العلماء المسلمين.- جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ.- ص ٢٧٤.

عمر بن صالح السليمان العمري.

التطور السياسى للبحرين ١٨٠٠-١٨٩٢، ١٢١٥-١٣٠٩. رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.-

عمر فروخ. «الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة ».- في: **الإسلام والمستشرقون**. تأليف نخبة من العلماء المسلمين.- جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.- ص ١٢٥-١٤٣.

غيثان علي جريس.

افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية.- أبها: نادي أبها الثقافي والأدبي، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.- ٨١ ص.

Farouq Mohamed El-Zayat. **Mutter des Glaubigen**.- Munchen: HKD Bavaria-Handels &Verlags, 1982.- 109s.

فرد هاليداي.

المجتمع والسياسة فى الجزيرة العربية.- ط٢.-تعريب وتعليق محمد الرميحي.- الكويت: شركة كاظمة، ١٩٧٧م.- ٢٩٦ ص.

فؤاد زكريا. «نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية المعاصرة».- **العربى**

فؤاد سزكين.

تاريخ التراث العربى.- ١.- مج ١.- ج ١.- نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ.-

فؤاد سزكين.

تاريخ التراث العربى: مجموعات المخطوطات العربية فى مكتبات العالم.- نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.- ٢٨١ص.

فهمي الشناوي.

من وراء سلمان رشدى؟ : أسرار المؤامرة علي الإسلام.- القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت.- ٦٣ ص.

فينزينزو، الرحالة الإيطالي الملقب بالشيخ منصور.

تاريخ السيد سعيد سلطان عمان، ومعه تاريخ الشعوب والأقطار علي سواحل الخليج العربى.- ترجمة محمود فاضل.- بيروت: الدارالعربية للموسوعات، ١٩٨٨م.- ١٦٨ ص.

قاسم السامرّائي.

الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية.- الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ.- ١٦٨+١٩ ص.

ك. سنوك هورخرونيه.

صفحات من تاريخ مكة المكرمة فى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى.- ج٢.- نقله إلى العربية وعلق عليه محمد بن محمود السرياني ومعراج بن نواب مرزا، راجعه محمد إبراهيم أحمد علي.- مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.- ٥٦٤ ص.

كارل بروكلمان.

تاريخ الأدب العربى.- ج٤.- نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبدالتواب.- القاهرة: دار المعارف، (١٩٨٣م).-

لي ديفيد كوبر.

كتابات الرحالة الأجانب كمرجع لدراسة الحركة الوهابية فى القرن التاسع عشر الميلادى. ترجمة وتعليق عبد الله بن ناصر الوليعي.- الرياض: سهاج للإعلام والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.- ٩٤ ص.

مارسيل بوازار.

الإسلام اليوم.- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م.- ٣٣١ ص.

مازن صلاح المطبقاني.

الاستشراق والاتجاهات الفكرية فى التاريخ الإسلامى: دراسة تطبيقية علي كتابات برنارد لويس.- الرياض: مكتبة الكلك فهد، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.- ٦١٤ص .

مازن صلاح المطبقاني.

الغرب فى مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة.- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤٠٩هـ.-

مازن صلاح المطبقاني.

من آفاق الاستشراق الأمريكى المعاصر.- المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، {١٤٠٩هـ}.- ٥٦ ص.

مالك بن نبي.

إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث.- بيروت: دار الإرشاد، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.- ٤٨ ص.

محمد إبراهيم الفيومي.

الاستشراق: رسالة الاستعمار.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.- ٤٦٨ ص.

محمد أحمد دياب.

أضواء علي الاستشراق والمستشرقين.-القاهرة: دار المنار،

١٤١٠هـ-١٩٨٩م.- ١٩٢ ص .

محمد أسد.

الإسلام علي مفترق الطرق.- ترجمة عمر فروخ.- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤م.-

محمد البهي.

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى.- ط٥.- بيروت: دار الفكر، ١٩٧٣م. ٥١٢ ص.

محسن جاسم الموسوي.

الاستشراق فى الفكر العربى.-بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.- ٢٠٦ ص.

محمد حسين الصغير.

المستشرقون والدراسات القرآنية.- بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.- ١٣٥ص.

محمد سرور زين العابدين.

دواسات فى السيرة النبوية.- برمنجهام: دار الأرقم، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.- ٣٦٦ ص.

محمد صالح البنداق.

المستشرقون وترجمة معانى القرآن الكريم.- بيروت: دار

الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.- ٢٤٠ ص.

محمد عبد الفتاح عليان.

أضواء علي الاستشراق.- الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ.- ١٢٠ ص.

محمد عبد الغني حسن. «إدوارد وليم لين صوّر المجتمع المصري في القرن التاسع عشر».- **الهلال** مج ٤، ع١ (المحرم/١٣٩٦هـ-يناير/١٩٧٦م).- ص ٣٢-٣٨.

محمد عبد الله مليباري.

المستشرقون والدراسات الإسلامية.- الرياض: دار الرفاعى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.- ٨٤ ص. (سلسلة مذاهب وتيّارات/ ٢).

محمد بن عبود. "الاستشراق والنخبة العربية".- **المجلة التاريخية المغربية**.- مج٩، ع٢٧و٢٨، (١٩٨٢م).- ص ١٩٩-٢١٥.

محمد بن عبود. «منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي».- في: **مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية**.- ٢مج.- الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.- ص ٣٤١-٣٩١.

محمد عثمان صالح.

النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات. - المدينة المنورة :مكتبة ابن

القيم، ١٤١٠ه - ١٩٨٩م.

محمد عزت الطهطاوي.

التبشير والاستشراق.- القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.- ٢١٠ ص.

محمد علي حشيشو. «الرحالة الألمان إلى البلاد العربية».- في: **المستشرقون الألمان: تراجمهم وما أسهموا به فى الدراسات العربية**.- دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجِّد.- ط٢.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.- ص ٧٩-٩٢.

محمد الغزالي.

دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.- القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٩٦٥م.-

محمد محمد حسين.

الإسلام والحضارة الغربية.- ط ٥.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.- ٢٨٠ ص.

محمد محمد الدهّان.

قوى الشرّ المتحالفة: الاستشراق، التبشير، الاستعمار وموقفها من الإسلام والمسلمين.- ط ٢.- المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.- ٢٥٠ ص.

محمد يحي.

الآيات الشيطانية: الظاهرة والتفسير. - القاهرة: المختار الإسلامي، د . ت.-١٠١ ص،

محمود حمدي زقزوق.

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى.-ط٢- القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.- ١٨٨ ص .

محمود حمدي زقزوق.

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى.- ط٢.- القاهرة: دار المنار، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.- ١٨٨ ص.

محمود حمدي زقزوق.

الإسلام فى تصوُرات الغرب.- القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.- ٢٢٠ص.

محمود حمدي زقزوق.

الإسلام فى الفكر الغربى.- الكويت: دار القلم، ١٩٨١م.- ص.

محمود حمدي زقزوق.

الإسلام والمستشرقون.- القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.- ٣٦ ص.

محمود الغول. "الاستشراق اليوم: المستشرقون أقلُّ دراية بأسرار اللغة العربية".- **العربى** ع٤ (١٩٥٩/٣م).- ص ١١٨-١٢٢.

محمود محمد شاكر.

رسالة فى الطريق إلي ثقافتنا.- القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.- ٢٥٨ ص.- (سلسلة كتاب الهلال/٤٤٢).

محمود الغول. «الاستشراق اليوم: المستشرقون أقلُّ درايةً بأسرار اللغة العربية».- **العربى** ع ٤. (٣/١٩٥٩م).- ص ١١٨- ١٢٢.

محمود المقداد.

تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.- ٢٨٧ ص.- (سلسلة عالم المعرفة س/١٦٧).

مصطفى السباعي.

الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم.- ط٣.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.-

مصطفى السباعي.

السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى.- ط٢.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ.-

معن خليل عمر. «التباين الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي».- في: **الاستشراق** ع١ (كانون الثانى ١٩٨٧م)، ص ٢٩-٣٤. (سلسلة كتب الثقافة العربية/١).

الملحقية الثقافية بسفارة المملكة العربية السعودية بواشنطن.

دليل الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية بالجامعات الأمريكية.-ط٢.- واشنطون: الملحقية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.- ٣٠٨ ص.

نبيل السمان.

همزات شيطانية وسلمان رشدى.- القاهرة: دار الإسراء، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.- ١١٦ ص.

نجيب العقيقي.

المستشرقون.- ط٤.- ٣مج.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.-

نديم البيطار.

حدود الهوية القومية: نقد عام.- بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٢م.- ٣١٠ ص.

نذير حمدان.

الرسول -صلي الله عليه وسلم- فى كتابات المستشرقين.- ط٢.- جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.- ٢٠٧ ص.

نعمان عبد الرزاق السامرّائي.

الفكر العربى والفكر الاستشراقى بين د. محمد أركون ود. إدوارد سعيد.- الرياض: دار صبري، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. ١٦٠

ص.

هاريسون. [بول]

رحلة طبيب فى الجزيرة العربية.- ترجمة محمد أمين عبد الله.- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.-١١٥ ص.

هاشم صالح، معد ومترجم.

الاستشراق بين دعاته ومعارضيه.- بيروت: دار الساقي، ١٩٩٤م.- ١٦٢ص.

ول ديورانت.

قصة الحضارة.- مج ٤، ج ٤.- ترجمة محمد زيدان.- بيروت: الإدارة الثقافة بجامعة الدول العربية، د.ت.-

وليد نويهض. «نهاية الاستشراق، ١- بدأ عن طريق النقل وتجار القوافل وتطور في ساحات الصدام ».- **صحيفة الحياة اليومية.**- ع ١١٥٤٥ (٢٧-٩-١٩٩٤م/٢١-٤-١٤١٥هـ).- ص ١٨.

وليد نويهض. «نهاية الاستشراق (٢ من ٣): الطبعة الثانية تتوجت بغلبة نظرية التفوق الحضاري».- **صحيفة الحياة اليومية** ع ١١٥٤٦ (٢٣-٤-١٤١٥هـ / ٢٨-٩-١٩٩٤م).- ص ١٨.

وليد نويهض. «نهاية الاستشراق، ٣- تطور الاتصالات أنهى وظيفة الاستشراق المعرفية ».- **صحيفة الحياة اليومية.**- ع ١١٥٤٧ (٢٩-٩-١٩٩٤م/٢٤-٤-١٤١٥هـ).- ص ١٨.

ويندل فيليبس.

رحلة إلي عُمان.- ترجمة محمد أمين عبد الله.- عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.-

ويلفرد ثيسجر.الملقب مبارك بن لندن.

الرمال العربية.- [ترجمة إبراهيم مرعي، مراجعة معن أبو الحسن].- ط ٢.- أبو ظبي: موتف أ.ت للنشر، ١٩٩٢م.- ٣٤٥ ص.

W. Montgomery Watt. **Muhammad at Mecca**.- Oxford: Oxford University Press, 1953.

W. Montgomery Watt. **Mohammad at Madina**.- Oxford: Oxford University Press, 1956. W. Montgomery Watt

W. Montgomery Watt. **Muhammad: Prophet and Statesman**.- Oxford: Oxford University Press, 1961.- 250 pp

William Gifford Palgrave. **Narrative of a Year's Journey Through central and Eastern Arabia** (1862-1863).- 2 vols.- London:..., 1965.

يوسف (جوزف) شاخت وبوزورث.

تراث الإسلام.- ٣ ج.- ترجمة محمد زهير السمهوري و حسين مؤنس وإحسان العمد.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨م.- (سلسلة عالم المعرفة/٨ و١١ و١٢).